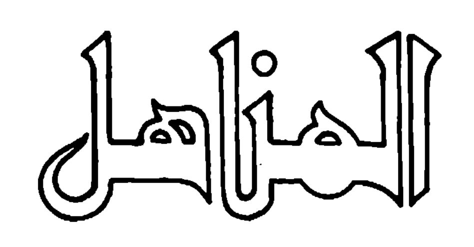




38

المناهل



تصدرها

وزارة الشؤون الثقافية

الرباط - المغرب

العدد الثامن والثلاثون

السنة الخامسة عشرة

جمادى الأولى 1410

دجنبر 1989

الفهـرس

الخزانة المغربية
في عصر السلطان الحسن الأول

محمد المنوني

مدخل :

من أوائل أيام السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام، صارت الخزانات السلطانية تتواجد في كل من مكناس وفاس ومراكش، وهي ظاهرة عرفت منذ العشرات الأولى من القرن 19، ويبدو أن باعثها جاء من حاجات الملوك إلى مزيد من التنقل بين جهات المملكة، فتكون كل من المدن الثلاث، قاعدة لانطلاقهم إلى نواحيها، ومن الاشارات لهذا التعدد، فقرة عند مؤلف الابتسام[1] يقول فيها :

«... برز الأمر من أمير المومنين أبي زيد، بسرد كتب خزانة دار الامارة التي في مراكشة، فدخل الكتاب وجلسوا لسردها وترتيبها ثلاثة أيام، وعدوها فوجدوها ثمانمائة وخمسين من جميع فنون العلم.

(1) – مخطوط خ. س 12490.

ثم أمر بدخول رجلين للخزانة التي في داخل الدار، فكنت أنا أحد الرجلين، ومعي الكاتب السيد محمد السطي، فدخلنا ومعنا قائد أصحاب الفراش، ورتبناها على اختلاف أنواع العلم، فجعلنا كل صنف على حدة، وذلك كان سنة اثنين وستين.

وقبل ذلك سردت الكتب التي في خزانة مكناسة الزيتون، فوجدت تزيد على ألف مجلد، رأيت برنامج الكتب المذكورة بعيني.

وما في خزانة فاس الجديد يقارب هذا العدد أو يزيد عليه».

وقد ورد في هذه الفقرة، اشارة إلى برنامج الكتب بإحدى الخزائن الثلاث، ولحسن الحظ بقي لدينا عدد من هذه اللوائح، وهي ترصد وترتب محتويات المكتبات بالمدن الثلاث، على امتداد ايام العاهل أبي زيد وابنه س محمد الرابع(2).

* * * * *

حتى اذا جاء السلطان الحسن الأول، يتميز عصره باهتمام زائد بالخزانة المغربية، في مبادرات تستوعب واجهتين مكتبيتين : خزائن القصور الملكية، مع الخزانات الوقفية، وقد كانت في الوقت ذاته تسد ــ في الجملة ــ فراغ المكتبات العامة.

وقد اشتهرت هذه الظاهرة بين منجزات العاهل الحسن الأول، حتى ردد بعض أصدائها مؤلف مصري من القاهرة(3). وفي المغرب ينوه عبد السلام اللجائي بوفرة الكتب في القصر الحسني(4).

(2) انظر عنها وعن لوائح أخرى للخزائن المغربية : محمد المنوني «وثائق مغربية من القرن 19»، «مجلة دار النيابة» العدد 21، 1989، ص 9ـ10.

(3) القصد إلى محمد أمين الخانجي في «منجم العمران»، مطبعة السعادة بمصر 1927/1325، 316/2.

(4) «المفاخر العلية» مخطوط خ. س 460 : ص 470.

وبعده يشيد محمد عبد الحي الكتاني[5] بطموح العاهل العلوي في هذا الاتجاه ويقول : «وكان السلطان المولى الحسن كلفا بكتب علم الحكمة : من تنجيم وتقطير وتحليل، وعشب ونباتات، وأوفاق وطلاسم ونحو ذلك، فوجه الوراقين حتى إلى اصطنبول واسبانيا ونحوها، وكانت للوراقين سوق في أيامه، نسخ من كتب الصنعة المئات من المجلدات، في غاية الزخرفة والتمويه والتنويه.

وكان له — رحمه الله — اعتناء بخزانة الكتب، وكان ينتدب كبار علماء فاس — من حين لاخر — لتفقدها وترتيبها، وحدثني من شاهدها إذ ذاك : أنها دار ذات بيوت ومخابع كاملة، محاطة بالمساطير الخشبية من أعلا الحائط إلى أسفله، مملوءة كتبا أكثرها مزخرفة مموه.

وأكثر هدايا القضاة والعلماء له في الاستقبالات الرسمية : الكتب، وعلى ذلك أدركت الحال»[6].

وقد أشادت هذه الفقرة باعتناء الحسن الأول بتفقد وترتيب الخزانة الملكية بفاس. ونضيف أن نفس الاهتمام كان يوليه لخزانتي مراكش ومكناس، وعن المدينة الأخيرة، نتوفر على وثيقة مطولة، تشرح مسار التنظيم الذي استجد في خزانة القصر السلطاني المعروف بقصر المدرسة في مكناس، فتحدد — في مقدمتها — أسماء المشرفين على هذا العمل — وهم نخبة من الحاشية الحسنية — في أربعة أسماء : الوزير علي المسفيوي، وابنه الكاتب السيد محمد، والكاتب السيد عبد الواحد ابن المواز، والكاتب مولاي الطاهر البلغيتي، مع اثنين من مبرزي شهود مكناس : أحمد بن محمد ابن عزوز، ومحمد بن محمد حمود كاتب الوثيقة — بخطه — في تاريخ 5 جمادى الثانية 1305/1888».

(5) — «تاريخ المكتبات الاسلامية ومن ألف في الكتب» : قطعة مخطوطة منه : خ.ع.ك 3002.

(6) — جاء في هذه الفقرة إشارة لاعتناء الحسن الأول بانتساخ الكتب وزخرفتها، وفي الموضوع سبح طويل يعرف من الرجوع إلى بحث موضوعي سترد الاشارة له قريبا.

وقد رتبت كتب الخزانة ــ بالوثيقة ــ حسب المواد : انطلاقا من المصاحف الشريفة، إلى كتب القراءات، إلى التفاسير... حتى استوعبت أحد عشر موضوعا، وأحصيت فيها الكتب بالاجزاء، ولأهمية الوثيقة نذيل باثبات نصها، ليكون هو الملحق الختامي، وهو الذي يحمل رقم 5.

* * * * *

وإلى هذه الخزائن المنوه بها، اهتم نفس العاهل بالخزانات الوقفية، وكانت ــ انذاك ــ تسد فراغ المكتبات العامة، وقد تبقى عن هذه المبادرات جملة من الوثائق، فنشير إلى أربعة منها :

بدءا من رسالة تحمل تاريخ 26 جمادى الأولى 1888/1305، وهي من محتسب مكناس : الحاج محمد بن العربي اجانا، إلى وزير الشكايات : علي المسفيوي، وفيها يجيب كاتب الرسالة عن السؤال الملكي عن كتب خزانة الجامع الكبير بمكناس :

هل لازالت مصونة كما كانت ؟

ومن القائم بها ؟

وهل لها كناش ؟

وعند من هو ؟

فهي أسئلة أربعة، أجاب عنها محتسب مكناس في رسالة سيرد نصها عند الملحق 1.

الوثيقة الثانية : رسالة من السلطان ذاته بتاريخ 12 قعدة 1891/1308، خطابا لمن سيذكر : محتسب مراكش مولاي عبد الله البوكيلي، والقائد عباس ابن داود، وناظر الأحباس الكبرى، وقضاة المدينة، وفيها يرشح الفقيه المعطي السرغيني قيما على خزانة جامع المواسين، والفقيه محمد بن الحاج الطاهر النسب

قيما على خزانة جامع ابن يوسف، وتضيف الرسالة تنبيها للمحتسب ومن ذكر معه :

«... مع انسحاب نظركم ـ جميعا ـ على هذا الوظيف، واتحادكم في اشتراك التكليف، فقد حملنا جميعكم عهدته، وقلدناكم ربقته، وألحفناكم بردته، وأنطنابكم عمله وكلفته».

وإلى هذا : تعقب الوثيقة بقانون لتسيير الخزانتين، موزع بين عشرة فصول كالآتي :

الفصل الأول : انشاء شبه مجلس للخزانتين، يكون أعطاؤه هم المخاطبين بالرسالة : المحتسب ومن معه.

الفصل الثاني : يجتمع المجلس عند انتهاء كل أسبوع لتفقد الكتب، واذا زال وصف العضوية عن أحدهم يبادر ـ حينا ـ لعد الكتب وضبطها، حتى تسجل على من يخلفه.

الفصل الثالث : يجتمع المجلس عند رأس كل ثلاثة أشهر، ليستردوا الكتب المعارة، ثم تجدد اعارتها.

الفصل الرابع : لايمكن مستعير الكتاب منه إلا بعد الاشهاد عليه.

الفصل الخامس : إذا كان المستعير من سكان مراكش يسجل عليه ما أخذه، وفي حالة ما إذا كانت سكناه خارجها، يدفع الكتاب لشيخ قبيلته بإشهاد، ليتولى تسليمه لطالبه، وليكون تحت رقابته.

الفصل السادس : لايمنع المستحق من الاعارة.

الفصل السابع : لايمكن من الكتاب من أراد أن يسافر به.

الفصل الثامن : لاتعار الكتب إلا لمن قام به وصف الأمانة.

الفصل التاسع : ينبه المستعير أن لايعير الكتاب لغيره.

الفصل العاشر : المستعير ــ بشرطه ــ لايترك الكتاب عنده أكثر من المدة المحددة إلا بعد تجديد الاعارة.

وإلى هذا فالرسالة تشتمل على لائحة للكتب المحبسة من الجهة الحسنية على جامعي المواسين وابن يوسف، حيث سترد أسماؤها ضمن نص الرسالة بالملحق 2.

وننتقل ــ الآن ــ إلى فاس، مع الوثيقة الثالثة التي تحمل تاريخ 29 رجب 1894/1311، وهي رسالة من س الحسن الأول إلى قاضيي فاس : محمد بن محمد العلوي وحميد بناني، وفيها يقارن بين الماضي المشرف لخزانة كتب القرويين، مع حاضرها حيث استحال أمرها إلى ضياع وتفريط، بسبب إهمالها وعدم الاهتمام بشأنها، ولذلك تأمر الرسالة بتكوين شبه مجلس للخزانة، يحضر فيه ــ مع القيمين عليها ــ القاضيان والنظار وأربعة من العدول، ليعملوا على تلافي واقع كتب الخزانة، وفقا للضوابط التي اقترحتها الرسالة، حيث سيرد نصها ومعها رسالة جوابية : عند الملحقين 3 و4.

* * * * *

نضيف للمدينتين عدوة سلا، فيزور السلطان الحسن الأول خزانة مسجدها الأعظم، ويأذن لقاضي المدينة بالزيادة في شراء الكتب لها[7]

ملاحظات :

ـ حافظت على تعابير الوثائق في تسمية الكتب، على ما في بعضها من وقفة.

(7) ـ «الاستقصاء دار الكتاب 1956 : 152/9.

– مع مر الزمن، صار معظم الكتب بالملحق 5 : إلى الخزانة الحسنية بالرباط، حيث تجمعت بها كتب الخزانات الملكية في كل من فاس ومراكش ومكناس.

– لاكتمال رؤية الخزانة المغربية في عصر الحسن I : يرجع إلى «مظاهر يقظه المغرب الحديث» : عند باب «الطباعة الحجرية الفاسية»، مع دراسة بعنوان «الوراقة المغربية في العصر العلوي الرابع»، مجلة «المناهل» ع 36—1407/1987 : ص 37—89.

ملحق 1

رسالة محتسب مكناس إلى وزير الشكايات حول واقع خزانة الجامع الكبير بالمدينة ذاتها

الحمد لله، لما ورد الأمر الشريف اسماه الله، على المحتسب الطالب الحاج محمد أجانا، بسؤاله عن خزانة كتب العلم بالجامع الأعظم — عمره الله — بهذه الحضرة المكناسية : هل لا زالت كتبها مصونة كما كانت أم لا ؟ ومن القائم بها ؟ وهل لها كناش ؟ وعند من ؟

أحضر لديه واضع شكله عقب تاريخه، وسأله عن ذلك سؤالا شافيا لكبر سنه، ومعرفته بما ذكر.

فأجاب : أنه يعرف الخزانة المذكورة — منذ ميز بنحو الستين سنة — وهي مملوءة بكتب التفسير والحديث والفقه والنحو والحساب والتنجيم والتوقيت والتعديل وعلم الموسيقى والهندسة، وعلم الكيمياء والتدبير والطب واللغة وعلم الأدب وغير ذلك مما لا يحصى كثرة.

ومن جملة ما عاينه هناك : السمين في اعرب القرآن المبين : في أسفار 18، وكانت اخذت منه نسخة للفقيه المرحوم مولاي عبد الهادي، على يد الفقيه القاضي المنعم السيد العباس ابن كيران، وكذا حاشية ابن عبد الصادق ـــ تلميذ ابي علي سيدي الحسن بن رحال على الخرشي والزرقاني ـــ في اسفار 8 بخطه، وكذا ابن ابا (كذا) علي الهمزية في أسفار 10 في القالب الكبير، وكذا شرح العلامة القاضي مولاي عبد القادر، المسمى أزهار البساتين القدسية، في شرح الفاظ الهمزية في اسفار 8، وكذا شرحه على تحفه ابن عاصم، سماه وشي المعاصم على تحفه ابن عاصم في أجزاء 4، وعدة نسخ من الخرشي والشيخ عبد الباقي الزرقاني وبناني والحطاب والمواق، والمعيار للامام الونشريسي بخط العلامة مولاي محمد بن الامام مولانا اسماعيل في أسفار 4، ونوازل الامام البرزلي في أجزاء 4، والصحاح للامام الجوهري في اللغة في جزءين، وحواشي ابن بري عليه في أجزاء 4، والمشارق للامام القاضي عياض في جزءين، وكذا القاموس في سفر واحد، كتب عليه ـ بخطه الشريف ـ العلامة مولاي أحمد القاضي، ووقف بهامشه على ما فيه من الطبيات، وكذا العلامة الحريفشي (كذا) على شفاء القاضي عياض : في أجزاء 4، وعدة وافرة من كتب التاريخ : كصفوة ما انتشر، ونزهة الحادي، والدوحة، والممتع، وتفسير سيدي ابي بكر ابن العربي المعافري : من البقرة إلى سورة التوبة : في اجزاء 16، وغير ذلك من التفاسير كالارتشاف لأبي حيان، والبحر المحيط له ايضا في اجزاء 12، وفتح القدوس في شرح خطبة القاموس، لسيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي بخطه، والفسطلاني على صحيح البخاري، وشرح العارف بالله ابن ابي جمرة عليه (كذا)، والمعلم علي مسلم، والشامي (كذا) على المواهب اللدنية في اجزاء 6، والعدد الكثير من شروح الخلاصة وحواشيها : كالتصريح والأشموني ويس واشباهها، وأما المكودي فعد الثرى.

* * * * *

ومن جملة ذلك كان مولانا الكبير ـــ قدس الله روحه ـــ وجه كتب أحد عمال دكالة وقتئذ محمولة على عدة من الابل، وقال في كتابه الشريف : تزاد في خزانة الجامع الأعظم، وكتب عليها ـ بأجمعها ـ بعد لين، وعلى يد من دخلت من النظار اذ ذاك، وهو السيد الطاهر ابن عثمان.

وكان المكلف بمباشرتها ومسحها : العدلان السيد العربي بن عمر والسيد المفضل الفلوسي، ولما توفيا ولي بدلهما سيدي ادريس الشبيهي، والسيد محمد بن عبد الله الفلوسي، ولما انتقلا لرحمة الله بقيت بيد النظار : الحاج الطيب غريط والحاج محمد بن عمرو، ولما أخر الأول بقيت بيد الثاني.

وقد كان لها كناش مخصوص ـ كل ترجمة على حدتها ـ يتداوله النظار من جملة حوالة أملاكها، إلى أن وصل الكل ليد ابن عمرو المذكور، وبقي الأمر بين ولده وبينه يدور.

ومن جملة ذلك وجه مولانا المقدس ـ فسح الله له ـ عدة نسخ من شرح الشيخ ميارة على التحفة وعلى المرشد مضروبة بمطبعته الشريفة الفاسية، ودخل الكل للخزانة المذكورة.

فمن علم الأمر وتيقنه، قيد به شهادته، مسئولة منه لسائلها، مستندا على الاطلاع من جهات.

في سادس وعشري جمادى الأولى خمس وثلاثمائة ـــ بلام ـــ وألف، شكل عدلي واحد :

وبعد هذا اسفله مانصه :

الحمد لله، استدراك لما كان بالخزانة أعلاه، زيادة على ما سطر أعلاه، وهو نسخ من التنوير في اسقاط التدبير، ونسخ من لطائف المنن في الشيخ أبي العباس

المرسى وشيخه ابي الحسن، ونسخ من الاحياء للغزالي، وله ـــ ايضا ـــ التجريد في كلمة التوحيد، والانسان الكامل للجيلي، ورسائل القشيرى وشروحها، ونسخ من المصباح للفيومي في اللغة، ونسخ من ربيع الأبرار للزمخشري، والسيرة الحلبية في الأحاديث النبوية، ونسخ من دلائل الخيرات وشروحه الكبير والصغير لسيدي المهدي الفاسي، وسيدي المعطي السملاوي، ونسخ من سيرة الكلاعي، واختصاره لسيدي زنيبر، ونسخ عدة من كشف الغمة عن هذه الأمة للشعراني، وكشف الران عن أسئلة الجان، وله العهود المحمدية، وله الطبقات.

فمن علم ذلك وتيقنه فيده شاهدا به لسائله، مستندا على الاطلاع، وفي ثاني التاريخ أعلاه، نفس الشكل العدلى اعلاه.

وبعد هذا أسفله ما نصه :

الحمد لله، زيادة استدراك لما نسي في التاريخ أعلاه، من كتب الخزانة ثمة.

وهو شرح سيدي علي بن صنبة أحد موالي مولانا اسماعيل على الجعبري نفسه، في اسفار 6، وتفسير الكشاف، والانتصاف من الكشاف، وتفسير الخازن في جزءين 2، شرح أبي العباس سيدي أحمد المنجور على القواعد، شرح الشيخ ميارة على نظمه الفقهي في سفرين 2، الفصوص لابن العربي الحاتمي في أجزاء 4، طبقاته ايضا في اسفار 6، الشيخ جسوس على الشمائل مكرر، شرحه ـــ ايضا ـــ على توحيد رسالة ابن أبي زيد القيرواني، شرحه ـــ ايضا ـــ على فقهها في جزءين، شرحه ـــ ايضا ـــ على تصوف المرشد في سفر ضخم، ابن سلطان على الشمائل، شرح الفية العراقي للمناوي مكرر، شرح الأربعين النووية للشبراخيتي في جزءين مكرر أيضا، شرح جامع أبي المودة خليل للشيخ التاودي، شرح الأربعين النووية لسيدي أحمد بن سيدي التاودي وسيدي عبد القادر ابن شفرون وغيرهما، وحاشية العلامة ابن زكرى على البخاري، والقسطلاني، اختصار

الصغاني للبخاري مكرر، الشريشي الكبير والصغير على المقامات الحريرية مكرر، بخط كوفي (كذا)، المقامات الحلبية، في الاسراءات النبوية في سفر 1، مع قصائد شتى في مدحه عليه السلام : للحلبي ولمولانا عبد الله بن طاهر، حاشية ابن الطيب الصميلي على القاموس في اسفار 12، شرح الشيخ بدر الدين على المرشد المعين مكرر، القانون لابن سينا في اسفار 4، والتذكرة في الطب مكررة، الفية ابن سينا في الطب مشروحة في اسفار 4، وغير ذلك مما لم اتذكره الان، وقيده شاهدا به، قاصدا وجه الله العظيم، في ثاني تاريخ أعلاه، ملحقا على القواعد، وغيرهما، صح به، نفس الشكل العدلي بالأصل وملحفه الأول.

من وثائق ج ح 2 س 8 : سنة 1975

ملحق 2

رسالة السلطان الحسن الأول
عن تنظيم خزانتي مراكش

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

خدامنا الأرضين : المحتسب مولاي عبد الله البوكيلي والقائد عباس ابن داوود وناظر الاحباس الكبرى في حينه والفقهاء الأرضين قضاة الحضرة المراكشية صانها الله، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد : فلما كان التحبيس من السنة القائمة والحسنات الدائمة ومن احياء معالم الدين ونتائج عزائم المهتدين، شرح الله منا لمصلحته صدر الاهام، وهو

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم



[illegible]

سبحانه ولي التوفيق وشامل الانعام، فاقتضى نظرنا السديد ان حبسنا جميع الكتب العلمية المسطرة اسماؤها تفصيلا بكناشي الحوالتين المطبوع عليهما بطابعنا الشريف، المدفوعين للقيمين على ذلك، المشتملة تلك الكتب على العلوم المقصودة والالية : على الخزانتين المباركتين : احداهما خزانة جامع المواسين والثانية خزانة جامع ابن يوسف بهذه الحضرة المراكشية حرسها الله، وخصصنا كل واحدة منهما بما اشتملت عليه حوالتها من الكتب المذكورة.

فالمعين لخزانة جامع المواسين من كتب صحيح البخاري سبع عشرة نسخة.

ومن شرح القسطلاني عليه اربع نسخ.
ومن الشفا ثمان نسخ.
ومن الشمائل خمس نسخ.
ومن شرح جسوس عليهما سبع نسخ.
ومن شرح الزرقاني على الموطا سبع نسخ.
ومن شرح الخرشي على المختصر ثمان نسخ.
ومن شرح الزرقاني عليه ثمان نسخ.
ومن شرح ابي الحسن علي الرسالة عشر نسخ.
ومن شرح الدسولي علي ابن عاصم ثمان نسخ.
ومن شرح ميارة الصغير على المرشد اربع عشرة نسخة.
ومن شرح الأزهري علي الموضح ثمان نسخ.
ومن شرح المكودي على الألفية سبع عشرة نسخة.
ومن شرح الأزهري على الاجرومية خمس وعشرون نسخة.
ومن شرح العيني على الشواهد سبع نسخ.
ومن شرح الرفاعي على باحراق عشر نسخ (كذا).

ومن حاشية الصبان على الأشمني (كذا) سبع نسخ.
ومن حاشية البناني على السعد سبع نسخ.
ومن الدمياطي على ورقات امام الحرمين تسع نسخ.
ومن السمرقندي على الاستعارات ثمان نسخ.
ومن حاشية البناني على جمع الجوامع خمس نسخ.
ومن شرح البيجوري على مختصر السنوسي خمس نسخ.
ومن شرح الدسوقي على أم البراهين في التوحيد تسع نسخ.

والمعين لخزانة جامع ابن يوسف قسمتان مثلا ما ذكر بالتثنية، لكون جملة الكتب المحبسة المذكورة جعلنا القسمة فيها اثلاثا، فالثلث الواحد للجامع الأولى، والثلثان الاثنان للجامع الثانية، تحبيسا تاما مؤبدا لايباع ولا يوهب ولا يورث ولا يفوت بوجه من الوجوه، قد شيدنا أركان حكمه على قاعدته المؤسسة، ونظمناها به في سلك نظرائها من دفاترنا المحبسة، اقتفاء لسيرة اسلافنا الكرام، واقتداء بسنة النبي واصحابه عليهم السلام، وسعيا في نشر العلم الذي هو من الحسنات الجارية، والأجور الوافية، وقصدنا بذلك انتفاع طلبة العلم الشريف.

وعينا الطالب المعطي السرغيني قيما على خزانة المواسين، والطالب محمد بن الحاج الطاهر النسب فيما على خزانة جامع ابن يوسف، ليتولى كل منهما ما هو إلى نظره، ويحسن في القيام والتكليف بامره، مع انسحاب نظركم جميعا على هذا الوظيف، واتحادكم في اشتراك التكليف، فقد حملنا جميعكم عهدته، وقلدناكم ربقته، وألحفناكم بردته، وأنطنا بكم عمله وكلفته، وجعلنا لكم في قاعدة تحبيس الكتب المذكورة والانتفاع بها فصولا عشرة ليكون تمشيكم مع القيمين المذكورين عليها، ويقصر وقوفكم لديها، ومرجع ذلك كله لحفظ المحبس من الضياع، والاحتياط الذي هو رعاية القصد المتبع شرطه بلا نزاع :

الفصل الأول : اشتراك جميعكم النظر بحيث تكونون من حيث الضمان فيما عسى أن يقع ذمة واحدة.

الفصل الثاني : ان تجتمعوا عند انقضاء كل جمعة وتتفقدوا الخزانتين بالنفض والاصلاح، حتى تكنس وتروح الكتب وتورق وتعد، بحيث ان ضاع شيء تواخذوا به كلكم ويغرم بنظيره، ومهما زال وصف القيام عن احدكم يبادر في الحين للعد والضبط حتى تسجل على من يقام بعده.

الفصل الثالث : ان تجتمعوا عند انقضاء كل ثلاثة اشهر وترجعوا سائر الكتب المستعارة لمحلها، ثم تجددون اعارتها.

الفصل الرابع : ان لايمكن المستعير للكتاب منه إلا بعد الاشهاد عليه.

الفصل الخامس : اذا كان المستعير بلديا يسجل عليه ما استعاره، وإذا كان افاقيا يدفع لشيخه باشهاد وهو يتولى دفعه إليه ويكون منه على بصيرة.

الفصل السادس : ان من استحق الانتفاع لايهمل امره ولا يمهل، لان منع الكتب عن اهلها من الغلول.

الفصل السابع : ان لايمكن من الكتاب من اراد ان يسافر به، لما في ذلك من الافات.

الفصل الثامن : ان لاتعيروه إلا لذوي الامانة.

الفصل التاسع : ان تنبهوا من استعاره ان لايعيره هو لغيره.

الفصل العاشر : ان من استعاره بشرطه لاجل، لايترك عنده اكثر من المدة المؤجل لها إلا بعد استيناف العمل.

فنامركم جميعا ان يكون عملكم على ما قرر استمرارا، وتحسنوا القيام

جهدكم مع تقوى الله سرا وجهارا، ومن بذل أو غير فالله حسيبه، وشهيده ورقيبه، وقد ارتكبنا لكم في اسلوب الخطاب اطنابا، ليتم لكم بيان وجه العمل حتى لايستفتح احدكم لعذر التكاسل بابا، فلتمضوا على مقتضى ذلك، وخذوا فيه بواجب الحزم حتى لايضل منكم سالك، ونرجو من المولى سبحانه أن يتقبل ذلك، وينفع به، ويجعله من مرضى عمل الخير وقربه، آمين.

والسلام 12 قعدة الحرام عام 1308 هـ

من وثائق ج.ح.2

ملحق 3

رسالة السلطان الحسن الأول
حول خزانة القرويين بفاس

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

ابن عمنا الأرضى الفقيه القاضي سيدي محمد بن محمد العلوي المدغري، والفقيه الأرضى القاضي السيد حميد بناني، اعانكما الله، وسلام عليكم ورحمة الله

وبعد فلا يخفى ما كانت عليه خزانة الكتب التي بالقرويين من الضبط والصيانة والمقابلة والتعاهد، وقد بلغ علمنا الشريف ان امرها الان استحال إلى ضياع وتفريط، بسبب اهمالها وعدم الاهتمام بشأنها، ولاجله تعين ايقاظكم وتنبيهكم وحضكم على رد البال إليها، واجراء العمل فيها على ما سنقرره لكم من الضوابط والفصول، حتى تعود بحول الله إلى حالتها الأولى، وترجع إلى ماكانت عليه من الصيانة وما اسسه السلف الصالح فيها ان شاء الله.

فنامركم ان تحضروا مع النظار واربعة من العدول والقيمين عليها، لتصفح كناشها الاصلي وزمامات المستعيرين للكتب منها، ثم ما وجد لازال عندهم يستخرج منهم ويرد لمحله، ومن كان مات منهم يحاز من ورثته، وما وجد خاصا وخارجا عن زمامات العارية ولم يعرف عند من هو، يواخذ به المكلفون وقت خروجه من الخزانة، وهم النظار والقيمون ويغرمونه بنظيره لتفريطهم، ومن وجده الحال مات من اولئك المكلفين يلزم ورثته الغرم كذلك.

وبعد استرجاع الكتب كلها لمحلها على طبق الكناش الاصلي، تكون اعارتها تتجدد على الضابط القديم المعهود فيها، من اعتبار الأهلية في المستعير، وتقييد اسمه، والاشهاد عليه عند القيمين، واعلامهم النظار والقضاة به، وتمكينه اذا من الكتاب الذي استعاره، بعد وصفه وعد اوراقه وتقييد تاريخ دفعه له، وعند انصرام كل ستة اشهر يبحث عن الكتب المعارة، وتحاز ممن هي عنده وترد لمحلها، وما لم يكن تم عمل المستعير به يحض على التعجيل احتياطا.

ثم ينتخب لها قيم حازم امين ثقة : كالطالب علال ابن جلون الذي كان مكلفا بها قيد حياة سيدنا الجد رحمه الله، وتكونان انتما والنظار مشرفين عليه.

وبعين لها ناسخ ينسخ ما كاد ان يتلاشى من الكتب، ومسفر يصلح ما تمزق من الاسفار، وتكون لهم الاجرة كما عهد للذين كانوا مرشحين لذلك قديما.

وقد كتبنا للنظار بمثله، فتلصرفوا هممكم لتدارك ذلك، فإنه من المهمات التي يتنافس في احياء مراسمها، وتشييد معالمها، ومن سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

والسلام، في 29 رجب عام 1311.

«الخزانة العلمية بالمغرب»

محمد العابد الفاسي

مطبعة الرسالة ـــ الرباط، ص 72

ملحق 4

رسالة السلطان الحسن الأول
تكملة للرسالة قبلها

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الفقيهين الأرضين القاضيين سيدي محمد بن محمد العلوي، والسيد حميد بناني، سددكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله

وبعد : وصل جوابكم بامتثالكم ما امرناكم به في شأن خزانة الكتب التي بجامع القرويين، من تفقدها ورد البال إليها واجراء العمل فيها على ما كنا قررناه من الضوابط في أمرها، إلى آخر ما اصدرناه لكم، وعلمنا ثناءكم على القيمين بها، وكونهما من أفاضل الأمناء، وزيادتكم عليهما ثالثا، وتنبيهكم اياهم على اتباع ما امرنا به في شأنها، وانكم بصدد تعيين ناسخ ومسفر لاعادة ما عسى أن يكون متلاشيا بها، كما أمرناكم بعد اتمام تصفحكم لها، وان النظار لادخل لهم قبل فيها حتى يتوجه الضمان عليهم للتفريط، وانما هو على القيم بها خاصة، وصار بالبال.

فانكم لم تعرجوا في جوابكم على نتيجة العمل التي هي بيان ما وجد مفقودا من الكتب، ومطالبة المتقاعدين عليها بها أو ورثتهم، وعليه فنامركم امرا جازما ببيان ما فقد من تلك الكتب، وعدده، وتتبع كنانيش من سلفت نظارتهم على الخزانة المذكورة : كالطالب علال بن جلون ومن بعده، والاعلام بما حصله بحثكم ووقوفكم، ولابد.

والسلام، في 15 شوال عام 1311

«الخزانة العلمية بالمغرب»

مطبعة الرسالة ـــ الرباط : ص 73

ملحق 5

كراسة بأسماء الكتب المحفوظة
في خزانة قصر المدرسة بمكناس
عام 1888/1305

الحمد لله وحده، آخر ما سردت ورتبت عليه خزانة الكتب العلمية بالمدرسة من الدار العالية من هاذه الحضرة المكناسية المولوية الهاشمية : ما سيذكر بعد بالورقات الأحدى عشرة يسرته، على يد الفقهاء الاجلة من حاشية الجانب العالي بالله ادام الله عزه وعلاه : الملجا الأعظم الوزير الأفخم سيدي علي المسفيوي، ونجله الامجد الذكي الاسعد سيدي محمد، والكاتب النقاد العلامة الدراكة الفهامة سيدي عبد الواحد ابن المواز الفاسي، والشريف المنيف الكاتب البارع الغطريف مولاي الطاهر البلغيتي، واحمد بن محمد ابن عزوز، ومحمد بن محمد حمود، في شهر جمادى الثانية عام خمسة وثلاثماية والف.

ومما قيل في ختم ذلك ما يذكر بعد :

فللفقيه سيدي عبد الواحد ابن المواز اعلاه :

تعاهد الكتب في الخزانة ... تم بأيد الحفظ والصيانة
ورتبت دفاتر العلوم ... من نوعي المنثور والمنظوم
وحل كل وفق مقتضى النظر ... محله مع انتساق معتبر
بامر مولانا الذي قد جددا ... في الفضل آثارا بعيدة المدا
من لم يزل يسدي على الخدام ... اردية الخيرات والانعام



إنتهى

وللشريف الفقيه مولاي الطاهر البلغيتي ثمه

لحسن الختم وفي لنامر ادا ... وأعلن بالسرور وقد أفاد
بترتيب الخزانة في انتساق ... وجمع رائق بلغ المراد
وتنسيب الفنون لكل جنس ... ورد ضوالها وكذا النداد
تبخترت الدفاتر تيها لما ... اتانا امر من يسدي التلاد
ويفعم بالنوال من غير سؤل ... ويغمر لايبالي ولو اعاد
كمي بل سري بل سميح ... بيذل لايطاق له عنادا
سألناه الجزيل فما تلكي ... وأعطى فوق منيتنا وزادا
فيا مولى الموالي أنله نصرا ... وأكلئه ووطي له المهاد
وبلغه مناه في بنيه ... سراة القوم أطولهم نجاد
بجاه المصطفى خير البرايا ... وأفضلهم وأوثقهم عمادا

إنتهى

ولكاتبه محمد حمود :

قد تم بالحمد تفقد عهد ... لما حوت خزانة بما سرد
من كتب ما حوته من دفاتر ... سنية جليلة المئاثر
للجانب الأعلا السمي الأفخم ... الهاشمي المولوي الأعظم
بأمره الشريف بعدما صدر ... منفدا اصلاح ما بها اندثر
قد اصلح الله له أمر البشر ... ممن نئا ومن لديه قد حضر
عادت على وفق لها مرتبة ... كما يراد من صنيع المرتبة
حلت محلها وكانت ما سبق ... تستدعين خروج ما فيها خلق
وعاد نفعها على كل بما ... يرجو من المولى بما قد يمما

وهـذه قـرط مـن المداح في اوتارهـا ديـدانها تستعطـف
اهـدت تحيـة لخير مـن حضر تنهي نـواسما لسيـد الـبشر
ابقاه مولانـا مـدا الزمـان مـا صلى على حبيبـه رب السمـا
بخير تصليتـه في كل مـا قد خصه به وما قد عممـا
مـا اهتـز غصن بـانها بزهـرة وقـرع البـاب دنـا مـن بغيـة
وهيـأ الكـون لطـالب ومـا قـد أمـه بفضلـه مـن ختما

وله نيابة عن الفقيه سيدي محمد بن الوزير سيدي علي :

لاحت نواسم حسن الختم منبئة بنظم كتب خزانـة على درر
بعد التعهد قـد راحت مزينـة وفـق المراد لأمرهـا على أثـر
وفت بجمع فنون العلم آتيـة على التمام فكم لها مـن الخبر
رقت مثاثرها العليـاء في رتب سمت محاسنها عن رتبة القمـر
بحسن مالكهـا راحت مخدرة تجلـو قلائدهـا لعـاشق الصور
ابدت مآثرها بعد الخفا برزت تهدي نواسمهـا لباهـر النظـر
اغنت بحسن لواحظ لها مقـلا غنت لها طربا خوامد الفكـر
سرت بوصف لها أحلامنا مددا وقد أزالت بنظرة صدا البصر
زهت ببهجتها من حسنها مهج عمت بنول لها أفاضل الـكبر
فيا سعادة من نيطت به درر من وصف علياه ناهيك من درر
تبـارك الله مـا أولى لمالكهـا مما حباه به من حسن ذا النظر
تبارك الله ما اسدى لنا كرما في ظله حسن الأخلاق والسير
اكرم به حسنا قد خصه شرفا مولى البرايا وقد صفاه من مضر
فيا إلاهي بأحمد الـرضى آلـه صحابه. تابعيهم من ذوي الغرر
أدم لنـا عـزه ومجده أبـدا وزده ما يرتجي من منية الظفر
وأكرمـن جمعنـا بحسن خـاتمة كرامة من كريم مالك القـدر

وامنن بما طمحت لنيله مقـل إنا لإنعـام مولانـــا على بصر

الحمد لله، حمدا لمن خص هذه الأمة المحمدية بأسنى المواهب. وفهمها ما تضمنته أقيسة الكتاب والسنة بنتائج أفكار أئمة المذاهب، فأسبغ عليها من أسرار المعارف اللدنية ما يسموا على الزواهر، ويزري بنفيس اللئالي والجواهر، فكان لها من الفضل المؤثل الباق، ما تعجز عن حمله بطون الدفاتر والأوراق، نحمده ـــ تعالى ـــ حمد من وفق لطرق التسديد، وخص من الفهم والادراك بالحظ الوافر المديد، ونشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو الفاعل لما يشاء، المؤهل من اصطفاه من عباده لما شاء، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المتلقي من ربه الوحي والتنزيل، المنتخب من أشرف عنصر وأطيب قبيل، القائل وهو بمقوله اعرف : «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف»، والأمر بحمل محتمله على التأويل والتفسير، وصرف كل ظاهر إلى ما يليق به من التعبير : نسخا وإحكاما، ونفيا وإلزاما، صلى الله على هذا النبي الأواب، القائل في حديثه الصحيح : «قيدوا العلم بالكتاب»، وعلى آله ذوي الحسب الأطهر، التابعين له في السنن والأثر، وأصحابه حملة شريعته، المهتدين بهديه وسنته، المعربين عن مكنون الصواب، الناطقين بالحكمة وفصل الخطاب، ما تداولت الأعصار والدهور، ونطق لسان أديب بمنظوم ومنثور، ووشى طروسه ببديع المعاني، وشدا قمري برنة المثاني.

هذا وإن مما علم وتقرر، وأقيمت عليه البراهين وتحرر، أن الاشتغال بالعلوم والاهتمام بها، والاعتناء بأمرها وصرف الهمة إليها، من أجل ما يكتب ويرام، لكونها أعراضا روحانية وضعت الدفاتر لها بمثابة الأجرام، ولما كان الحض على الاشتغال بها قديما عادة الأمراء والملوك، خصوصا اليتيمة العلوية في عقود السلوك، مولانا الامام المنصور، الأسد الكمي والليث الهصور، ذا النصر المؤزر واللواء المنشور، الهزبر الضرغام، الشجاع البطل المقدام، ذا الباع الطويل في العلوم عموما



وخصوصا، حتى كان فيها هو الياقوتة الفريدة وغيره من الملوك فصوصا، من ألقت إليه المعالي قيادها من غير زمام ولا رسن، أبا الفضائل والفواضل مولانا الحسن. لازالت الدنيا مشرقة بكواكب سعده، حاملة لرايات مجده، ناطقة بالثناء على الأشبال، غرة جبين الأيام والليال، ولا فتىء العز مخيما بناديه، واليمن يراوحه ويغاديه، ولابرحت ايامه مواسم، ثغور برها بواسم.

أمر — دام علاه وأعز أمره، وفتح على يديه وأبد نصره —، بتفقد خزانة العلم المولوية بمكناس، وإحياء معالمها ومراسمها برد كل نوع إلى ما يناسبه من الأجناس، حفظا على العلوم وتنسيبها بالمناسب، وإتيانا بالجموح منها ورده من المهامه والسباسب، فكانت خزائن لاخزانة، تضمنت ما تحمله النوع الانساني من تلك الأمانة، أغنت عن كل سمير وأنيس، ونديم وجليس، تشهد بأن دولته السامية فاقت سائر الدول، من المعاصر والأول، فلا غرو أنها كالروضة المزهرة، والحديقة الغناء المثمرة، تسلي بمنظرها البهيج، وتذكي بشذا عرفها الأريج، تنشد له — أيده الله — حيث شرفها بحلوله، وتتبختر دلالا حيث شنفها بحلية قبوله.

ايـــا فريـــد المزايـــا	ومحرز السبـــق شهمـــا
وفائـــق البـــدر لاكـــن	إذا اكـــتسى البـــدر تما
فـــقت جميـــع الملـــوك	وسدت عربـــا وعجمـــا
نـــلت كمال المعـــالي	إن نـــال غيرك قسمـــا
لابـــدع إن كان فخـــر	ياسيـــــدا نك ينما
فالفـــرع إن طـــاب أصلا	طـــاب ابتهاجـــا ووسما
أمـــرت جمع شتـــاتي	حـــــدا وفصلا ورسما
إني إلى ذا لأشهـــــى	مـــن الظمئـــان إن نما

بعد أن كان ــ دام علاه ــ نظر إليها نظرة إشفاق، وأمر بما يكسبها غاية الانتظام والاتساق، من التفقد واصلاح الشؤون، ورد كل شارد إلى محله من جميع الفنون، حتى لاتختلط الموضوعات بغير جنسها، وتنجلي غياهب تخمينها وحدسها، وعين لذلك بعض كتاب اعتابه، الملازمين لابوابه، المتشرفين بخدمة جنابه، فلبوا أمره المطاع، وشرعوا في ذلك على حسب المستطاع، في خامس جمادى الثانية، من عام خمسة وثلاثمائة وألف من هجرة خير البرية، عليه أزكى صلاة وأنمى تحية.

الحمد لله وحده، تقييد ما بالخزانة المولوية من الحضرة السامية المكناسية من الكتب العلمية، على اختلاف الموضوعات والنوعية، في خامس جمادى الثانية، عام خمسة وثلاثماية والف.

ترجمة المصاحف

مصحف جديد على التمام، في سفر 1

آخر قديم، في سفر 1

مصاحف على التمام، في اسفار 4

مصحف في اربعة أجزاء 4

أخر قديم بخط اندلسي، في سفر 1

أخر جديد، في قالب زليجة للكبر في سفر 1

أخر زلايجة جيد مذهب، بغشاء مؤبر ومجدول 1

أخر جديد، في ثلاثة أجزاء 3

أخر مبتور من الأخر، في سفر 1

أخر جديد، في سفر 1

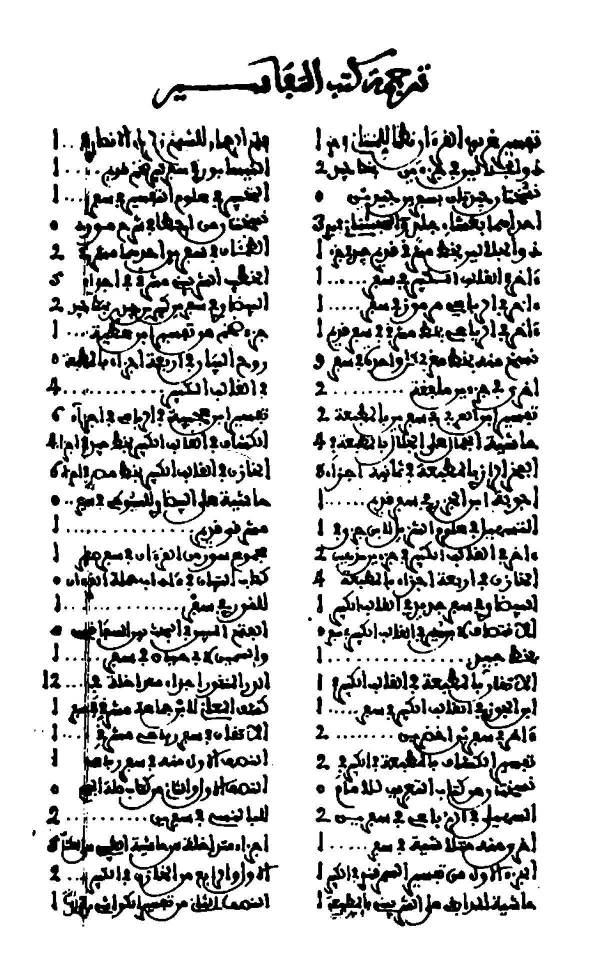
أخر في القالب الكبير بخط مبسوط، في غشاء جلد 1

أخر في القالب الكبير، في سفر 1
أخر في القالب الكبير، في سفر بغشاء جلد 1
أخر في الرباعي قديم مرموز، في سفر 1
أخر قديم من مرموز ايضا، في سفر 1
أخر في القالب الكبير مذهب، في أربعة أجزاء 4
أخر في قالب الزليجة مذهب، بغشاء جلد 1
أخر مثله، بغشاء جلدا 1
أخر في الزلايجة للكبر مذهب جيد بغشا مؤبر 1
أخر كذلك في الزلايجة مذهب بدون غشاء 1
أخر في القالب الكبير، في سفر 1
أخر قديم في القالب الكبير، في سفر 1
أخر بخط مشرقي بخط بخارة، بغشاء مؤبر 1
أخر في الرباعي للصغر، في جزءين مذهبين بغشاء جلد 2
أخر رباعي، في سفر 1
أخر بالمطبعة المشرقية ثماني، بغشائه 1
أخر رباعي بالمطبعة الرومية، بكاغد مذهب 1
أخر ثماني عمل اصطنبول 1
مصاحف صغار اثنان بغشائي مؤبر ومجدولين 3
أخر في الرباعي، في سفر، بمجر من خشب 1
جزء مشتمل على عشرة أحزاب، في سفر 1
مصحف في الزلايجة قديم، دون غشاء 1

ترجمة المصاحف

ترجمة كتب القراءات

ترجمة كتب التفاسير





أخر زلايجة قديم 1
أخر كذلك 1
أخر كذلك، بغشاء مؤبر 1
أخر رباعي قديم، في سفر أخضر 1
أخر قديم، في جزءين 2
أخر في القالب الكبير قديم، في سفر 1

كراريس اشتملت على جزء من القرءان 1
مصحف ثماني قديم، في سفر 1
النصف الأخير من أخر في الزلايجة مبتور 1
أخر في الزلايجة قديم 1
أخر في القالب الصغير أيضا للكبر 1
النصف الأخير من أخر ثماني 1
مصحف أخر زلايجة، بغشاء أحمر موبر، ومجدول 1
أخر في اجزاء، بربيعة خشب 12

أخر في كراسة، بدون سفر 1
أخر قديم زلايجة للكبر 1
أخر رباعي 1
أخر في الزلايجة، بدون سفر 1
أخر في الرباعي بالمطبعة الفاسية 2
أخر في الزلايجة، بغشائه 1
أخر في الزلايجة قديم، بل تكرار ....

ترجمة كتب القراءات

مجموع اشتمل على سهل المعارج إلى تحقيق المخارج، وعلى تأليف
لابن عبد السلام الفاسي وما معهما، في جزء قديم 1
غيث النفع للسفاقسي، في جزء قديم 1
شرح ابن بري في جزء جديد، والفجر الساطع لابن القاضي 2
النقاية للامام السيوطي، في جزء قديم 1
كنز المعاني على الشاطبي لشعلة في جزء 1
الجعبري، في سفرين 2
الشريشي على الخراز، في سفر قديم 1
النصف الأول من شرح الشاطبية 1
ارشاد المريدين، والقرطبي في قراءة قالون 1
نسختان من ابن المجراد السلوي، في سفرين 2
مجموع فيه الكلم في القراءات، في سفر صغير 1
تأليف في خواص سور القرءان في سفر صغير 1
نسختان من فتح المنان على الخراز 0
لابن عاشر، في سفرين 2
الجزء الأول والثاني من لطائف الاشارات 2
منار الهدى في الوقف والابتدا للشمني بالمطبعة، في سفر 1
ابن عبد السلام الفاسي في القراءات 1

ترجمة كتب التفاسير

تفسير غريب القرءان نظما للمنتاني، في جزء 1

ذو الجلالين، في جزءين، بخط جيد 2
نسختان جيدتان، بسفرين جيدين 0
أحدهما بغشاء جلد، والسجستاني في سفر 3
ذو الجلالين بخط مشرقي قديم جيد، في جزء 1
أخر في القالب الكبير، فس سفر 1
أخر في الرباعي مرموز في سفر 1
أخر في الرباعي بخط مشرقي، في سفر قديم 1
نسخ منه بخط مغربي : كل واحدة في سفر 9
أخرى، في جزءين ملفقة 2
تفسير ابن العربي في سفرين بالمطبعة 2
حاشية الجمال على الجلال بالمطبعة 4
الفخر الرازي بالمطبعة، في ثمانية اجزاء 8
اجوبة ابن الجزري، في سفر قديم 1
التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي 1
اخر في القالب الكبير، في جزءين مذهبين 2
الخازن، في اربعة اجزاء بالمطبعة 4
البيضاوي، في سفر جديد في القالب الكبير 1
الانتصاف لابن منير في القالب الكبير، في سفر 0
بخط جيد 1
الاتقان بالمطبعة في القالب الكبير في 1
ابن الجوزي في القالب الكبير، في سفر 1
اخر، في سفرين اخضرين 2
تفسير الكشاف بالمطبعة في الكبير، في 2

نسختان من كتاب التعريف للامام 0
السهيلي في الرباعي، في سفرين 2
اخرى منه متلاشية، في سفر 1
الجزء الأول من تفسير السمرقندي في الكبير 1
حاشية المدابغي على الشربيني بالمطبعة في 0
سفر كبير 1
فتح الرحمان للشيخ زكرياء الانصاري، في 1
النيسابوري، في سفر كبير ضخم قديم 1
التحبير في علوم التفسير، في سفر 1
نسختان من ابن اجطا في شرح مورد الظمآن 0
في سفرين : أحدهما مشرقي 2
الخطيب الشربيني مشرقي، في أجزاء 5
البيضاوي في سفرين كبيرين جيدين، بخط جيد 2
جزء ضخم من تفسير ابن عطية 1
روح البيان، في اربعة اجزاء بالمطبعة في القالب الكبير 4
تفسير ابن عجيبة في الرباعي، في اجزاء 6
الكشاف في القالب الكبير بخط جيد، في اجزاء 4
الخازن في القالب الكبير بخط مصري، في اجزاء 6
حاشية على البيضاوي للسيوطي، في سفر 0
مشرقي قديم 1
مجموع سور من القرآن، في سفر صغير 1
كتاب التبيان في اداب حملة القرآن 0
للنووي، في سفر 1

الفتح المبين في البحث بين السفاقسي والسمين 0
لابي حيان، في سفر 1
الدر المنثور : اجزاء متداخلة، في 12
كشف المعاني لابن جماعة مشرقي، في سفر 1
الاتقان، في سفر رباعي مشرقي 1
النصف الأول منه، في سفر رباعي 1
النصف الأول والثاني من كتاب صلة الجمع 0
للبلنسي في سفرين 2
اجزاء متداخلة من حاشية الطيبي على الكشاف 5
الأول والرابع من الخازن في الكبير 2
النصف الثاني من تفسير الكواشي من صّ إلى الختم 1
اجزاء من الثعلبي من انما السبيل إلى الختم 3
جزء اخر منه ثان، في سفر ايضا 1
اختصار الثعلبي في القالب الكبير فيه بتر 1
الثالث والرابع من اعراب السمين في القالب الكبير 2
السادس من روح البيان بالمطبعة 1
جزء من تفسير الثعلبي، في محفظة 1
الربع الثاني من الكشاف في القالب الكبير بخط حسن 1
نسخة من ذي الجلالين في سفرين وآخر أول منه 3
اجزاء من تفسير البيضاوي في الرباعي بخط مشرقي 3
البيضاوي في جزءين في القالب الكبير بخط جيد 2
نسخة منه بالمطبعة، في سفرين 2
النصف الأول منه في جزءين في القالب الكبير 2

اخر أول في جزء بخط مشرقي 1
الثاني من البغوي بخط مشرقي في القالب الكبير 1
الثاني من السمرقندي في جزء بخط مغربي في الكبير 1
الوجيز في القالب الكبير بخط جيد مذهب 1
شرح شواهد الكشاف لافاندي بالمطبعة، في سفر رباعي 1
ابو السعود في اربعة اجزاء في الكبير بخط مغربي 4
الاكليل في استنباط التنزيل في قالب رباعي 1
لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي في رباعي 1
تفسير الرصاع في القالب الكبير في سفر 1
نسختان من اللباب في مشكلات الكتاب، في سفرين 2
مجاز القرآن لابن غبد السلام بخط مشرقي، في سفر 1
تنوير المقباس في تفسير ابن عباس بالمطبعة 1
حاشية السعد على الكشاف، في سفر كبير مشرقي، بهابتر 1
الكواشي بخط مشرقي، في جزء ضخم 1
السفاقسي في القالب الكبير في جزءين 2
ابن كثير بخط جيد في القالب الكبير، في اجزاء 7
النسفي بخط جيد في القالب الكبير، في سفرين 2
نسخة اخرى منه، في سفرين في الرباعي 2
روح البيان بالمطبعة، في اجزاء 6
الجزء الثاني والرابع من الخازن بالمطبعة 2
الثاني من الكرخي على ذي الجلالين في الكبير 1
الثاني من اعراب القرءان لابي البقاء 1
جزء حاشية من أول تفسير 1

تفسير الفاتحة لابن عجيبة، في سفر 1
نسختان من الجمال على الجلال، كلتاهما في 4 8

ترجمة دلائل الخيرات والحصن والأمداح النبوية وشروحها

نسخ من دلائل الخيرات، بأغشية مؤبر 14
نسخ ايضا، باغشية جلد، بعضها بمجاديل 13
نسخة في السداسي، بغشاء من الجلد، معه سبحة 1
حجاب، بغشاء موبر، ومجدول 1
نسخ من دلائل الخيرات ايضا، بدون اغشية 18
نسختان ايضا في الثماني، ومعهما الحصن، وأحزاب 2
نسخة ايضا صغيرة مشرقية 1
أخرى صغيرة جدا 1
أخريان متلاشيتان 2
أخريان بدون سفر، ولأوراد كنتية كذلك 3
نسخة من الحصن في القالب الرباعي 1
نسخ منه باغشيتها، ومجاديلها 4
أخرى منه صغيرة ، بدون غشاء 1
حجاب بغشاء صفرا وبمجد وله 1
غشاء داخله اطراف من استار الكعبة 1
أخر داخله أوراق مكتوبة 1
نسخ اربع من مطالع المسرات لسيدي المهدي 0
الفاسي : اثنتان منها في القالب الكبير 4
المارديني ؟ على دلائل الخيرات في الثماني 1

نسخة جيدة من شرح الحصن لسيدي محمد بن عبد القادر الفاسي في القالب الكبير 1

نسختان عن شرح الحصن لسيدي محمد بن عبد القادر الفاسي ايضا في الرباعي، احداهما بسفر متلاشي 2

النصف الأول منه في الرباعي 1

نسختان من تنبيه الانام في الرباعي 1

لب الازهار في شرح كتاب الأنوار للقلصادي 1

نسخ من أسماء أهل بدر 4

الفتح المبين في الصلاة على سيد المرسلين 1

ابن زكري على الصلاة المشيشية في الرباعي 1

أجزاء من الذخيرة متداخلة، في اسفار 8

الرصاع على اسماء النبوءة، في سفر في الكبير 1

الهدية السنية في الصلاة السنية في الرباعي 1

نسختان من اعداد الزاد بشرح ذخر المعاد في 0

معارضة بانت سعاد، في سفرين 2

مجموع في الامداح النبوية : همزية وغيرها 1

نسخ 3 من الهمزية في سفر، ثم قصيدة ابن الكثير 4

مجموع فيه الشمائل، وامداح نبوية 1

نسختان من ابن حجر الهيثمي على الهمزية 2

الشريف الشبيهي على الهمزية، في سفر 1

النصف الأول من شرح عليها، بدون سفر 1

الثاني من زنيبر عليها في الرباعي، ثم بنيس عليها 2

الجبريتي على اسماء اهل بدر وما معه في 1

حاشية الباجوري على البردة بالمطبعة 1
الغبريني عليها في سفرين في الرباعي 2
نسختان من فتح المتعال في مدح النعال للمقري، 0
بإحداهما بتر من الأخير 2
مجموع في الأمداح النبوية وما معها من المتون 1
الدرة الثمينة فيما لزائر المدينة، في سفر 1
همزية السيد علي السوسي، في سفر صغير 1
شرح الصلاة المشيشية للبكري 1
شرح بانت سعاد لابن هشام، في سفر 1

ترجمة كتب الحديث وشروحها

نسخة من صحيح البخاري في القالب الكبير 0
ملفقة بالاخير، في اجزاء خمسة 5
اخرى بالمطبعة، في سفرين كبيرين 2
اخرى، في سفر في القالب الكبير 1
أخرى في القالب الكبير، في سفر 1
أخرى سداسية بخط جيد في الرباعي 6
أخرى خماسية في الرباعي، باسفار خضر 5
أخرى بالمطبعة، في سفرين ايضا 2
أخرى خماسية في الرباعي، باسفار حمر 5
أجزاء 6 كل منها اول في القالب الكبير 6
اجزاء 8 كل منها ثان في القالب الكبير 8

جزءان كل منهما ثالث : أحدهما رباعي 2
أجزاء كل منها رابع احدها رباعي 4
الثمن منه، في سفر صغير 1
جزء من رباعي 1
أجزاء منه في القالب الكبير 3
جزء منه في القالب الكبير 1
الجزء الأول منه في القالب الكبير 1
جزءان منه في القالب الكبير 2
نسخة منه بالمطبعة، في أربعة اسفار 4
اجزاء منه احدها رباعي 4
نسخة منه داخل فنيق في الرباعي، خماسية 5
أخرى منه في القالب الرباعي بخط بخاري بغشا 1
الجزء الأول منه في القالب الكبير 1
أجزاء منه في القالب الكبير 3
جزء منه ايضا 1
الجزء الأول منه مشرقي، بغشاء 1
نسخة من صحيح مسلم في الرباعي، في اجزاء 10
نسختان ايضا من صحيح مسلم في القالب 0
الكبير : إحداهما أندلسية بها بتر، في سفرين 2
نسخة منه بخط جيد، في سفرين، وجزء منه أول 3
جزء منه في القالب الكبير من البيوع إلى الضحايا 1
نسخة منه في الرباعي، في اجزاء 4
كراريس من صحيح البخاري في القالب الكبير 1

جزء منه من الأدب إلى الختم، في سفر اخضر ضخم 1
أخر أول في القالب الكبير 1
مسند الامام أحمد في القالب الكبير، في جزءين 2
نسختان من سنن ابي داوود بالمطبعة، في سفرين 2
النصف الثاني منها بخط مغربي، في سفر 1
سنن النسائي في القالب الرباعي، في اجزاء 3
نسخة اخرى منه مذهبة قديمة بخط جيد، في 2
سنن النسائي ايضا، في اسفار 3
سنن ابي داوود في سفرين بخط مصري، بغشاءين 2
ابن حجر العسقلاني على البخاري، في اجزاء كبار 20
أجزاء منه متداخلة 14
نسخة مغربية من القسطلاني بخط جيد في الرباعي 13
اجزاء من ابن حجر على البخاري متباعة في 8
مقدمة ابن حجر العسقلاني، في سفر 1
نسخة من القسطلاني بالمطبعة، في اجزاء 9
أجزاء منه مشرقية 3
نسختان من الشفاء : كل منهما في جزءين 4
نسخة منها في الثماني عمل اسطنبول، بغشاء 1
أخرى منها زلايجة 1
نسخ منها بين قالب كبير ورباعي 49
نسخ اخر 4 كل منها في جزءين، احداها بغشاء 8
النصف الأول منها، وآخران كذلك، كل في سفر 3
نسختان من الجامع الصغير، كل في جزءين 4

نسخة اخرى منه في القالب الكبير، في سفر 1
نسخ منه اربع قديمة في القالب الكبير، كل في سفر 4
الجزء الأول من الجامع الصغير، في الثماني 0
بالمطبعة، والثاني منه كذلك 2
الجامع الكبير، في سفرين ضخمين 2
نسخة من كشف الغمة، في سفرين في الكبير 2
الخصائص الكبرى للسيوطي، في الرباعي 4
حاشية الشيخ التاودي على البخاري، في 3
أخرى في القالب الكبير، في اجزاء ايضا 3
جزءان منها، في سفرين : احدهما رباعي 2
شرح الأبي على مسلم في الكبير، في اجزاء 3
المصابيح على صحيح البخاري، في سفر كبير 1
السيرة الحلبية بالمطبعة، في اجزاء 3
النووي على صحيح مسلم بالمطبعة، في 5
ابن النحاس في الجهاد في القالب الكبير، في 1
أخرى منه كذلك بخط مغربي 1
التوشيح للسيوطي على البخاري، في سفر 1
اخرى منه، في سفر ايضا 1
نسختان من جمع النهاية، في سفرين باحداهما بتر 2
الخصائص الكبرى، في سفر كبير قديم متلاش 1
القضاعي بخط اندلسي، في سفر رباعي 1
جزءان من الاصابة احدهما مشرقي ضخم كبير 2
النصف الأول والثاني من الاستيعاب في الكبير 2

الربع منه كذلك 1
شرح الاربعين النووية لعلماء فاس الاربعة، في 2
حاشية السيوطي على البخاري، في سفر كبير 1
ابن الاثير الجزري مشرقي في الكبير، في سفر، واخرى مغربية 2
الافصاح عن معاني الصحاح، في سفر رباعي 1
نسخة من سنن ابي داوود، في سفرين كبيرين أخضرين 2
مختصر البخاري لسيدي حرزوز، في سفر كبير 1
اختصار مقدمة ابن حجر لميارة، في سفر رباعي 1
جمع النهاية لابن ابي جمرة، في سفر رباعي صغير 1
جزء من القسطلاني مشرقي، في سفر رباعي 1
جزءان من القسطلاني ايضا ضخمان 2
جزءان منه في القالب الكبير 2
الجزء الأول من البخاري في الرباعي 1
الديباج للسيوطي على مسلم في الكبير 1
المشارق لعياض، في سفرين رباعيين 2
النصف الثاني منها في القالب الكبير 1
نسخة اخرى منها جيدة، في سفرين في الكبير 2
النصف الثاني من تخريج احاديث الرافعي لابن حجر 1
النصف الأول منها، في سفر ايضا 1
السيرة النبوية للشيخ زيني دحلان 0
المكي بالمطبعة، في جزءين 2
الافراني على صحيح البخاري، في سفر في القالب الكبير 1
العزيزي على الجامع الصغير بالمطبعة، في اجزاء كبار 4

نسخ من الشبرخيتي على الأربعين النووية في القالب الرباعي،

كل منها في سفر 3

نسختان من مشارق الانوار للصغاني، في رباعيين 2

التنقيح للزركشي على البخاري، في سفر 1

الفشنى على الأربعين النووية وما معه، في 1

الحفني على الجامع الصغير بالمطبعة، في 2

النووي على مسلم بالمطبعة في الكبير، في اجزاء 5

جمع الفوائد ومجمع الزوائد لابن الأثير، في اجزاء 4

نسخ من الموطا بين جديد وقديم، كل في سفر 14

نسخة منها في الرباعي، في سفر : جديدة 1

نسخة اخرى في القالب الكبير، في سفرين 2

اخرى منها في الرباعي الصغير، في سفرين مذهبيين 2

نسختان من الزرقاني على الموطا، كل في اجزاء 4 8

اخرى مشرقية، في سفرين ضخمين بغشائهما 2

الصدراتي على الموطا، في سفرين في الكبير 2

تعليق السيوطي على الموطا، في سفر صغير 1

الجزء الأول من الحريشي على الموطا، في الكبير 1

الجزء الأول من الأبي على مسلم في القالب الكبير 1

نسخة من المواهب اللدنية مشرقية في الكبير في 2

اخرى بالمطبعة في الكبير في جزءين 2

الزرقاني على المواهب بالمطبعة، في اجزاء 8

جزء رابع منه بالمطبعة ايضا 1

الحديقة الندية للنابلسي بالمطبعة، في 2

جزءان من حاشية الشبراملسي على متن 0
المواهب بخط مشرقي في القالب الكبير 2
السنوسي على مسلم في الرباعي، باسفار خضر في اجزاء 4
المؤتلف والمختلف لابن ماكولا، في سفر ضخم 1
حاشية سيدي عبد الرحمن الفاسي على البخاري، في سفر 1
بلوغ المرام لابن حجر، في سفر صغير 1
حاشية ابن زكرى على البخاري في الرباعي، في جزءين 2
الثاني من تخريج احاديث الرافعي لابن حجر في الرباعي 1
جامع الأمهات للشيخ التاودي في الرباعي، في 2
نسخ اربع من الشفاء وبهامشها المدد الفياض 4
شرح الشفاء لابن سلطان بالمطبعة، في جزءين 2
الأول من شرح الحريشي على الشفا 1
الأول من فتح الصفا على الشفا، مشرقي في الكبير 1
الجزء الثاني من الشهاب على الشفا 1
نسخ من الشمائل : احداهما في القالب الكبير 16
نسختان من جسوس على الشمائل في الرباعي 2
نسختان من المناوي عليها، احداهما في جزءين 3
البجوري عليها، في سفر رباعي 1
سيدي بدر الدين عليها، في سفر رباعي 1
حاشية القسطلاني عليها، في سفر رباعي 1
الشرقاوي عليها، في سفر رباعي 1
ابن حجر الهيثمي عليها، في سفر رباعي 1
ابن مخلص عليها وما معه، في سفر رباعي 1

الشيخ ابن سلطان عليها في القالب الكبير 1
معونة القاري على البخاري في الكبير، في جزءين 2
الشيخ زكرياء على البخاري في الكبير، في سفرين 2
الجزء الثاني من الشيخ زكرياء على البخاري، في 1
مصابيح الجامع للدماميني، في جزءين بالمشرقي 2
الواقدي بالمطبعة، في جزءين 2
ابن المناوي على الجامع الصغير في الكبير مشرقي، في 2
جزءان منه ايضا في الرباعي 2
الشيخ عبد اللطيف على الصغاني في الرباعي 2
كتاب الوفا على فوائد الشفا، في سفر كبير 1
الصغاني وما معه في الرباعي 1
قوت المغتدى للسيوطي في سفر رباعي 1
المناوي على الفية العراقي في الكبير، في سفر 1
نسختان من الشيخ زكرياء على الفية العراقي، 0
احداهما في سفر صغير ثماني 2
حاشية ابن مالك على الجامع الصحيح، في سفر 1
نسخة من البخاري مشرقية في الكبير، في سفر 1
اخرى بالمطبعة، في جزءين 2
الأول والثاني من ابن ابي جمرة على البخاري، في 2
الأول من الدماميني على البخاري، في سفر بالمغربي 1
الكوكب الساري في اختصار البخاري في الكبير، في 1
حاشية ابن غازي عليه، في سفر صغير 1
نسختان من الشفاء، في سفرين رباعيين 2

نسخ اربع من الشهاب على الشفا، كل منها في اربعة اجزاء بالمطبعة .. 16
نسختان من الدر المنظم في مولد النبي المعظم في القالب الكبير، في سفرين 2
نسخ ثلاث من البدر المنير للشعراني، كل منها في سفر صغير 3
الأجهوري على الفية العراقي في السيرة، في 1
الشيخ الطيب ابن كيران على الفية العراقي، في سفرين اخضرين في الكبير 2
الخصائص الكبرى للسيوطي، في سفرين قديمين 2
نسختان من الشنواني على ابن ابي جمرة في الرباعي، في 2
السيوطي على الفية العراقي، في رباعي 1
شرح حديث ام زرع لعياض، في سفر رباعي 1
نسخة من الشمائل في الرباعي 1
الجزء الخامس من البخاري 1
تاليفان للسمرقندي، كل واحد في سفر 2
شرح حديث ام زرع لعياض ايضا، بدون سفر 1
مجموع فيه زكرياء على الفية العراقي، في رباعي 1
نسخ ست من الفتوحات لسيدي محمد بن عبد الله 6
جزءان من الجامع الصحيح له، كل منهما ثان 2
طبق الأرطاب له ايضا، في سفر في الكبير 1
الفتح الرباني له ايضا في الكبير 1
تأليف له ايضا في اصول ضروري الدين 1
جزءان من النووي على مسلم مشرقيان، باحدهما بتر : 2
الاكتفا للكلاعي، في سفر ضخم متلاش 1
اجزاء خمسة منه في الرباعي 5
اجزاء ثلاثة منه كل منها ثالث 3

خمسة عشر جزءا منه متداخلة مكررة	15
نسخة منه ملفقة، في جزءين	2
ثلاثة أجزاء من بناني على الكلاعي، أحدها كبير	3
حاشية الدغمي على الاكتفا في جزءين	2
تأليف في تعداد ابواب الصحيح، في سفر صغير	1
نسخة من الموطا بالمطبعة في سفر	1
جزء ثالث منها بخط جيد	1
النصف الأول من الشفا بخط جيد في الكبير	1
سمط الجوهر الفاخر في السيرة، في سفر ضخم	1
نسخة من الشفا، في سفر كبير	1
جزء من مسند الامام احمد في الكبير	1
جزء من البخاري في سفر في الكبير متلاش	1
الأنوار السنية لابن جزى في الكبير، في سفر	1
مختصر المنن الكبرى للشعراني، في سفر كبير	1
نسخ من العهود المحمدية له : احداها في الرباعي	3
نسخة من النووي على مسلم بالمطبعة، في	5
نسختان من ابن الكردبوس في السيرة، في	2
جزء من سيرة الشامي في القالب الكبير	1
نسخ اربع من الواقدي، كل في سفرين : مطبعة	8
اخرى منه، في سفر كبير قديم	1
جزء منه ايضا قديم في القالب الكبير	1
اجزاء من ابن الهندي على الجامع الكبير في الرباعي	3
نسخة من جسوس على الشمائل : مطبعة، في	2

نسخة [illegible] مسلم في السفار 05
[illegible] 02
نسخة منه [illegible] 03
[illegible] في السفار [illegible] 01
نسخة منه في [illegible] اجزاء 04
[illegible] في السفار [illegible] 01
[illegible] 01
[illegible] في السفار 01
[illegible] في السفار [illegible] 02
[illegible] 02
[illegible] منها [illegible] 01
[illegible] في السفار [illegible] اجزاء 03
نسخة اخرى منه [illegible] 02
[illegible] في اسفار 03
[illegible] 02
[illegible] على البخاري واجزاء 20
اجزاء منه [illegible] 14
نسخة [illegible] 13
اجزاء من [illegible] على البخاري [illegible] 08
[illegible] 01
نسخة من [illegible] بالطبعة في اجزاء 09
اجزاء منه [illegible] 03
نسخة [illegible] 04
نسخة منها [illegible] 01
اخرى منها [illegible] 01
نسخ منها [illegible] 04
نسخ [illegible] 05
[illegible] 03
نسخة [illegible] الجامع الصغير [illegible] 04
نسخة اخرى منه في السفار [illegible] 01
نسخ منه اربع [illegible] في السفار [illegible] 04

[illegible] الجامع الصحيح [illegible] 0
[illegible] 2
[illegible] 2
نسخة من [illegible] 2
[illegible] 4
[illegible] على البخاري 5
اخرى في السفار [illegible] اجزاء 3
[illegible] 2
[illegible] 3
[illegible] 1
[illegible] بالطبعة [illegible] 3
[illegible] بالطبعة 5
[illegible] في السفار [illegible] 1
اخرى منه [illegible] 1
[illegible] على البخاري [illegible] 1
اخرى منه [illegible] 1
نسخة [illegible] 2
[illegible] 1
[illegible] 1
[illegible] 2
[illegible] 2
[illegible] 1
[illegible] 2
[illegible] على البخاري [illegible] 1
[illegible] 2
[illegible] 1
نسخة [illegible] 2
[illegible] 1
[illegible] 1
[illegible] 1
[illegible] 1
جزء [illegible] 1

[illegible]

جزء [illegible] 2
جزء [illegible] في السفار [illegible] 2
[illegible] 1
[illegible] 1
[illegible] 2
[illegible] في السفار [illegible] 1
نسخة [illegible] 2
[illegible] 1
[illegible] 1
[illegible] 0
[illegible] 2
[illegible] في السفار [illegible] 1
[illegible] بالطبعة [illegible] 4
[illegible] 0
[illegible] 3
[illegible] 2
[illegible] 1
[illegible] 1
[illegible] 2
[illegible] اجزاء 5
[illegible] 4
[illegible] 14
نسخة [illegible] 1
نسخة اخرى في السفار [illegible] 2
[illegible] 2
[illegible] 8
[illegible] 2
[illegible] 2
[illegible] 1
[illegible] على [illegible] في السفار 1
[illegible] 1

نسخة من [illegible] 2
اخرى [illegible] 2
[illegible] بالطبعة في اجزاء 8
[illegible] بالطبعة [illegible] 1
[illegible] بالطبعة 2
[illegible] 0
[illegible] في السفار [illegible] 2
[illegible] 4
[illegible] 1
[illegible] 1
[illegible] 1
[illegible] 2
[illegible] 1
[illegible] 2
[illegible] 4
[illegible] بالطبعة [illegible] 2
[illegible] 1
[illegible] 1
[illegible] 1
[illegible] في السفار [illegible] 16
[illegible] 2
[illegible] 3
[illegible] 1
[illegible] 1
[illegible] 1
[illegible] 1
[illegible] 1
[illegible] 1
[illegible] 1
[illegible] في السفار [illegible] 1
[illegible] 2
[illegible] 2

اجزاء من التيسير على الجامع الصغير 3

جزء أول من بهجة النفوس لابن ابي جمرة في الكبير 1

جزءان من المنذري في القالب الكبير 2

الدلجي على الشفاء في الكبير، في سفر 1

نسخة من كشف الغمة للشعراني مغربية، في 2

نسختان منه بالمطبعة، كل منهما في سفرين 4

جزء أول من اخرى كذلك 1

مناقب ابن حجر، في سفرين 2

نسختان من الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي : احداهما بالمطبعة، بغشاء 2

المشارق للصغاني، في محفظة 1

جزء من الوصول إلى السول في السيرة، في 1

جزء في السيرة ايضا، في سفر 1

تاليف سيدي العربي الفاسي على نظم ابن حجر في الاصطلاح، في سفر صغير 1

كتاب في الطب النبوي، في سفر صغير 1

الصفوة للمناوي، في كراريس بدون سفر 1

ابن حجر على الابعين النووية في الرباعي 1

تيسير الوصول، في سفر 1

جزء من ابن حجر على البخاري، في سفر متلاش 1

ترجمة كتب الفقه

نسخ من مختصر ابي الضياء خليل في كبير 10

نسخ من الرسالة في الرباعي، في اسفار 5

نسخة من متن ابن عاصم في القالب الكبير 1

ترجمة كتب الفقه

نسخة من مختصر ابي الضياء خليل كمل 10
نسخ من الرسالة في الرباعي والسفار 8
نسخة من مختصر ابن الحاجب في انصاف الكبير 1
نسخة من التوضيح في الكبير اجزاء 4
اجزاء منه في الكبير محررة الاول 5
حاشية الرهوني في الكبير اجزاء 4
المدونة الاول منها في الكبير في جزء 2
اثنان منها في الرباعي في اجزاء 4
نسختان من بهرام على التهذيب في الكبير 2
نسختان من الشيخ التاودي عليها رباعي 2
ابن ناجي عليها في الكبير في سفر 1
ابن الناظم عليها في الرباعي في سفر 1
والمهذب من ابن الناظم وابن عاشر في سفر 1
نسختان من جارة الصغير على ابن عاشر 2
شفاء الغليل في حل مقفل خليل في الرباعي 1
نعم الخيرات للتونسي في الرباعي 1
الديباج المذهب لابن فرحون في سفر 1
جزء منه في الكبير واخرى في الكبير ايضا 2
نظم العمليات الفاسية للرهوني في الكبير 1
نظم الحطاب لمن احب علمه في سفر 1
نظم مختصر ابن الحاجب للشراز في الرباعي 1
الجامعة للعلمي في الرباعي 1
نسختان من ابن الربيع والمرادي في الكبير 2
جملة ابن ابي زيد في الرباعي وابن الناظم 1
نظم التكميل على منظومة التحفة 4
الغيث على ابن عاصم في سفر 1

نسخة من التوضيح على خليل في الطبعة 5
نسختان من المرشد في سفر 2
جزء من الاشباه والنظائر في الكبير 1
نسختان من المراغي كل في سفر 8
اخرى منه في سفر 1
جزء منه ايضا في انصاف الكبير 1
اجزاء من ابن يونس على الجامع الكبير 3
نسخة من جسوس على الشمائل في الطبعة 2
اجزاء من التبصرة على الجامع الصغير 3
جزء اول من النصف الاخير في الكبير 1
جزء ثان من الزرقاني في انصاف الكبير 2
الدرر على الشفاء في الكبير في سفر 1
نسخة من كشف الغمة للشعراني 2
نسختان من الطبعة كل منها في سفر 4
جزء اول من الخرشي لتمامه 1
مناقب ابن حجر في سفر 2
نسختان من التحفة والمنهج لابن جزي 5
الميسر لطالب الحاجة بالطبعة 2
المختار للمعلى في مجلد 1
جزء من الموطأ الاول في الكبير 1
جزء من الثاني ايضا في سفر 1
تأليف في العمل الفاسي على نظم ابن جزي 5
الحلال في سفر 1
كتاب في الطب في سفر 1
العمدة للبناني واخرى في سفر 1
ابن جزي على الرسالة والتعريف 1
نظم ابن عاصم في سفر 1
جزء من ابن حجر على البخاري في سفر 1

اجزاء اثنان من الشيخ زكرياء على البخاري 1
حاشية الجامع للدماميني في سفر 2
الموافقات بالطبعة في جزء 2
ابن المناوي على الجامع الصغير في الكبير 2
جزء من ابن حجر ايضا في الرباعي 2
الشيخ عبد الرحمن على المختصر في الرباعي 2
كتاب ابن عاصم من ابن الشاط في سفر 1
المختصر وما معه في الرباعي 1
فوائد النشر للسيوطي في سفر 1
اثنا عشر على التهذيب في الكبير في سفر 1
نسختان من الشيخ زكرياء على الجزء الاول 5
ابن احمد في سفر 2
حاشية ابن ماجة على الجامع الصحيح 1
نسخة من البخاري في الكبير في سفر 1
ابن حجر بالطبعة في جزء 2
الاول والثاني من ابن الدهري على البخاري 2
الاول من القسطلاني على البخاري 1
التدريب والتقريب للنووي في الكبير 1
حاشية ابن غازي في سفر 1
نسختان من الشفاء في سفر 2
نسخ اربع من الشمائل على الشعلان 5
منها الرابعة اجزاء بالطبعة 16
نسختان من ابن الجزري والشاطبية 5
الاقناع في الكبير في سفر 2
نسخ ثلاث من الحزب للشعراني 5
منها في سفر 3
الاحياء على ابن الحاجب في الرباعي 1
الاسماء للطبراني على الجزري 5
الحكم في سفر من احمد في الكبير 2
الاحكام للسيوطي في سفر 2
نسختان من ابن هشام على الجرومية 2

المسند على البخاري في الرباعي 1
شرح حديث ام زرع لعياض في سفر 1
نسخة من الشمائل في الرباعي 1
الجزء الثالث من البخاري 1
كتاب الشمائل للترمذي في سفر 2
شرح حديث ام زرع لعياض وابن جابر في سفر 1
مجموع به زكرياء على البخاري في الكبير 1
نسخ ست من الصحيح للبخاري 6
جزء من الجامع الصحيح في الكبير 2
موطأ مالك في الكبير 1
القسم الثاني في الكبير 1
ما بقي في الكبير والبردة 1
جزء من مسلم في سفر 2
الاكتفاء للكلاعي في سفر 1
اجزاء خمسة في الرباعي 5
اجزاء ثلاثة في سفر 3
خمسة عشر جزءا من الكبير 15
نسخة منه ملفقة في جزء 2
ثلاثة اجزاء على الكلاعي 3
حاشية الدرمي على الشفاء في جزء 2
تأليف في تعداد ابواب الصحيح 1
نسخة من المعلم بالطبعة في سفر 1
جزء ثالث منها 1
النصف الاول من الشفاء في الكبير 1
شرح النجوم في الرباعي في سفر 1
مسند من الشفاء في سفر 1
جزء من مسند الامام احمد في الكبير 1
جزء من البخاري في سفر 1
الاول من الكتاب في الكبير في سفر 1
شرح السيرة للشعراني في سفر 1
نسخ من المسند به اجزاء 3

نسخة من التوضيح في الكبير، في اجزاء 4
اجزاء منه في الكبير مكررة الاول 5
حاشية الرهوني في الكبير، في أجزاء 4
النصف الأول منها في الكبير في جزءين 2
الثاني منها في الرباعي، في اجزاء 4
نسختان من ميارة على التحفة في الكبير، في 2
نسختان من الشيخ التاودي عليها رباعي، في 2
اليزناسني عليها في الكبير، في سفر 1
ابن الناظم عليها في الرباعي، في سفر 1
فقهيات سيدي عبد القادر الفاسي، في سفر 1
نسختان من ميارة الصغير على المرشد 2
شفاء الغليل في حل مقفل خليل في الرباعي 1
بعد (كذا)الفروق للونشريسي في الرباعي 1
الديباج المذهب لابن فرحون، في سفر 1
جزء منه في الكبير واخرى في الكبير ايضا 2
شرح العمليات الفاسية للرباطي في الكبير 1
شرح القباب لقواعد عياض، في سفر كبير 1
شرح مختصر ابن الحاجب للشيرازي في الجدال، في سفر ضخم 1
الجامعة للعلمي، في رباعي صغير 1
نسختان من القوانين لابن جزي احداهما في الكبير 2
فقه الفرائض للرسموكي في القالب الكبير 1
شرح الشيخ عليش المصري على المختصر، في 4
القباب على ابن جماعة، في سفر صغير 1

حاشية مولانا سليمان على سيدي الخرشي، في سفرين في 2
الخراص على لامية الزقاق وما معه، في سفر 1
نسختان من الشيخ ميارة على الزقاق وما معه، في سفرين 2
أخرى منه ايضا في الكبير، ومعها حاشية يعيش عليه 1
نسختان من الزرقاني على العزبة لابن عبد السلام بالمطبعة، في سفرين .. 2
المرتبة (كذا) العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، في 1
أخرى وما معها في القالب الكبير 1
سيدي احمد زروق على القرطبية وما معه، في سفر صغير 1
نسختان من ابي الحسن على الرسالة، في جزءين 2
تعليق الجنان على المختصر في الرباعي 1
نسخة جيدة من ميارة الكبير على المرشد في الكبير 1
التحرير لمسائل التصيير وما معه في الرباعي، في سفر 1
السيتاني على التلمساني في الفرائض، في سفر 1
ابن اصبغ في العبادات وما معه، في سفر رباعي 1
مناسك الحج لليعقوبي، في سفر واخرى بدونه 2
الحطاب على المناسك، في سفر رباعي 1
مجموع للشيخ الأمير في الفقه، في سفر ضخم 1
فرائض الحوفي، في سفر صغير 1
حاشية الشيخ مصطفى على خليل، في سفر كبير 1
نسختان من ابي الحسن على الرسالة، في سفرين 2
حاشية الصعيدي عليه بالمطبعة، في سفرين 2
أخرى منه بخط مشرقي، في سفرين 2
التتائي على الرسالة، في سفرين في الرباعي بالمشرقي 2

حاشية مولانا بيلما على ابن القرشي في سفر 2
الاربعين على اسيد الرفاو وما معه في سفر 1
نسختان من الشيخ ميارة على ابن رفاو وما معه في سفر 2
اخرى منه ايضا في التكسير ومعها طلب لخزرجي 1
نسختان من الزرقاني على العزية والحسن البطليوسي ٥
بالمطبعة في سفر 2
المرتبة العليا من تعليم الصغار والعبادة 1
اخرى وما معها في انقاب الكبير 1
تنبيه بن زروق على القرطبية وما معه في سفر 1
نسختان من ابن الحسن على الرسالة في جزء 2
تعليم الحنار على المختصر في ربا 1
نسخة من ميارة الكبير على المرشد الكبير 1
احمد بن الناصر وما معه في الرباعي في سفر 1
الحسن على الكلمات الاربع في سفر 1
ابن الصغير في العبادات وما معه في سفر رباعي 1
مناسك ابن البعنوقي في سفر واحد 2
الحطاب على المناسك في سفر رباعي 1
مجموع للشيخ الامير في الفقه في سفر 1
وابن العربي في سفر 1
حاشية الشيخ مصطفى على خليل في سفر 1
نسختان من ابن الحسن على الرسالة في سفر 2
حاشية الصعيدي بالمطبعة في سفر 2
اخرى منه بخط مشرقي في سفر 2
الحطاب على الرسالة في سفر في الرباعي بالنية 2
نسختان من ميارة الكبير على ابن العيز في الكبير 2
نسختان من الصغير عليه في سفر رباعي 2
ابن عرفة وعلى الاشراف العير وما معه في الكبير 2
نسخة اخرى منه في الرباعي 1
نسختان من ميارة على التحفة في الكبير في سفر 2
الشبهات لعياض في سفر في انقاب الكبير 1
الشماع للنووي في سفر رباعي 2

وقاية الرواية في مسائل الهداية في سفر 1
نسختان من الاجرومية اتمام في الرباعي 2
نسختان من الالفية اربعة اجزاء ٥
والاخرى في جزء 6
اجزاء من ابن عرفة 3
حاشية بناني على الزرقاني في اسفار رباعية 4
نسختان من التاج والاكليل في الرباعي 2
ثلاثة اجزاء من نوازل البرزلي في الكبير 3
نسخة من سيدي محمد ملفقة في الكبير 4
الاجارة منه في سفر في انقاب الكبير 1
جزء منه في الكبير من الزكاة الى الخيار 1
الزكاة والبيوع منه في سفر 2
اجزاء منه بالمطبعة الفاسية 4
شرح الدردير على المختصر بالمطبعة في سفر 1
الخرشي على المختصر في الكبير في سفر 2
البيوع منه في الكبير في سفر 1
نسخة منه في سفر في الرباعي 2
الدسوقي على الدردير بخط مشرقي في اجزاء 3
اخرى منه بخط مشرقي اجزاء 4
اجزاء منه بالمطبعة 3
الحطاب على المختصر والكبير في سفر 2
ابن ... في الكبير في سفر 1
مجموع من مسائل ابن الصغير والعيد والكبير 1
الخرشي من ملتقى مختصر على احكام الكبير 1
ثالث منه ثان في الكبير ايضا 1
جزء ثان في الفقه من احكام في الكبير 2
جزء اول من الصغير على التحفة في سفر رباعي 2
الاول والثاني من صفحات ابن ٥
ثالث منها 3
الخرشي الاول من الحطاب على خليل في الكبير 1
العبادات والبيوع والاجارة ابن ابي زرفان 3

اجزاء ثلاثة من حاشية الامير على الزرقاني 3
الاول والثاني من نوازل ابن زروق للشيخ ابن 3
جزء من الشرح الكبير على خليل بخط مشرقي 2
الاول في علم التوحيد في سفر رباعي 1
الاول والثاني من التهذيب في الكبير 2
الاول من ابن ... في انقاب الكبير 1
جزء رباعي من كتاب التفسير 1
جزء من الابريز بخط مشرقي 2
اجزاء من شرح ابن رحال على خليل في 24
تحفة الاول على الرسالة في الكبير في سفر 1
الثاني من شرح ابن عرفة والعقد في الكبير 1
الاول والثاني والثالث من ابن ... على خليل 3
المعيار على المرونة في انقاب الكبير 1
رحمة الامة في اختلاف الائمة في الرباعي 1
الاول من الحطاب على ... في الكبير 1
براءة الجمهور لابن رشد في الكبير 1
اجوبة المسائل العلمية في سفر في الكبير 1
اسئلة واجوبة تيسير ... في الرباعي 1
الجمهور على منهاج ابن ... في الكبير 1
الجزء الثالث من الدردير على خليل في الكبير 1
الخامس الثاني من حاشية ابن عاشر على خليل 1
ابن الرحال بالمطبعة في سفر 2
تتمة من ... الشيخ ... في جزء 5
الثاني من ... في الكبير 1
جزء اول من ... وعلى ... في الكبير 2
ابن ... على ... في الرباعي 1
ابن الاثير 1
الاول من ... بخط مشرقي 1
... من 1
... في ابن ... والرباعي 1
... في الرباعي 1

الشامل لبهرام في سفر في الكبير 1
الطبقات ... للذهبي في سفر 1
ايضاح المسالك للونشريسي في الرباعي 1
اجزاء من الحطاب من ٥
الاول التمام ... من ... الى 4
اجزاء منه ... من ... الى ٥
الزكاة والثاني من ... الى ٥
والثالث من الاجارة الى 3
جزء من كل منهما اول 2
... احدهما من الزكاة ٥
الى ... والثاني من ... الى الاجارة 2
... من الزكاة الى 1
خمسة اجزاء من المعيار 5
اجزاء منه متداخلة ملفقة 6
كتب ابن رشد في سفر رباعي 2
نسخة من ميارة الكبير على المرشد في الرباعي 1
اخرى منه بالمطبعة في سفر 2
... على ابن رفاو في سفر 1
... على ... في سفر الكبير 1
نسخة اخرى منه ... المطبعة في سفر 2
الخامس الثاني من ... على الرسالة 1
الشيخ ... على التحفة 1
ابن ... على ... في الكبير 1
الخامس الثاني من ابن 1
جزء اول من 2
كتاب ... في ... في الكبير 1
الخامس الاول من ... على 1
الربع الاخير من حاشية ... في سفر 1
نسخة من ... بالمطبعة ... اجزاء 9
جزء ... في الكبير 2
اجزاء منه بالمطبعة 4

نسختان من ميارة الكبير على المرشد المعين في الكبير 2
نسختان من الصغير عليه، في سفرين رباعيين 2
ابن عبد الصادق على المرشد المعين وما معه، في الكبير 2
نسخة اخرى منه في الرباعي 1
نسختان من ميارة على التحفة في الكبير، في سفرين 2
التنبيهات لعياض في سفر في القالب الكبير 1
المنهاج للنووي، في سفرين رباعيين 2
وقاية الرواية في مسائل الهداية، في سفر صغير 1
نسختان من الاجوبة الناصرية في الرباعي 2
نسختان من المواق، احداهما في اربعة اجزاء والاخرى في جزءين 6
اجزاء من ابن عرفة 3
حاشية بناني على الزرقاني، في اسفار رباعية 4
نسختان من الفائق للونشريسي في الرباعي 2
ثلاثة اجزاء من نوازل البرزلي في الكبير 3
نسخة من سيدي الخرشي ملفقة في الكبير، في 4
الاجازة منه في سفر في القالب الكبير 1
جزء منه في الكبير من الزكاة إلى الخيار 1
الذكاة والبيوع منه، في سفرين رباعيين 2
اجزاء منه بالمطبعة الفاسية 4
شرح الدرديري على المختصر بالمطبعة، في سفر 1
التتائي على المختصر في الكبير، في سفرين 2
البيوع منه في القالب الكبير، في سفر 1
نسخة منه في سفرين في الرباعي 1

الدسوقي على الدرديري بخط مشرقي، في أجزاء 3
أخرى منه بخط مغربي، في أجزاء 4
أجزاء منه بالمطبعة 3
الفيشي على المختصر في الكبير، في سفرين 2
الفروق للقرافي في الكبير، في سفر 1
مجموع لابن هشام فيه المفيد والمعين، في الكبير 1
النصف من حاشية مصطفى على التتائـي، في الكبير 1
اخر منه ثان في الكبير ايضا 1
جزءان في الفقه احدهما اخضر في الكبير، وأخر رباعي 2
جزءان من الصعيدي على الخرشي مشرقي رباعيان 2
الاول والثاني من مقدمات ابن رشد، وجزء آخر منها 3
النصف الأول من السوداني على خليل في الكبير 1
العبادة والبيوع والاجارة من الزرقاني 3
اجزاء ثلاثة من حاشية الامير على الزرقاني 3
الأول والثاني من نوازل ما زونة للمغيلي، في الكبير 3
جزءان من التتائـي الكبير على خليل بخط مشرقي 2
اللائق في علم الوثائق، في سفر رباعي 1
الأول والثاني من التهذيب في الكبير 2
الأول من البرادعي في القالب الكبير 1
جزء رباعي من تكميل التقييد لابن غازي 1
جزءان من نوازل البرزلي بخط مشرقي 2
اجزاء من شرح ابن رحال على خليل في الكبير 24
تحقيق المباني على الرسالة في الكبير، في سفر 1

الثاني من مختصر ابن عرفة في الفقه في الكبير 1
الأول والثاني والثالث من بهرام على خليل 3
المشدالي على المدونة في القالب الكبير 1
رحمة الامة في اختلاف الايمة في الرباعي 1
اختصار المتيطية لابن هارون في الكبير 1
بداية المجتهد لابن رشد في الكبير 1
اجوبة السملالي الفقهية، في سفر في الكبير 1
اسئلة واجوبة لسيدي احمد بن المبارك في الرباعي 1
المنجور على منهاج الزقاق في الكبير 1
الجزء الثالث من الدرعي على خليل في الكبير 1
النصف الثاني من حاشية ابن عاشر على خليل 1
الفيض الرحماني بالمطبعة، في سفرين 2
نسخ 4 من ميزان الشعراني احداها، في جزءين 5
التبصرة الفرحونية وشرح العمل الفاسي في الكبير 1
جزءان من ابن عبد الصادق على خليل في الكبير 2
ابن الشاط على الفروق مشرقي في الرباعي 1
الجزء الاخير من مناهج التحصيل للرجراجي على المدونة 1
الأول من تبصرة القرافي بخط مشرقي (كذا) 1
سفر ضخم من تنبيهات عياض، به بتر 1
القلصادي في الفرائض في الرباعي 1
التزامات الحطاب في الرباعي، في 1
الشامل لبهرام في سفر، في الكبير 1
الطبقات الحنفية للكوفي، في سفر ضخم 1

ايضاح المسالك للونشريسي، في الرباعي 1
اجزاء من الحطاب من فرائض الصلاة إلى التمام، به بتر من الحج إلى اليمين 4
اجزاء منه احدها من الابتداء إلى الزكاة والثاني من النكاح إلى الخيار،
والثالث من الاجارة إلى التمام 3
جزءان منه كل منهما اول 2
اخران منه احدهما من الذكاة إلى الخصائص والثاني من الخيار إلى الاجارة 2
اخر منه من الذكاة إلى الخصائص 1
خمسة اجزاء من المعيار من تجزية ستة 5
اجزاء منه متداخلة ملفقة 8
كنز الدقائق، في سفرين رباعيين 2
نسخة من ميارة الكبير على المرشد في الرباعي 1
اخرى منه بالمطبعة، في سفرين 2
بناني على الزقاق، في سفر 1
الرباطي على العمل الفاسي، في سفر في الكبير 1
نسخة اخرى منه بالمطبعة، في سفرين 2
النصف الثاني من سيدي يوسف بن عمر على الرسالة 1
الشيخ التاودي على التحفة والزقاق، في سفر رباعي 1
ابن السالك الجرني على المرشد في الكبير، في سفر 1
النصف الثاني من ابن الطيب القادري على المرشد 1
جزءان من الاحكام الشرعية لبعض الاندلسيين 2
كتاب فقهي في المذهب الحنفي في الكبير 1
النصف الأول من الدسولي على التحفة في الرباعي 1
الربع الأخير من حاشية الرهوني، في سفر رباعي 1

نسخ 3 من المدخل بالمطبعة، كل منها في اجزاء 3 9
جزءان منه مغربيان في الكبير 2
اجزاء 4 منه بالمطبعة 4
جزء من شرح على المختصر في الكبير 1
جزء من حاشية السوداني على خليل في الكبير 1
نسخة من ميارة الصغير على المرشد، في سفر 1
نسختان من سنن المهتدين للمواق في الرباعي، في 2
اجوبة ابن القاسم وما معها، في سفر رباعي 1
حاشية على العشماوية بالمطبعة، في سفر 1
اخرى منها كذلك 1
نسخ من شرح سيدي يوسف الفاسي على التثبيت 3
درر الغواص على فتاوي الخواص في الرباعي 1
نوازل الورززي، في سفر رباعي 1
النصف من ازهار البستان في طبقات الاعيان لابن عجيبة، في سفر رباعي 1
النصف الثاني من شرح على الرسالة في الكبير 1
الاول من المدارك لعياض في الكبير 1
حاشية الصعيدي على ابي الحسن بالمطبعة، في 2
تاليف في الفرائض، في سفر رباعي متلاش 1
المستصفى للغزالي، في سفر قديم 1
نسختان من تعليق جسوس على توحيد الرسالة، وعلى الشمائل، في سفرين 2
قيد الأوابد للنسفي وما معه، في سفر 1
مصنف من الفقه، في سفر 1
جزء من شرح على خليل، في سفر 1

تاليف في علم الفرائض في سفر	1
نسخة من الزرقاني على المختصر وبهامشها بناني	8
تاليف ابن حرازم الصنهاجي في الصوم، في سفر	1
مختصر الحاوي في الفتاوي، في سفر	1
مجموع فيه الرسالة وما معها، في سفر	1

ترجمة كتب اللغة

نسخ اربع من القاموس بخط مغربي	0
في الكبير كل منها في سفرين	8
النصف الاول منه بخط مغربي في الكبير	1
الربع منه بخطمغربي في الكبير،في سفر	1
نسخ منه اربع بالمطبعة، كل في سفرين ف الكبير	8
نسخة منه بالمطبعة، في سفر في الكبير	1
نسختان منه بالمطبعة، كل منهما في اربعة	8
حاشية عليه في اربعة اجزاء رباعية	4
الصحاح للجوهري، في جزءين رباعيين	2
المصباح المنير، في سفر في القالب الكبير	1
المزهر للسيوطي بالمطبعة،في سفريناخضرين	2
اضاءةالادموس في اصطلاح القاموس، في	1
نسخ من مختصر العين للزبيدي في الرباعي والكبير،	0
كل في سفر	3
مختارالصحاح في الثماني بالمطبعة	1

جزء من شرح على المختصر في الكبير 1
جزء من حاشية الصودا على خليل في الكبير 1
نسخة من مدارك الصغير على ابن شرح سعى 1
نسخة من سنن المعز الوان في الرباعي 2
اجوبة ابن القاسم وما معها في سعى رباعي 1
حاشية على التحفة بالطبعة في سعى 1
اخر منها كل سعى 1
نسخ من شرح سيدي يوسف الفاسي على الشيخ 3
زروق على متن الفوائد في الرباعي 1
نوازل الورزازي في سعى رباعي 1
نسخة من ارجوزة البستاني في صفات الاعيان 0
لابن مجحوم في سعى رباعي 1
نسخة اخرى من شرح على الرسالة في الكبير 1
للاغواط على الرسالة في الكبير 1
حاشية الصعيدي على ابي الحسن بالطبعة في 2
تاليف في ابن ابي في سعى رباعي متلاشي 1
المستصفى للغزالي في سعى قديم 1
نسختان من تعليق جسوس على ميارة الرسالة 0
وعلى المرشد في سعى 2
فيه الاجوبة للشعبي وما معه في سعى .. 1
مختصر في الفقه في سعى 1
جزء من شرح على خليل في سعى 1
تاليف في على الفقه في سعى 1
نسخة من الزرقاني على المختصر وبهامشها بناني 8
تاليف ابن حرازم المنهاج في الصوم ... 1
مختصر القاضي في البتار في سعى 1
مجموع فيه الرسالة وما معها في سعى 1

ترجمة كتب اللغة

نسخ اربع من القاموس بخط مغربي .. 0
في الكبير كل منها في سعى 8
النصف الاول منه بخط مغربي في الكبير ... 1
اربع منه بخط مغربي في الكبير ... 1
نسخ منه اربع بالمطبعة من سعى 8
نسخة منه بالمطبعة في سعى في الكبير ... 1
نسختان منه بالمطبعة كل منها في اربعة 8
حاشية عليه في اربعة اجزاء رباعية 4
الصحاح للجوهري في جزء من رباعي 2
المصباح المنير في سعى في القالب الكبير 1
المزهر للسيوطي بالمطبعة في سعى ... 2
اضاءة الادموس في اصطلاح القاموس 1
نسخ من مختصر العين للزبيدي في الرباعي والكبير 3
مختار الصحاح في اثنان بالمطبعة 1
المثلث لابن السيد البطليوسي في الكبير ... 1
جزء من خطبة القاموس في سعى ... 1
حاشية الفراء على القاموس في الكبير .. 1
المصباح المنير بالمطبعة في سعى 2
اخرى منه بالمطبعة في سعى 1

ترجمة كتب النحو

نسخ خمس من المكودي على الالفية 5
نسخ ست من التوضيح احداها في الكبير 6
نسخة من التصريح وجزء او ضد كل 0
اول واخر منه في سعى 5
نسختان من حاشية يس في الرباعي ... 0
احداها في سعى 3
نسختان من التسهيل في سعى 2
نسختان من مغني اللبيب احداهما في الكبير 2
اختصار مغني اللبيب في سعى صغير 1
الدروس على المغني بالمطبعة في الكبير 1
شرح الشماء على نظم مفردات المغني 1
نسخ من الاشموني على الالفية ثلاث 3
حاشية الكبار على نسخة بالمطبعة في سعى 2
اخرى منه بالمطبعة في ثلاثة اسفار 3
تقرير الانبابي على حاشية الصبان بالمطبعة 2
الانبابي على الالفية في سعى ... 1
ابن مالك على الالفية في سعى 1
ابن الناظم على الالفية في سعى 1
نسختان من المرادي على الالفية في سعى 2
جزء من حاشية الشيخ الكبير عليها ... 1
لابن زكري على الاجرومية في سعى 1
المطول مختصر بالمطبعة في سعى صغير 1
نسخة من حاشية ابن حمدون على ابن عقيل 0
في سعى في الكبير 2
حاشية الشبراملسي عليه في سعى 1
نسختان من النكت للسيوطي احداهما 2
حاشية ابن حمدون على الالفية في سعى .. 1
ابن غازي على الالفية ... 1
شرح الجلالي على نظم في التصريف ... 1

ثم من الطلاب في صناعة الاعراب للازهري 1
ابن عبد السلام البلبيسي على الالفية في سعى 1
شرح على الاجرومية وما معه في سعى ... 1
الكتب للسيوطي ومعها الاجرومية في سعى 1
تاليف في النحو في سعى رباعي ... 1
شرح شواهد العيني وما معه في سعى 1
شرح شواهد ابن هشام بالطبعة في اجزاء 4
حاشية سيدي المهدي بن الطالب بن سودة 0
على الاجرومية وما معها في سعى 1
تاليف في النحو في سعى رباعي 1
شرح شواهد ابن هشام في سعى رباعي 1
كتاب في النحو في سعى مبتور من الاول 1
شرح على الالفية بخط مشرقي في سعى 1
نسختان من اكمال الشيخ في سعى 2
حاشية الشيخ على المرادي في سعى ... 1
الاول من حاشية على التصريح في 1
شرح الازهري على ابن هشام في سعى ... 1
نسخة من الصبان على الاشموني في سعى 2

المثلث لابن السيد البطليوسي في الكبير 1
فتح القدوس في خطبة القاموس، في سفر رباعي 1
حاشية القرافي على القاموس في الكبير،في 1
المصباح المنير بالمطبعة ،في سفرين 2
اخرى منه بالمطبعة،في سفر 1

ترجمة كتب النحو

نسخ خمس من المكودي على الالفية كل منها في سفر رباعي 5
نسخ ست من الموضح : إحداها في الكبير 6
نسخة من التصريح في سفر، وجزءان منه كل أول، واخرى منه في سفرين 5
نسختان من حاشية ياسين في الرباعي، احداهما في سفرين 3
نسختان من التسهيل، في سفرين : كبير ورباعي 2
نسختان من مغنى اللبيب احداهما في الكبير 2
اختصار مغنى اللبيب، في سفر صغير 1
الدسوقي على المغني بالمطبعة في الكبير 1
شرح السملالي على نظم مفردات المغني 1
نسخ «3» من الاشموني على الالفية، كل في سفر 3
حاشية الصبان عليه بالمطبعة، في سفرين 2
اخرى منه بالمطبعة، في ثلاثة اسفار 3
تقرير الانبابي على حاشية الصبان بالمطبعة، في 2
الانباسى على الالفية، في سفر مشرقي 1
المقري على الالفية، في سفر 1

الفارضي على الالفية، في سفر 1
نسختان من المرادي على الالفية، في سفرين 2
جزء من حاشية الشيخ الطيب عليها 1
ابن زكري على الفريدة، في سفر 1
المفصل للزمخشري بالمطبعة، في سفر صغير 1
نسخة من حاشية الخضري على ابن عقيل، في سفرين في الكبير 2
حاشية الشجاعي عليه، في سفر 1
نسختان من النكث للسيوطي : إحداهما في سفر صغير 2
حاشية ابن منصور على الالفية، في سفر 1
سفر ثماني ضخم فيه حواشي على الالفية 1
شرح السجلماسي على نظمه في التصريف 1
تمرين الطلاب في صناعة الاعراب للازهري، في 1
ابن عبد السلام الفاسي على اللامية، في سفر 1
شرح على الجرومية وما معه، في سفر 1
النهجة للسيوطي، ومعها الرسموكي، في سفر 1
تاليف في النحو، في سفر رباعي به بتر 1
شرح شواهد العيني وما معه، في سفر 1
شرح شواهد الراضي بالمطبعة، في اجزاء 4
حاشية سيدي المعطي بن الصالح على السوداني على الجرومية، وما معها،
في سفر 1
تاليف في النحو، في سفر رباعي 1
شرح شواهد الشريف للدقون، في سفر رباعي 1
كتاب في النحو، في سفر كبير مبتور من الاول 1

شرح على الالفية بخط مشرقي، في سفر 1
نسختان من الكامل للمبرد، في سفرين كبيرين 2
حاشية المنجرة على المرادي، في سفر 1
الاول من حاشية قصارة على التوضيح، في 1
شرح الشدور على ابن هشام، في سفر 1
نسخة من الصبان على الأشموني، في سفرين 2

ترجمة كتب الاصول والمعقول والمنطق والتوحيد

نسخة من جمع الجوامع، في سفر 1
الأزهري عليه، في سفر 1
نسختان من ابن ابي شريف عليه في الكبير، في 2
زكرياء على المحلي، في سفر 1
حاشية بناني على المحلي، في سفر 1
حاشية بناني على المحلي، في سفر 1
الشيخ احلولوا على جمع الجوامع، في 1
العراقي عليه، في سفر 1
جزءان من العبادي على المحلي 2
أخر منه متلاش، في سفر 1
حاشية على الاصول، في سفر 1
مؤلف في الاصول، في سفر 1
التنقيح للقرافي، في سفر 1
منهاج الوصول في الاصول 1

ترجمة كتب الاصول والعقائد والمنطق والتوحيد

نسخة من جمع الجوامع في سفر ... 1
الآيات عليه في سفر ... 1
نسختان من ابن ابي شريف عليه في الكبير 2
زكرياء عليه في سفر ... 1
حاشية بناني على المحلي في سفر ... 1
الشيخ حلولو على جمع الجوامع في 1
الامام عليه في سفر ... 1
جزآن من العبادي على المحلي ... 2
شرحه مثلا في سفر ... 1
حاشية على الاصول في سفر ... 1
مؤلف في الاصول في سفر ... 1
التنقيح للقرافي في سفر ... 1
منهاج الوصول في الاصول ... 1
احكام الفصول للباجي ... 1
ابن ركين على جمع الجوامع في سفر ضخم ... 1
نسخ ثلاث من الصغرى كل منها في سفر ... 3
نسختان من مختصر السعد على التلخيص كل في سفر 2
حاشية اليوسي على الصغرى في سفر ... 1
نسخ اربع من مختصر السعد كل منها في سفر 4
اختصار مختصر السعد للشاذلي في سفر 1
الرسوم على السعد في سفرين بالرابطة 2
الشيخ بناني على السعد في سفرين 2
نسخة من المطول في سفرين ... 2
نسختان من حاشية يس على السعد ... 3
حاشية البناني على المطول في سفر ... 1
المختصر على السعد في سفر ... 1
حاشية سيدي عمر الفاسي عليه في سفر 1

ومن تمام الترجمة قبلها

التحفة الاولى من ابن الاحمد على التلخيص 1
حاشية الدسوقي على الشعر في سفر ... 1
الايضاح للقزويني في سفر ... 1
الشيخ مخلوف على الاستعارة في ... 1
الجوهر المكنون في سفر ... 1
شرح عبد الرحمن الاخضري على جوهره 1
الشيخ الثالث من البيان للسعد ... 1
شرح ابن عرفات لابن الحاجب في سفر 1
تاليف في البيان في سفر ... 1
حاشية في البيان في سفر ... 1
العطار على الفارسية في سفر ... 1
مختصر السنوسي في المنطق في سفر ... 1
حاشية اليوسي على مختصر السنوسي 1
حاشيتان في المنطق في سفرين ... 2
شرح السنوسي على مختصر ابن عرفة في المنطق 1
شرح ابن ... على ... ابن الحاجب في سفر 1
شرح على السلم وما معه في الكبير 1
شرح على التوحيد ... في سفر 1
مباحث الكلام في كلمة الاسلام للشيخ ... 1
حاشية اليوسي على السنوسية ... 1
الشيخ مصطفى على مختصر السنوسي 1
شرح عقائد ابن الشيخ في سفر ... 1
شرح السنوسي على مقدمته في سفر 2
حواشي عليه في سفر ... 1
الرسالة عليه شرح الصغرى له 2
شرح على الجلالة ... 2
الجزائري على ... 2
تاليف في علم الكلام ... 2
تعليق على ابن ... 1

ترجمة كتب التاريخ والادب والروحانيات والطب

رحلة العياشي ورحلة ابن بطوطة ورحلة 5
ابن عثمان كله في سفر ... 3
تاريخ مكة ... في سفر ... 1
نشر المثاني للقادري في سفر ... 1
نسخ من نزهة الحادي كل في سفر ... 3
نسختان من صفوة من انتشر في سفر 2
نسخة من تاريخ ابن خلدون بالمطبعة في 7
نسخ اربع من ... بالمطبعة 5
من مقدمة ابن خلدون كل في سفر ... 4
اجزاء من تاريخ ... في اسفار ... 4
نسخة من الخطط والآثار للمقريزي في سفرين 2
ربيع الابرار للزمخشري في سفرين ... 2
نسختان من ابن الاثير بالمطبعة كل 5
منهما في ستة اجزاء ... 12
ابن الكلبي ... في سفر ... 1
الجمان في اخبار الزمان في سفر ... 1
اختصار في سفر ضخم كبير ... 1
ابن خلف في سفر في الكبير ... 1
الاعلام بمن ... في سفر 1
نسخ من خلاصة ... 5
بالمطبعة كل منها في سفر ... 3
تاريخ دولة الموحدين في سفر ... 1
رفع ... في سفر ... 1
جزء ... في سفر 1
مجموعات ... في سفر ... 2
نسخة من تاريخ ... بالمطبعة في سفرين 2
الجزء الثالث من ... في سفر 1
الاول والثاني والثالث ... 5
في اسماء الرجال في اجزاء ... 3

عمدة ... بالمطبعة في سفر ضخم 1
المقامات ... في سفر ... 1
تاليف في نسب ... في سفر 1
ابن ... العثمانية في سفر ... 1
ابن ... في سفر ... 1
الانيس المطرب في سفر ... بالمطبعة 2
ابن ... في سفر ... 1
نسخة من وفيات الاعيان لابن خلكان 2
الجزء الثاني منها ... في سفر ... 1
وفيات الاعيان ... في سفر ... 1
اخبار الاول ... 1
التحفة ... في الاخبار ... 1
... في سفر ... 1
رد ... في سفر 1
مختصر ربيع الابرار في سفر ... 1
نسختان من ... 5
اجزاء ... في سفر ... 2
نسختان من ... 5
في سفرين ... بالمطبعة ... 2
النصح للكتاب في سفر ... 1
... في سفر ... 1
نسختان من ... 2
جزء من الجمهرة لابن حزم في سفر 1
... بالمطبعة ... 1
قصة ... في سفر ... 1
الجزء الثاني من المقتبس في سفر 1
... في سفر ... 1
نسخ من ... كل في سفر 6
الثاني منها في سفر ... 1

احكام الفصول للباجي 1
الزركشي على جمع الجوامع، في سفر ضخم 1
نسخ ثلاث من المطول، كل منها في سفر 3
نسختان من مختصر السعد على التلخيص، كل في سفر 2
حاشية السيد على المطول، في سفر 1
نسخ اربع من معاهد التنصيص، كل منها في سفر 4
اختصار معاهد التنصيص للقادري، في سفر 1
الدسوقي على السعد، في سفرين في الرباعي 2
الشيخ بناني على السعد، في سفرين 2
نسخة من المطول، في سفرين 2
نسختان من حاشية ياسين على السعد، احداهما في سفرين 3
حاشية الفناري على المطول، في سفر 1
العضد على السعد، في سفر 1
حاشية سيدي عمر الفاسي عليه، في سفر 1
النصف الأول من الولالي على التلخيص 1
حاشية المرنيسي على السعد، في سفر 1
الايضاح للقزويني، في سفر 1
الشيخ مخلوف على الصبان في البيان 1
الجوهر المكنون، في سفر 1
سيدي عبد الرحمان الفاسي على جواهر العلوم 1
القسم الثالث من المفتاح للسكاكي 1
شرح الورقات لامام الحرمين، في سفر 1
تاليف في البيان به بتر، في سفر 1

حاشية في البيان، في سفر 1
الهلالي على القادرية في سفر 1
مختصر السنوسي في المنطق، في سفر 1
حاشية اليوسي على مختصر السنوسي، في 1
حاشيتان في المنطق، في جزءين 2
شرح السنوسي على مختصر ابن عرفة في المنطق 1
شرح ابن كيران على خريدة ابن الحاج، في سفر 1
شرح على السلم وما معه، في الكبير 1
شرح جمل الخونجي لابن مرزوق، في سفر في الكبير 1
مناهج الخلاص في كلمة الاخلاص لليوسي 1
حاشية اليوسي على السنوسي 1
الشيخ مصطفى على مختصر السنوسي 1
شرح عقائد النسفي، في سفر 1
شرح السنوسي على مقدمته، في سفرين 2
حواشي عليه، في سفر 1
الدسوقي عليه ثم شرح الصغرى له 2
شرح على الجلال الدواني، وحاشية الضاوي على الدروري 2
البجوري على الجوهرة، وتاليف مشرقي في علم الكلام 2
تاليف في علم الكلام لامام الحرمين، واضاءة الدجنة 2
تعليق على ابن الخطيب التلمساني في التوحيد 1

ترجمة كتب التاريخ والادب والوعظ والتصوف

رحلة البلوي، ورحلة ابن بطوطة، ورحلة ابن عثمان : كل في سفر 3

تاريخ مكة شرفها الله، في سفر 1
نشر المثاني للقادري، في سفر 1
نسخ من نزهة الحادي، كل في سفر 3
نسختان من صفوة ما انتشر، في سفرين 2
نسخة من تاريخ ابن خلدون بالمطبعة، في 7
نسخ اربع مغربية، عدا واحدة بالمطبعة من مقدمة ابن خلدون : كل في سفر 4
اجزاء من تاريخه، في اسفار 4
نسخة من الخطط والاثار للمقريزي، في سفرين 2
ربيع الأبرار للزمخشري، في سفرين 2
نسختان من ابن الأثير بالمطبعة، كل منهما في ستة اجزاء 12
ابن الكردبوس، في سفر 1
الجمان في أخبار الزمان، في سفر 1

اختصاره، في سفر ضخم كبير 1
ابن خلف، في سفر في الكبير 1
الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام، في 1
نسخ من خلاصة الوفا في ديار المصطفى بالمطبعة، كل منها في سفر 5
تاريخ دولة الموحدين، في سفر 1
رقم الحلل في نظم الدول، في سفر 1
جذوة الاقتباس لابن القاضي، في سفر 1
فتوحات آل عثمان، في سفرين في الكبير 2
نسخة من تاريخ الخميس بالمطبعة، في سفرين 2
الجزء الثالث منه مغربي، في سفر 1

ابن مخلوف في كرامات الاولياء في سفر 1
نسختان من الطبقات الكبرى للشعراني 2
نسختان من شرح الاسماء كل واحد في سفر 2
المنح في مناقب سيدي محمد الشرقي في سفر 1
مرآة المحاسن في اخبار ابي المحاسن 1
المقصد الاحمد ... 1
ازهار البستان للعابدي في سفر 1
نسختان من كفاية المحتاج للتنبكتي 2
الروض ... في سفر 1
نسخ من ... 5
... اولياء الله ... 1
تآليف اربعة في مناقب مولانا ... 0
... كل منها في سفر 4
نسختان من الجزء الاول من مناقب ابي يعزى 2
الجزء الثاني من مناقب الصحابة 1
جواهر ... في مناقب سيدي عبد الله ... 1
الجزء الاول من ... في سفر 1
نسخة منها في سفر 1
نسخ خمس من الفتوحات المكية كل 0
في اربعة اجزاء 20
... في سفر 1
تاريخ ... في سفر ... 1
... في سفر ...
نسخة من ... في سفرين 2
الجزء الثاني منها ... في سفر 1
رحلة الشتاء والصيف في سفر 1
نسختان من الرحلة العياشية ... 4
بغية ... ورحلة ... في سفر 1
تاريخ ... في سفرين 2
تآليف ... كل واحد في سفر 12
مختار ... في سفرين 2

مرآة ... في سفرين 2
الانوار ... في سفر 1
اجزاء من تاريخ ... 3
التشوف الى رجال التصوف في سفر 1
نسخة من ... في سفرين 2
جزء ... في سفرين 2
ديوان ... بالطبعة في سفر 1
نسخ من ريحانة الالبا للخفاجي ... 3
نسختان من ... الادب ... 0
وما معها في سفرين 2
نسختان من ... 2
... في سفر 1
ديوان ... بالطبعة 1
شرح روضة ... في سفر 1
... في سفر 1
نسخ من ... 0
كل منها في سفر ... 3
نسختان من ... في سفر 2
نسختان من خزانة الادب ... 2
نسختان من ... في سفرين 2
... بالطبعة في سفر 1
... 2
...
نسختان من ... 0
كل منهما في ثلاثة اجزاء 6
كتاب ... بالطبعة 2
... في سفر 1
اجزاء من ... 11
ديوان ابن ... في سفر 1
ديوان ... في سفر 1
تآليف في الادب ... 1

ديوان ... في سفر 1
ديوان ابن ... في سفر 1
شرح الشاطبي عليه في سفر بالطبعة 1
شرح الشيخ عليه في سفرين بالطبعة 2
نسخ 3 من ... 3
شرح آداب الكتاب للبطليوسي في سفر 1
مقامات الحريري ... في سفر 1
... في سفر 1
ديوان الحماسة في سفر 1
بهجة المجالس لابن عبد البر في سفر 1
نهاية الارب في معرفة انساب العرب 1
... في سفر 1
... في سفر 1
... في الادب ... في سفر 1
... وما معها 1
نسختان من ... في سفرين 2
... حياة الحيوان في سفر 1
نسخ 3 من حياة الحيوان كل في سفرين 6
نسخ 3 من سراج الملوك ... 6
... في سفر 1
حاشية ابن ... عليها في سفر 1
نسختان من ... 2
ديوان ... في سفر 1
الجزء الاول من ... في سفر 1
نسخة من ... بالطبعة في اجزاء 4
جزء ... الاول 2
اجزاء منه ... 6
... وما معها في سفر 1
... الاول في ترتيب ... في سفر 1
نسختان من ... في سفرين 2
الطبقات ... في سفر 1

درة السلوك ورياضة ... 1
روض الاخيار ... من ربيع الابرار 1
الامامة والسياسة لابن قتيبة في سفر 1
محاضرات الادباء للراغب في سفرين 2
ديوان ... والشعراء ... في سفر 1
شرح ... ابن عبدون في سفر 1
نسختان من عنوان ... في سفرين 2
... 1
نسخ من المستطرف بالطبعة كل في سفر 3
... في سفر 1
نسختان من ... وما معها 0
احداهما في سفر والاخرى بدون سفر 2
منظومة ... في سفر 1
... الامثال في سفر 1
... وما معه في سفر 1
نسختان من شرح ... 2
الجزء الاول والثاني من ... 0
... في سفرين 2
... في سفر 1
شرح ... في سفر 1
مختار ... 2
... منها في سفر 1
مختار من ... في سفرين 2
... في سفر 1
الجزء الثالث من ... في سفر 1
جزء آخر منها في سفر 1
نسخ من ... 0
... كل منها في سفر 3
ديوان الشعراء الستة في سفر 1
... بالطبعة في سفرين 2
... في سفر 1

الأول والثاني والثالث من تهذيب الكمال في اسماء الرجال، في اجزاء ... 3
عمدة التحقيق بالمطبعة، في سفر صغير 1
المطالع الزهراء، في سفر 1
تاليف في نسب الشرفاء المحمديين، في سفر 1
البكري في الدولة العثمانية، في سفر 1
ابن رحمون، في سفر 1
الانس الجليل، في سفرين بالمطبعة 2
القرطاس، في سفر 1
نسخة من وفيات الاعيان لابن خلكان، في سفرين 2
الجزء الخامس منها مشرقي، في سفر 1
وفيات الاعيان لابن طركاط، في سفر 1
أخبار الاول فيمن تصرف بمصر من الدول 1
التحفة المرضية في الاخبار القدسية 1
خريدة العجائب، في سفر 1
زد العقول الطائشة للمؤذن في سفر 1
مختصر ربيع الابرار، في سفر 1
نسختان من ديوان الحيوان للسيوطي، احداهما بدون سفر 2
نسختان من عدة الامراء والحكام، في سفرين : احداهما بالمطبعة 2
القصص للكسائي، في سفر 1
نوادر القيلوبي، في سفر 1
نسختان من زهر الأكام في قصة يوسف عليه السلام 2
جزء من الجمهرة لابن حزم، في سفر 1
عرائس المجالس للثعلبي بالمطبعة 1

قصة التودد، في سفر 1
الجزء الخامس من المقتبس، في سفر 1
مروج الذهب للمسعودي، في سفر 1
نسخ من سعود المطالع : كل في سفرين 6
النصف منها، في سفر 1
ابن مغيزيل في كرامات الأولياء، في سفر 1
نسختان من الطبقات الكبرى للشعراني 2
نسختان من ممتع الاسماع، كل في سفر 2
المرق في مناقب سيدي محمد الشرقي، في سفر 1
مرءات المحاسن في اخبار ابي المحاسن 1
المقصد الأحمد لسيدي المهدي الفاسي (كذا) 1
ازهار البستان للفاسي، في سفر 1
نسختان من كفاية المحتاج للسوداني، في سفرين 2
الزموري في رجال طيط، في سفر 1
نسخ من ابريز الذهب احداها بالمطبعة 5
النجم الثاقب فيما لاولياء الله من مفاخر المناقب 1
تآليف اربعة في مناقب مولانا عبد القادر الجيلاني، كل منها في سفر ... 4
نسختان من المعزا في مناقب ابي يعزا، في 2
الجزء الثاني من مناقب الصحابة 1
جواهر السماط في مناقب سيدي عبد الله الخياط 1
الجزء الثاني من حسن المحاضرة، في سفر 1
نسخة منها، في سفر 1
نسخ خمس من الفتوحات المكية، كل في اربعة اجزاء 20

كمامة الزهر لابن بدرون، في سفر 1
تاريخ ابن حجر الهيتمي، في سفر متلاش 1
العدد المعدود للمراغي، في سفر 1
نسخة من يتيمة الدهر، في سفرين 2
الجزء الثاني منها مشرقي، في سفر 1
رحلة الشتاء والصيف، في سفر 1
نسختان من الرحلة العياشية، كل في سفرين 4
بغية الموانس ورحلة البلوي، في سفر 1
تاريخ سيدي احمد الناصري السلوي، في سفرين 2
تآليف للزياني بعضها مكرر، كل في سفر 12
نسختان من سياسة ابن الأزرق، في سفرين 2
فوات الوفيات، في سفرين 2
الأنوار الحسنية في النسب العلوي، في سفر 1
اجزاء من تاريخ سيدي احمد بن الحاج الفاسي 3
التشوف إلى رجال التصوف، في سفر 1
نسخة من الصفدي على لامية العجم، في سفرين 2
جزءان أولان منه، في سفرين 2
ديوان النابلسي بالمطبعة، في سفر 1
نسخ من ريحانة الالباء للخفاجي، كل في سفر 3
نسختان من تحفة الأريب للفاسي، وما معها، في سفرين 2
نسختان من الدلائل على رائية اليوسي، في 2
غرر الخصائص للوطواط مطبعة، في سفر 1
ديوان شهاب الدين المصري، في سفر بالمطبعة 1

شرح روضة السلوان للفجيجي، في سفر 1
الماغوسي على لامية العرب، في سفر 1
نسخ من الغرناطي على مقصورة حازم، كل منها في سفر، ونسختان
من المسامرة لابن العربي 5
نسختان من زهر الاكام لليوسي، في سفرين 2
نسختان من خزانة الادب لابن حجة، في سفرين 2
نسختان من حلبة الكميت، في سفرين 2
سفينة الراغب بالمطبعة، في سفر 1
الديباج المخلق لابن الفقيه السلوي، في سفرين 2
زهر الافنان من حديقة ابن الونان، في سفر كبير 1
نسختان من العقد الفريد لابن عبد ربه، كل منهما في ثلاثة اجزاء 6
كتاب الف باء للبلوي مجلد في سفرين بالمطبعة 2
التسلية والسلوان للفقيه جنون، في سفر 1
اجزاء من الاغاني، في اجزاء كبار 11
ديوان ابن الصباغ، في سفر 1
ديوان صفي الدين الحلي، في سفر 1
تاليف في الادب لابن الخطيب وما معه، في 1
ديوانان نظما، في سفر 1
ديوان ابن الفارض، في سفر 1
شرح النابلسي عليه، في سفر بالمطبعة 1
شرح الشيخ راشد عليه، في سفرين بالمطبعة 2
نسخ 3 من الافراني على توشيح ابن سهل 3
شرح آداب الكتاب للبطليوسي، في سفر 1

شرح الصغاوي على لامية ابن الوردي في ... 1
تنبيه الاسماع والمشيخة داوودية في سفر 1
السياسية للفقيه الكوهن في سفر 1
عبر الحياة للزرقاني في سفر ... 1
ابن نباتة في الخطب في سفر ... 1
خطبة تشتمل على عشرة خطب متعددة في 5
مولد النبي الصحابة في سفر ... 1
رسائل مولاي سليمان في سفر ... 1
للاّ بناح على مقامات الحريري في سفر 1
ترجمة الخليل في سفر بالمطبعة ... 2
جواهر المعاني في فضل النبي في سفر 1
ابن نباتة على رسالة ابن زيدون في سفر 1
... في سفر ... 1
ابن عطية في علم الشجرية في سفر ... 1
نسختان من شرح الخفيفة في ... 2
مطالب البدور في العلم للبطليوسي في 2
شرح عقود ... في سفر 1
شرح ديوان ابن ... في سفر ... 1
كشف الظنون في اسماء الكتب والفنون في 2
نسخ من مقامات الحريري كل في سفر ... 6
الشرح ... في سفر بالمطبعة ... 2
جزءان من ... كل منهما ... 2
... على ... 5
بالمطبعة في سفر ... 1
... في سفر ... 1
تأليف عجيب وغريب بالمطبعة في سفر 1
... بالمطبعة في سفر ... 1
منظومة ... في سفر ... 1
ديوان الحيوان للدميري جزءان في سفر 1
... في سفر ... 1
نسختان من ... في سفر 2

شرح ابن بطال في الجلالة في سفر ... 1
ابن هانئ الزيات في سفر ... 1
زبدة الفتوحات في سفر ... 1
... في سفر 1
كتاب مولانا اسماعيل في عشرة اجزاء ... 10
ديوان ... في سفر ... 1
الاحياء للغزالي في سفر ... 1
نسختان من كل منهما في اربعة اسفار 8
جزءان ... 2
نسخ من ابن عباد على الحكم في سفر ... 5
... في سفر ... 1
نسختان من ... على الحكم ... 5
... في سفر ... 3
نسخ 6 من ... منها 5
... في سفر 8
نسخ 6 من ... كل منها في سفر ... 6
اجزاء 3 من رياض ... 3
... في سفر ... 1
... في سفر ... 2
... في سفر ... 1
... في سفر ... 1
... في سفر ... 1
... في سفر 1
... في سفر ... 1
شرح المباحث الاصلية ... في ... 1
... في سفر ... 1
سلسلة الاخبار ... في سفر ... 1
... 1
نسختان من ... 2
تأليف ... في سفر ... 1
... في سفر ... 1

التحفة ... في الاخبار الفرنسية 1
نسخ 3 من ... 3
... في سفر ... 1
السبعيات ... في سفر ... 1
كشف الاسرار ... في سفر ... 1
... في ... 2
... في سفر ... 1
تحفة ... في سفر ... 1
نسختان من ... 2
... في سفر بالمطبعة ... 1
مناقب ... في سفر ... 1
... 1
ابن عطاء الله ... في سفر ... 1
... في سفر ... 1
... في سفر ... 1
نسختان من ... 2
... في سفر ... 1
... في سفر ... 1
تحفة ... في سفر ... 1
... في سفر ... 1
كتاب ... في سفر ... 1
... في سفر ... 1
كتاب ... في سفر ... 1
... في سفر ... 1
رسالة ... في سفر ... 1
... في سفر ... 1
... في سفر ... 1
... في سفر ... 1
... في سفر ... 1
... في سفر ... 1
... في سفر ... 1

... في سفر ... 1
... في سفر ... 1
تحفة ... في سفر ... 1
كتاب ... 1
شرح ... في سفر 1
... 1
... في سفر 1
... في سفر ... 2
مختصر شرح ... في سفر 1
شرح ... 1
... في سفر ... 1
... 1
نسخ من ... 5
... في ... اجزاء ... 3
الاشارة في ... في سفر ... 1
... 1
تأليف ... في سفر 1
تأليف ... في سفر 1
... في سفر ... 1
... في سفر ... 1
... 1
... بالمطبعة في سفر 1
... 1

مقامات الرياحين للسيوطي، في سفر 1

تقريظات نسيم الصبا، في منقر 1

ديوان الصبابة، في سفر 1

بهجة المجالس لابن عبد البر، في سفر 1

نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب 1

الحدائق لابن عاصم، في سفر 1

النقاوسي على المنفرجة في سفر 1

المحكم في الأدب والحكم، في سفر 1

النخبة العليا للماوردي وما معها (كذا) 1

نسختان من إعلام الناس، في سفرين 2

حاوي الحسان من حياة الحيوان، في سفر 1

نسخ 3 من حياة الحيوان، كل في سفرين 6

نسخ 6 من سراج الملوك للطرطوشي، كل في سفر 6

قلائد العقيان للفتح ابن خاقان، في سفر 1

حاشية ابن زاكور عليها، في سفر 1

نسختان من سلوانات المطاع، في سفرين 2

ديوان البراعي، في سفر 1

الجزء الأخير من نوادر القالي في سفر 1

نسخة من نفح الطيب بالمطبعة، في اجزاء خضر 4

جزءان منه كل منهما أول 2

أجزاء منه مذهبة بخط جيد متتابعة 6

سياسة ارسطاليس وما معها، في سفر 1

آثار الأول في ترتيب الدول، في سفر 1

نسختان من فهرسة العميري، في سفرين 2
الطبقات الشافعية، في سفر 1
درة السلوك وريحانه العلماء والملوك 1
روض الأخيار المنتخب من ربيع الابرار، في 1
الامامة والسياسة لابن قتيبة في سفر 1
محاضرة الادباء للراغب في سفرين 2
ديوان المتنبي والشعراء الستة في سفر 1
شرح مرثية ابن عبدون في سفر 1
نسختان من عنوان الشرف في سفرين 2
الدرة السنية في نظم السيرة النبوية وما معها 1
نسخ من المستظرف بالمطبعة : كل في سفر 3
الماغوسي على لامية العجم في سفر 1
نسختان من كتاب كليلة ودمنة وما معهما احداهما في سفر والأخرى بدون سفر
سفر 2
منظومة السيد علي السوسي في سفر 1
النيسابوري في الامثال في سفر 1
ابن السقاط في العروص وما معه في سفر 1
نسختان من شرح لامية ابن الوردي في سفرين 2
الجزء الأول والثاني من التنوير على سقط الزند للمعري،
في سفرين 2
المنجنيق لابي محلي في سفر 1
شرح القصيدة الفجيجية في الصيد في سفر 1
نسختان من الفيوضات الحسنى لابن عبد الشكور في 2

النصف الثاني منها في سفر 1
نسختان من بدائع الزهور في سفرين 2
هز القحوف في شرح قصيدة ابي شادوف في سفر 1
الجزء الثالث من دخيرة ابن بسام في سفر 1
جزء آخر منها في سفر 1
نسخ من الشهب اللامعة في السياسة النافعة كل منها في سفر 3
ديوان الشعراء الستة في سفر 1
العكبري على ديوان المتنبي بالمطبعة في سفرين 2
قصيدة ابن مسلم في سفر 1
شرح القناوي على لامية ابن الوردي في 1
تزيين الأسواق للشيخ داوود في سفر 1
السياسة للفقيه الكردودي بدون سفر 1
عين الحياة للدماميني في سفر 1
ابن نباتة في الخطب في سفر 1
خطبة لسيدنا علي من غير الف ومعها نبذ من فضائل الصحابة
في سفر 1
رسالة مولانا سليمان في سفر 1
الايضاح على مقامات الحريري في سفر 1
نزهة الجليس في سفرين بالمطبعة 2
جواهر العقدين في فضل الشرفين في سفر 1
ابن نباتة على رسالة ابن زيدون في سفر 1
درة الغواص وما معها في سفر 1
البويعقوبي على المنفرجة في سفر 1

نسختان من شرح العقيقية لابي راس في 2
مطلب الفوز والفلاح للبطيوي في سفرين 2
شرح عنقود الزواهر لعبد الرحيم في سفر 1
شرح ديوان ابن رافع في سفر كذا 1
كشف الظنون في اسماء الكتب والفنون في 2
نسخ من مقامات الحريري كل في سفر 6
الشريشي عليها في سفرين بالمطبعة 2
جزءان مغربيان منه كل منهما ثان 2
النصف الثاني من الصفدي على لامية العجم بالمطبعة في سفر 1
بدء الدنيا في سفر 1
تاليف عجيب وغريب بالمطبعة في سفر 1
انشاءات العطار بالمطبعة في سفر 1
منظومة السيد علي السوسي في سفر 1
ديوان الحيوان للسيوطي بدون سفر 1
الصفدي على لامية العجم في سفر 1
نسختان من ابن مرزوق على الخزوجية كل منهما في سفر 2
شرح البديعيات للحلي في سفر 1
الجمانة للزياني في سفر 1
زبدة التعريفات في سفر صغير 1
الترجمان المعرب للزياني بمطبعة باريز في سفر 1
كناش مولانا اسماعيل في عشرة اجزاء 10
ديوان اليازجي في سفر 1
الاحياء للغزالي في سفر 1

نسختان منه كل منهما في اربعة اسفار 8
جزءان منه 2
نسخ 5 من ابن عباد على الحكم كل في سفر 5
جسوس على الحكم في سفر 1
نسختان من الشيخ الطيب على الحكم احداهما في سفرين 3
نسخ 6 من نزهة المجالس : اثنتان منها كل منهما في سفرين 8
نسخ 6 من الحريفشي كل منها في سفر 6
اجزاء 3 من رياض الصالحين للنووي 3
بدائع البدائه في سفر 1
الروض الفائح في سفرين 2
ابن السكاك في الاذكار في سفر 1
رياض الصالحين لليافعي في سفر 1
رياض الصالحين للنووي في الاذكار 1
الغنية لمولانا عبد القادر الجيلاني في سفر 1
رسائل مولاي العربي الدرقاوي في سفر 1
شرح المباحث الاصلية للشطيبي في 1
لطائف المنن للشعراني في سفر 1
سلسلة الأخيار لابن عطية في سفر 1
الفتح القدوسي فيما فاض به سيدي محمد القندوسي 1
نسختان من تاليف لسيدي المختار الكنتي في 2
تاليف للابياري في التصوف في سفر 1
المجالس للانصاري في سفر 1
التحفة المرضية في الاخبار القدسية 1

نسخ 3 من فتح المجيد لنفع العبيد كل في سفر 3
فتح المنان للوداني الشنكيطي في سفر 1
السبعيات للهمداني في سفر صغير 1
كشف الاسرار للاقفهسي في سفر 1
البدور السافرة عن احوال الاخرة في 1
زكرياء على رسالة القشيري في سفر 1
تحفة الاخوان للفيشي في سفر 1
نسختان من شوارق الأنوار احداهما مغربية 2
الزواجر لابن حجر في سفر بالمطبعة 1
مناقب الهزميري في سفر 1
تنوير بصائر المقلدين في مناقب الايمة المجتهدين 1
ابن عطاء الله على الحكم في سفر (كذا) 1
بناني شرح الحزب الكبير في سفر 1
المحاسبي في التصوف في سفر 1
نسختان من الحوادث والبدع للشاطبي في 2
ابن الجوزي في الوعظ في سفر 1
ابو حفص الأندلسي في سفر 1
تحفة العروس للتجاني في سفر 1
رسائل ابن عباد الكبرى في سفر 1
كتاب طهارة القلوب في سفر 1
تنبية المغترين في سفر 1
كتاب الفوائد في سفر 1
تنبيه الغافلين للسمرقندي في سفر 1

رسالة القشيري في سفر 1
الثاني من العلوم الفاخرة في سفر 1
هداية من تولى في سفر 1
النخبة العليا في سفر 1
جنة المريد في سفر 1
مختصر تذكرة القرطبي في سفر 1
الجزء الثاني من تذكرة القرطبي في سفر 1
انتصار الحقيقة في سفر 1
الرزايا المحدثة في ام الزوايا في سفر (كذا) 1
تحفة العروس للتونسي في سفر 1
كتاب الترغيب به بتر من الأول بدون سفر 1
شرح رائية الشريشي للفاسي في سفر 1
الزفري (كذا) في التصوف، في سفر 1
النصيحة الزروقية وما معها في سفر 1
ابن زكري عليها في سفرين 2
مختصر شرح النصيحة الكافية في سفر 1
شرح سيدي ابي مدين الفاسي على النصيحة 1
المرغيتي في التصوف في سفر 1
منتخب الكلام في تعبير الاحلام بالمطبعة في 1
نسخ من ابن جابر في تعبير الرؤيا احداها بدون سفر في اجزاء 3
الاشارة في تعبير العبارة في سفر 1
تخريج الظاهري في ذكر المشائخ 1
تاليف مولانا سليمان في السماع في سفر 1

تاليف اذكار مولاي إحمد الذهبي في سفر 1
التنوير في اسقاط التدبير في سفر 1
الروض الخصيب للكنتي في سفر 1
تنبيه ذوي الهمم على معاني الفاظ الحكم 1
تعريفات الجرجاني بالمطبعة في سفر 1
مشارق الأنوار للعدوي في احوال الأخرة 1

ترجمة كتب الطب والحساب والتعديل والتنجيم والهندسة والاوفاق

النزهة للشيخ داوود في سفر 1
نسخة من التذكرة له مغربية في سفرين 2
النصف الثاني منها مغربي في سفر، وآخر 2
نسختان منها بالمطبعة كل منهما في سفرين 4
كتاب المنجح في التداوي في سفر 1
كتاب الرحمة في الطب والحكمة في سفر 1
مصباح الساري ونزهة القاري في سفر 1
الجزء الأول من الأزهار الرياضية، في سفر 1
كناش صغير في الطب 1
جزءان من وسائل الابتهاج في سفرين 2
المنصور لابن زكرياء الرازي في سفر 1
شرح الهدية المقبولة في سفر 1
نسخ من مختصر السويدي كل في سفر 3

ترجمة كتب الطب والحساب والتعديل والتنجيم والمنطق والأوفاق

التذكرة للشيخ داود في سفر 1
نسختان من التذكرة له مغربية في سفرين 2
[illegible] اثنان منهما مغربي في سفر والأخرى 2
نسختان منهما بالمطبعة كل منهما في سفرين 4
كتاب التيسير في المداواة في سفر 1
كتاب الرحمة في الطب والحكمة في سفر 1
مصباح [illegible] في سفر 1
ابن [illegible] الرياضية في سفر .. 1
كناش [illegible] في الطب 1
جزء من [illegible] في سفرين 2
[illegible] في سفر 1
شرح [illegible] في سفر 1
نسخ من مختصر [illegible] كل في سفر ... 3
كتاب في الطب [illegible] من الأول والآخر 1
[illegible] في الطب في سفر 1
مفردات ابن البيطار في سفر [illegible] 2
مجموع [illegible] في سفر 1
[illegible] في سفر 1
[illegible] في سفر 1
تأليف في الجبر في سفرين 2
كناش صغير [illegible] محمد بن عبد الله 1
تأليف سيدي عبد الله [illegible] 1
رسالة في علم [illegible] 1
منهاج الطالب في تعديل الكواكب في سفر . 1
الدلالة الكلية [illegible] في سفر . 1
[illegible] في سفر 1
[illegible] في سفر 1
[illegible] في سفر 1

[illegible] في اسفار 3
جداول [illegible] في سفر 1
تأليف في التعديل ونسختان [illegible] 3
نسختان من اصول الهندسة [illegible] 2
نسخ من اقليدس كل منها في سفرين 140
نسختان من [illegible] 2
[illegible] في سفر 1
[illegible] 1
تأليف في علم [illegible] في سفر .. 1
تأليف في ترتيب [illegible] 1
اختصار ابن [illegible] 1
تأليف [illegible] في الرماية في سفر 1
تأليف في علم [illegible] في سفر 1
كتاب [illegible] في سفر 1
تأليف منظوم في [illegible] الحيوان في سفر 1
[illegible] في الهوام والأحجار في سفر 1
نسختان من كتاب [illegible] في الفلاحة في سفر 2
كتاب في الفلاحة وما معه في سفر . 1
[illegible] في علم الأسماء في سفر 1
كتاب في الأحكام في النجوم [illegible] . 1
[illegible] 1
[illegible] في سفر ... 1
تأليفان في خواص أسماء الله الحسنى [illegible] 2
[illegible] 2
تأليف [illegible] الأسماء في سفر ... 1
مجاميع [illegible] كل في سفر .. 46
كتاب [illegible] في سفر 1

كتاب في الطب به بتر من الأول والاخر 1
قلائد العقيان في الطب في سفر 1
مفردات ابن البيطار في سفرين بالمطبعة 2
مجموع المنافع البدنية في سفر 1
المنية لابن غازي بشرحها في سفر 1
سبط المارديني وابن الشاطر في سفر 1
تاليفان من الجبر في سفرين 2
كناش صغير لسيدي محمد بن عبد الله 1
تاليف سيدي عبد الله ابن عزوز المراكشي في سفر 1
رسالة باقي على العمل بالأسوس وما معها في 1
منهاج الطالب في تعديل الكواكب في سفر 1
الدلالة الكلية لابن ابي الرجال في سفر 1
الدائرة المستخرجة من شمس المعارف في سفر 1
المرغيتي على المقنع في سفر 1
ابن المفتي على روضة الأزهار في سفر 1
اجزاء 3 من لالاند في اسفار 3
جداول الأسوس في سفر 1
تاليف في التعديل ونسختان من الصوفي في صور الكواكب 3
نسختان من اصول الهندسة احداهما بالمطبعة 2
نسخ من اقليدس كل منها في سفرين 140
نسختان من التعريفات الشافية في علم الجغرافية 2
الوافي في التدبير الكافي في سفر 1
النشر اللائق لمن اراد الجهاد بالصواعق 1

تاليف في علم المدفع والطبجية في سفر 1
تاليف في ترتيب العسكر في سفر صغير 1
اختصار ابن النحاس في الجهاد 1
تاليف صغير في الرماية في سفر 1
تاليف في علم الكتف في سفر كبير 1
كتاب القرعة المامونية في سفر 1
تاليف منظوم في اوصاف الحيوان في سفر 1
التفاشي في الجواهر والاحجار في سفر 1
نسختان من كتاب البركة في الفلاحة في سفرين 2
كتاب في الفلاحة وما معه في سفر 1
ابن رافع الانصاري في علم الاسماء في سفر 1
كتاب في الاحكام في النجوم والنصبة الفلكية 1
المنهاج الحنيف في اسمه تعلي اللطيف في سفر 1
شموس الأنوار وكنوز الأسرار في سفر 1
تاليفان في خواص اسماء الله الحسنى في سفرين 2
الاساس لابن فرناس، وقبس المجتدى في الأوفاق 2
تاليف الشامي في الاسماء في سفر 1
مجاميع في فنون مختلفة كل في سفر 46
كتاب مكارم الاخلاق بالمطبعة في سفر 1

الحمد لله، لما كان البعض من الكتب الشريفة يمنته مفتقرا للاصلاح والتسفير، وأنهي الأمر بذلك إلى كريم علم من أمده الله من نور نتائجها اسنى المواهب وحسن التدبير، وأمدها من نوره الجزيل، وصدف بحر فضلنه العميم

الأصيل، ابهى الحلل وأرضى التجميل، ظل الله للأنام، بدر التمام، مولانا الامام، أبد الله عزه على الدوام، وأمر ــ أسما الله أمره ــ وزيره الاسعد، الفقيه العلامة الأمجد، سيدي على المسفيوي بتمييز واخراج ما افتقر منها للاصلاح.

خرج منها ــ اذ ذاك ــ على يد الفقيه السيد الطيب بن عمير، ما هو مذكور ومبين ــ باسمه ــ بالتراجم التسع والخمسين بالقائمتين اسفله، وذلك في شهر جمدى 2 عام 1305، وبقي معينا ومهيئا للخروج للاصلاح مائة وستة وعشرون جزءا، وهي المذكورة والمبينة بالورقة تلى هذه يسرته :

المصحف الكريم في كراسة يسفر 1
السفر الأول من الاكتفاء يسفر 1
نسخة من الشفاء في القالب الكبير كذلك 1
اجزاء من الاكتفاء لابن الكردبوس كذلك 4
المشارق للصعاني كذلك تسفر 1
كتاب في الطب النبوي لابن الجزري كذلك 1
كتاب الخصائص الكبرى للسيوطي كذلك 1
كتاب الدر المنظم كذلك 1
أخر منه ايضا كذلك 1
كتاب في السيرة كذلك 1
جزء من الموطا كذلك يسفر 1
الجزء الأخير من الكلاعي كذلك 1
جزء من صحيح البخاري ... كذلك 1
نسخة من النووي على مسلم في سفرين مشرقية باحداهما بتر
كذلك تسفر 2

كتاب اشتمل على تراجيم البخاري يسفر 1
شرح حديث ام زرع باوله بتر كذلك 1
الصفوة للمناوي تسفر ايضا 1
جزء من صحيح البخاري من الأول إلى الحج : يصلح 1
أخر منه من الصيام إلى قضاء ديون الميت يصلح 1
الجزء الرابع منه ايضا يسفر 1
جزء منه ايضا من الادب إلى الختم يسفر 1
النصف الأول والثاني من المصحف الكريم يسفران 2
جزء من البخاري اوله كتاب البيوع إلى المغازي : يصلح 1
الثاني من السفاقسي يصلح ويسفر 1
مجموع فيه مسائل لابن عبد السلام يسفر 1
غيث النفع في القراءات للسفاقسي يسفر 1
مصحف يسفر وآخر يصلح 2
تفسير الواحدي يسفر، وذو الجلالين كذلك 2
مصاحف 3 في قالب الزليجة تسفر 3
ابن عبد الصادق على المرشد، وجزء ثان من ابن حجر :
يسفران 2
ذو الجلالين بغشاء : يصلح، ومصحف صغير : يسفر 2
اوراق مشتملة على بعض الأبي 1
نسخ اربع من الشفاء رباعية : تسفر 4
نسختان منها في الكبير : تصلح 2
نسختان من الشمائل وجزء من الاصابة : تسفر 3
الجزء الأول من التيسير على الجامع الصغير : يسفر 1

الحمد لله فان البعض من الكتب التي بعد نسخه معتبر للاطلاع والتسجيل وانموذج الامر ان اطلع الكريم على من ... الله من ... بها انسب المواهب وحضر الكريم واستوعب من ... هو ... من ... الجميل ... والرضا ... الله ... الى ... من ... على ... واسماء ... من الكتب ... العلامة ... بنيم ... ما اجتمع منها للاطلاع خرج منها ... ملحوظ ... باسمه ... التسجيل والتفسير ... وتفسير ... المخروج للاطلاع ماية وستة وعشرون ... المذكورة والبينة بالورقة ...

المصاحف الكريم في ... تسعة	1
السفر الاول من ... تسعة	1
نسخة من ... الكتاب ...	1
... من ... كذلك	1
... للصحاح كذا ... تسعة	1
كتاب ... كذلك	1
كتاب ... كذلك	1
كتاب ... كذلك	1
... ايضا كذلك	1
كتاب ... كذلك	1
جزء من ... كذلك تسعة	1
الجزء الاخير من ... كذلك	1
جزء من صحيح البخاري ... كذلك	1
نسخة من ... تسعة	5
... كذلك تسعة	2
كتاب ... البخاري تسعة	1
... كذلك	1
... ايضا	1
جزء من صحيح البخاري ...	1
...	1
الجزء الرابع منها ايضا تسعة	1
جزء منه ايضا من ... تسعة	1

النسخة الاول والثاني من ...	2
جزء من ... كتاب ...	1
الثالث من ...	1
مجموع ... تسعة	1
... تسعة	1
مصحف تسعة ...	2
... تسعة ... كذلك	2
... تسعة	3
...	2
...	2
اوراق مشتملة على بعض ...	1
نسخ اربع من ... تسعة	4
نسختان ...	2
نسختان من ...	3
الجزء الاول من ...	1
... ايضا ...	1
الجزء الثاني من ... تسعة	1
...	2
كتاب ...	1
كتاب ... تسعة	1
59	

الكتب المهيأة للخروج للاطلاع

مصحف ...	9
مجموع	1
...	1
...	1
كتاب ...	1
...	1
...	1
... على ...	1
... على ...	1
... وما معه	1
... على ... العلوم	1
... على ...	1
...	1
مختصر ...	1
جزء من ...	1
...	1
تكميل ...	1
...	1
الجزء ... من كتاب ...	1
... وكتاب ...	2
منظومة ...	1
...	1
... وما معه ...	1
حاشية على ...	1
... خليل	1
دلايل الخيرات	1
...	1
مجموع ايضا	1
شرح ...	1
...	1

...	1
...	1
... ايضا	1
... وما معه	1
...	1
كتاب ...	1
...	1
...	1
... تسعة	2
...	2
... على ...	1
...	1
...	1
...	1
...	1
كتاب ...	1
... على ...	1
...	1
... على ...	1
كتاب ...	1
دلايل الخيرات ايضا	1
... على ...	1
...	1
...	1
...	1
... على ...	1
حاشية على ... ايضا	1
حاشية ...	1
جمع الجوامع	1
...	1

الخصائص الكبرى ايضا ... تسفر 1

الجزء الثاني من الحريشي على الشفاء : يسفر 1

الشيخ زكرياء على البخاري في جزءين : يسفر 2

كتاب الوفا ببيان فوائد الشفاء : يصلح 1

كتاب الوصول في السير : يسفر 1

المجموع : 59

الكتب المهيأة للخروج للاصلاح

مصحف في قالب صغير بدون سفر : يسفر 1

مجموع 1

زيرجة الشيخ ابي حامد الغزالي 1

النكث المفيدة الموضحة للجامع الصحيح 1

كتاب فيه امثال للنعال الشريفة 1

مناسك الحج للولالي بدون سفر 1

المناسك 1

الرصاع على اسماء النبوءة 1

ابن الناظم على التحفة 1

ابن اصبغ في العبادات وما معه 1

سيدي عبد الرحمان الفاسي على جواهر العلوم 1

المرنيسي على الدسوقي على السعد بدون سفر 1

معاهد التنصيص 1

مختصر العين للزبيدي 1

نهاية الارب	١
كتاب جواهر نيل	١
كتاب التهذيب	١
كتاب في الفرائض	١
كتاب منتهى الاعلام لابن حجر	١
مناقب سيدي عبد الله الغزالي بدون مسمى	١
حياة الميزان بدون مسمى	١
كتاب جمع بيع قبل الاحتلام	١
داء السلوك	١
تتمة الدرر	١
جزء اول من الدر ازهار	١
كامل المنيرات ايضا	١
كتاب صغير في الرملية	١
مجموع في اسطرلاب	١
كتاب التنجيم	١
مجموع في الرمي والطب	١
قصيدة البردة لابن الفخار	١
كتاب في الطب	١
كامل المنيرات وما معه بدون مسمى	١
نسخة اخرى منه بدون مسمى	١
الايضاح على المغالطات	١
الاشكال في المخت وما معه	١
سياسة الرسطاليس	١
تذهيب الذهبي	١
مناقب العز مسير	١
مجموع في الطب وآخره غير كامل	٢
الميزان بدون مسمى	١
مختصر السرطل	١
مجموع ايضا	١
المنهجي	١
الاحصاء الصحيحة في الصبر	١

عنوان الشرف وابرهان على المنطق	١
كتاب سيدي عبد الرحيم البكري	١
سلسلة الذهب ودواء بدون مسمى	١
كتاب في التاريخ ايضا	١
جزء من شرح على المغالطات	١
الملاحم وما معه	١
مجموع كليلة ودمنة في اكراسة	١
بغية الراغب	١
التسهيل	١
مجموع في الغزل	١
نسخة من المختصر ايضا	١
جزء من نوازل البرزلي	١
النصف الثاني من حاشية ابن عابدين على سلطان	١
النصف الثاني من حاشية الحطاب على الخليل	١
الكامل في علم الموسيقى	١
مبادئ التفسير على المختصر	١
مجموع في الترجيح وما معه	١
الرسالة وما معه	١
جزء اول من السلك الكبير	٢
الجزء الاول من نوازل مازونة	١
نسخة من الشفاء في الفاظ الكتب	١
جزء من البلاغة في اختصار المدونة	١
مختصر جوامع العلي في مناقب من مناقب العلم	١
زهر البستان في صفات الرسول	١
النصف الاول من حاشية البناني على الخليل	١
شرح المختصر للمتراني	١
شرح الحبيب على الجزائري سلطان	١
تلخيص في علم العمل بالربع	١
الشيخ المذكور على اداء المهنة	١
جزء من شرح على المغالطات مبتور طرفي الاخير	١

جـ 126

[illegible]

[illegible] ١

[illegible] ١

[illegible] ٥

[illegible] ١

[illegible] ٥ ٥

[illegible] ٥٢

[illegible] ٥ ٥

[illegible] ٥٢

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

جزء من آخر القاموس 1
فتح القدوس 1
تكميل الترجمان للزياني 1
تفسير كلمة الاخلاص لليوسي 1
الجزء الأخير من كتاب الكامل 1
شجرة الكون لابن العربي، وكتاب لسيدي على الأجهوري 2
منظومة ابن جابر الغساني بدون سفر 1
منع الموانع للامام السبكي 1
العقد الثمين وما معه بدون سفر 1
حاشية على المنطق 1
مختصر أبي الضياء خليل 1
دلائل الخيرات 1
المنية بشرحها 1
مجموع ايضا 1
شرح الهمزية بدون سفر 1
سلوانة المطاع 1
الفائق للونشريسي 1
المنافع البدنية 1
الفائق ايضا 1
رقم الحلل وما معه 1
الجوهر المكنون 1
كتاب في اوصاف الحيوان 1
تنقيح الفصول 1

تاليف في علم المعاني والبيان 1
المواق في جزءين : يسفر 2
نوازل البرزلي في جزءين : كذلك 2
الزركشي على ابن السبكي 1
الغيث الهامع في جمع الجوامع 1
مقامة الرياحين للسيوطي 1
مختصر العين في سفر اخضر 1
مجموع فيه اذكار مولاي احمد الذهبي 1
كتاب البركة في الفلاحة 1
البوعقيلي على روضة الأزهار 1
هداية من تولى 1
الشيخ مصطفى على التتائي 1
كتاب المقدمات 1
دلائل الخيرات ايضا 1
ابن عبد الصادق على المرشد المعين : يصلح 1
الهدية السنية 1
مجموع في الامداح النبوية 1
حاشية لسيدي عمر الفاسي 1
العضد على السعد 1
حاشية على المنطق ايضا 1
حاشية الفناري 1
جمع الجوامع 1
فهرسة العميري بدون سفر 1

نهاية الارب 1
كتاب بدء الدنيا 1
كتاب الترغيب 1
كتاب في المراءى 1
كتاب منتهى الاعلام لابن حجر 1
مناقب سيدي عبد الله الخياط بدون سفر 1
حياة الحيوان بدون سفر 1
الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام 1
درة السلوك 1
يتيمة الدهر 1
جزء أول من المدارك 1
دلائل الخيرات ايضا 1
كتاب صغير في الرماية 1
مجموع في الوصايا 1
كتاب المنجح 1
مجموع في الرقى والطب 1
تعبير الرؤيا لابن القصار 1
كتاب في الطب 1
دلائل الخيرات وما معه بدون سفر 1
نسخة اخرى منه بدون سفر 1
الايضاح على المقامات 1
الاشارة للمرغيتي وما معها 1
سياسة ارسطاليس 1

تذكرة القرطبي 1
مناقب الهزميري 1
مجموع في الطب واخر في غيره 2
الميزان بدون سفر 1
خلاصة الوفا 1
مجموع ايضا 1
المنجنيق 1
القصيدة الفجيجية في الصيد 1
عنوان الشرف، وابن عباد على الحكم 1
كتاب سيدي عبد الرحيم البرعي 1
سياسة الكردودي بدون سفر 1
كتاب في المراهي ايضا 1
جزء من شرح على المقامات 1
الكافية وما معها 1
مجموع كليلة ودمنة في كراريس 9 1
سفينة الراغب 1
التسهيل 1
مجموع في القُرّا 1
نسخة من المختصر ايضا 1
جزء من نوازل البرزلي 1
النصف الثاني من حاشية ابن عاشر على خليل 1
النصف الثاني من حاشية مصطفى على التنائي 1
اللائق في علم الوثائق 1

ميارة الكبير على المرشد 1
مجموع في التوحيد وما معه 1
الرسالة وما معها 1
جزءان من التتائي الكبير 2
الجزء الأول من نوازل ما زونة 1
نسخة من الشفاء في القالب الكبير 1
جزء من البرادعي في اختصار المدونة 1
عقد جواهر المعاني في مناقب مولانا عبد القادر الجيلاني 1
زهر البستان في طبقات الاعيان 1
النصف الأول من حاشية ياسين على النظم 1
سنن المهتدين للمواق 1
شرح الفجيجي على روضة السلوان 1
تاليف في علم الفرائض به بتر 1
الشيخ المكودي على الالفية 1
جزء من شرح على المقامات مبتور الأول والأخير 1

المجموع : 126

الحمد لله وحده،

وقد اخرج من الخزانة السعيدة نسخة من الرسالة في سفر 1
وابو الحسن عليها في سفر 1
انعم بهما سيدنا — أعزه الله — على صنوه مولاي بوبكر حفظه الله ... 0
وكذلك مصحف انعم به سيدنا — ايده الله — علي الطالب الباعمراني . 1
واخرج منها ايضا شرح ابن الفقيه السلاوي على الشمقمقية في سفرين بخط جيد،

ودفع لمولاي ادريس بن عبد الهادي 2

ومصحافان احدهما ثماني بالمطبعة المشرقية بغسائه، والآخر في كراسة حازهما سيدنا اعزه الله، ثم رد بعد ذلك وادخل للخزانة السيعدة 2

ثم دخل نسختان في التاريخ من كتاب صفوة الاعتبار : كل نسخة منها يقول مؤلفها

في انتهاء اخر الجزء الرابع : يليه الجزء الخامس : في اسفار 4

ثم كتاب السي عبد السلام اللجاي في التاريخ : في سفر اخضر 1

من وثائق ج.ح II

ملحق 6

وهو ليس من الكراسة التي نذيل عليها، وإنما دون في صفحة على حدة، وأهميته في الافادة بخزانة حسنية أحدثت في قصر المحنشة» بمكناس، وهكذا ياتي بالملحق :

الحمد لله، الكتب المخرجة من خزانة العلم المولوية السامية الأصلية بقصد الخزانة الجديدة، التي بالمحنشة الميمونة السعيدة :

نسخة من المصحف الكريم، بغشاء مؤبر سداسي 1

نسخة من ذي الجلالين، في سفر رباعي 1

نسخة من القسطلاني عليه (كذا)، في ثلاثة عشر جزءا 13

نسخة من صحيح مسلم بخط جيد، في سفرين 2

نسخة من الشفا بغشاء، في سفرين 2

نسخة من الموطا بخط مغربي، في سفرفي الكبير 1

نسخة من الشمائل في الرباعي، في سفر 1

نسخة من سنن أبي داوود بالمطبعة، في سفر 1

نسخة من الجامع الصغير، في سفرفي الكبير 1
نسخة من شرح العلماء على الأربعين النووية 2
سيدي المهدي الفاسي عليه (كذا)، في سفر 1
نسخة من المختصر للشيخ خليل 1
نسخة من الرسالة، في سفر 1
نسخة من ميارة الكبير على المرشد، في سفر 1
نسخة من المدخل، في أسفار بالمطبعة 3
نسخة من المصباح بالمطبعة، في سفرين 2
نسخة من المزهر، في سفرين 2
نسخة من إبن هشام على الألفية، في سفر 1
نسخة من المغني، في سفر 1
الاستقصاء للسلاوي في التاريخ، في سفرين 2
ربيع الأبرار للزمنحشري ، في سفرين 2
نزهة المجالس، في سفر 1
إبن زكري على النصيحة، في سفرين 2
الابريز، في سفر 1
المستظرف في سفر 1
مفردات إبن البيطار، في سفرين بالمطبعة 2
نسخة من صحيح البخاري، في ستة أجزاء بخط جيد 6
توشيح السيوطي عليه، في سفر 1
نسخة من النووي عليه بالمطبعة في خمسة أجزاء (كذا) 5
الشهاب عليها (كذا) بالمطبعة، في أربعة أسفار 4
نسخة من الزرقاني عليها (كذا) بالمطبعة، في سفرين 2

جسوس عليها (كذا) في الرباعي، في سفر 1
نسخة من سنن النسائي قديمة مذهبة، في سفرين 2
الحفني عليه (كذا) بالمطبعة، في سفرين 2
دلائل الخيرات في الزلايجة، جيد 1
شرح الحصن لسيدي محمد الفاسي 1
نسخة من الزرقاني وبهامشها بناني عليه، في أسفار 8
نسخة من أبي الحسن عليها (كذا)، في سفر 1
نسخة من شرح العمل الفاسي، في سفرين 2
نسخة من القاموس بخط مغربي، في سفرين 2
نسخة من مختار الصحاح، في سفر 1
نسخة من التصريح، في سفر 1
نسخة من شرح الفريدة لابن زكري، في سفر 1
الرحلة العياشية، في سفرين 2
مقامات الحريري، في سفر 1
الإحيا للغزالي، في سفر بخط بخاري 1
الشيخ الطيب إبن كيران على الحكم، في سفر 1
الطبقات الكبرى للشعراني، في سفر 1
التذكرة للشيخ داوود، في سفرين بالمطبعة 2

الرباط — محمد المنوني

تجارة القوافل في المغرب

محمد زنيبر

من أهم النتائج الايجابية لدخول الاسلام إلى بلاد أفريقية والمغرب ما حدث من توسيع لشبكة الاتصالات الانسانية والاقتصادية داخل القارة السمراء، فأتيحت بفضل ذلك لبقية العالم، شرقا وغربا فرصة الاستفادة منها، وتنمية ثروته وموارده، وهذا الواقع، الذي يظهر لنا، اليوم، كشيء عادي وكمكسب سهل لا يتطلب مشقة ولا جهدا، سرعان ما يبرز لنا، حين نتناوله بالبحث التاريخي ونحلل النصوص التي عرضت له، كإحدى المغامرات البشرية التي تطلبت شيئا غير قليل من الشجاعة والإقدام وروح المخاطرة[1]. مما يجعل السؤال يطرح نفسه علينا بكل إلحاح : كيف استطاع أجدادنا أن يتقطعوا الصحراء الكبرى ؟ ومتى

1 — عن هاته المسالك، من المفيد الرجوع إلى كتب الجغرافية العربية التي ألفت في القرن الثالث، وبالأخص كتب ابن حوقل واليعقوبي والمقدسي. وقد أعطى المؤرخ الفرنسي م. لومبارد لمحة عن ذلك في كتابه ''الاسلام في عظمته الأولى''.

بدأوا في قطعها ؟ وما هي الحوافز التي جعلتهم لا يترددون في ركوب طريق المغامرة الخطيرة ؟

ونبادر فنقول إن مصادرنا التاريخية والجغرافية وغيرها لم تفكر في الجواب على هاته الاسئلة، بل اكتفت بتقديم معلومات قليلة ومبعثرة انحصرت فائدتها في اشعارنا بوجود قضية تاريخية مهمة تستحق أن تطوق بالبحث وتسلط عليها الأضواء، ويجب أن نعترف بأن بعض الباحثين الأجانب سبقونا إلى إثارة الاهتمام بالموضوع، مبرزين أنه لا يرتبط بتاريخ العالم الاسلامي فحسب، بل بتاريخ العالم ككل.

ونحن حينما نريد أن ندلي بدلونا بين الدلاء في تناول هاته القضية، نشعر بأنها تشكل فصلا حافلا من تاريخ تجارة القوافل وتخرج بنا، في نفس الوقت، عن تلك الموضوعات التاريخية التقليدية التي طالما عانت من الإعادة والتكرار. بالفعل، إن موضوع تجارة القوافل بين المغرب وأفريقيا جنوب الصحراء الغربية يطرح أمامنا جملة قضايا تتعلق بالحياة الاقتصادية والاجتماعية وبتعامل الانسان مع الظروف الطبيعية والجغرافية وبالعلاقات الدولية في عصور غابرة والتبادل بين الأمم، أي بإحدى الظواهر التي تشرف تاريخ العرب والاسلام الذي اتهم من لدن مؤرخين غربيين معروفين بأنه أضر بالاقتصاد العالمي فكسر وحدة البحر المتوسط وتسبب في تدهور اروبا ووقوعها في براثين الفيودالية والتخلف الحضاري[2].

ومنذ قديم، اعتمدت التجارة على القوافل في غرب آسيا وفي آسيا الوسطى، وساعد على ازدهارها توفر دابة معروفة بصبرها وقدرتها على اجتياز الصحاري الواسعة ألا وهي الناقة، وليس من داع العجب حينما نرى الشعراء العرب غالبا ما يخصصون في قصائدهم المطولة فقرة للإشادة بناقتهم ووصف جسمها وأعضائها

2 — ذلك هو رأي المؤرخ البلجيكي هنري بيرين في كتابه المعنون ''محمد وشارلمان''

وذكر قوتها وخفتها. فالجمل هو الحيوان الذي مكن العرب، من ممارسة التجارة داخل صحرائهم وخارجها بكامل النجاح أي الحيوان الذي ضمن لهم رزقهم ومعيشتهم[3].

واشتهرت قريش بسوق القوافل إلى أطراف الجزيرة العربية، وبخاصة إلى الشام واليمن، وهي الرحلة التي أشار إليها القرآن الكريم في الآية : ''لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف''. فكانت رحلاتهم سببا لإثرائهم وسيطرتهم على مكة وهيمنتهم المعنوية داخل الجزيرة وخارجها، الشيء الذي مكن تلك القبيلة المحظوظة من أن تتولى زعامة العرب بعد انتصار الاسلام وتشرف على دولة الخلافة طوال عدة قرون

وإثر قيام الدولة الاسلامية، توسعت آفاق تجارة القوافل وتعددت طرقها وتضاعفت مردوديتها بصورة ملحوظة، تبعا لنشوء مملكة عظيمة تمتد من المحيط الأطلسي الى حدود الصين. فكانت هنالك قوافل من الخيل ومن الجمال بالخصوص، تنطلق من العراق وتجتاز هضبة فارس نحو خراسان. ثم تنتقل إلى ما وراء النهر في شاش وفرغاشة، ومن هنالك يمكن أن نتجه إما نحو الشمال الشرقي في بلاد التركب، وإما نحو الشرق تجاه الصين وعاصمتها الشمالية خمدان، وإما نحو الجنوب الشرقي تجاه الهند. وهنالك قوافل الحج التي كانت في نفس الوقت قوافل تجارية وهنالك القوافل المرتبطة بالمواصلات البحرية، مثل القوافل التي تقطع الجزيرة العربية نحو البحر الهندي إما في اتجاه سواحل أفريقيا الشرقية أو الهند[4]. وبالجملة، فقد كانت القوافل تلعب دورا حيويا في انعاش الاقتصاد الاسلامي وتأمين العلاقات بين المدن والأقاليم المتباعدة. يقول آدم متز. «أما طريق الحج

3 — انظر، مثلا، القسم الذي يخصصه الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد لناقته في معلقته المشهورة

4 — لومبارد : الاسلام في عظمته الأولى

من بغداد، فكان يعبر الفرات عند الكوفة، ويفضي إلى الصحراء عند الغذيب. وعلى الرغم من بعد مكة الشاسع، فقد كان الناس يفدون إليها في موسم الحج من جميع أنحاء الدولة الاسلامية. و لم تكن فريضة الحج وحدها هي التي تجذب هذه الجماعات، بل كان يغريها أمان الطريق، أيضا، في حماية قوافل الحج الكثيرة التي كانت تنهال إلى هناك من شتى النواحي. فمن ذلك أن كثيرين من تجار بغداد هاجروا مع قافلة الحج سنة 331 هـ / 943 إلى الشام ومصر، وذلك لاتصال الفتن ببغداد وتواتر المحن عليهم من السلطان. وعلى عكس ذلك كان البعض يفرون من الشام من البيزنطيين. ففي عام 335 / 946 التحق كثير من أهل الشام بقافلة الحج وقطعوا الطريق الشاسع من الشام إلى العراق مارّين بمكة، وكان فيهم قاضي طرسوس ومعه مائة وعشرون ألف دينار[5]».

هذا بالنسبة للجناح الشرقي من العالم الاسلامي، فماذا يمكننا أن نقول عن الجناح الغربي ؟ ومتى بدأت القوافل تتردد داخل هاته المنطقة رابطة بين بلاد المغرب وأفريقيا السوداء ؟

أصبح الاتصال ممكنا، بطبيعة الحال، لما توفر الجمل في المناطق الصحراوية الفاصلة بين الجهتين. ولربما كان هنالك اختلاف بين المؤرخين عن تاريخ وصول هاته الدابة إلى المغرب. فالمؤرخ الفرنسي ''جوتيي'' المعروف بشطحاته يحدد وقت وصول الجمل إلى المغرب في القرن الثالث الميلادي[6]، بينما نجد دائرة معارف ''لاروس'' تقرن ذلك الحدث بالفتح الاسلامي أي بالقرن الثامن الميلادي، وتعتبر العرب هم السبب في نقل ذلك الحيوان إلى بلاد المغرب حيث أمكنه أن يتناسل ويصبح من الدواب الأليفة في المنطقة. وهنالك نظريات

5 — آدم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع

6 — Eyautier : Le Passé de l'Afrique du Nord

وفرضيات أخرى تقدم بها مؤرخون في موضوع الاتصال بأفريقيا السوداء مثل ''كزيل'' الذي يعزو نشاط المغاربة في الصحراء لاستقرار عدد منهم بها، فرارا من الضغط الروماني، و''كورتوا'' الذي يعزوه لتحول قبائل لواته من أعالي النيل إلى طرابلس، و''بوفيل'' الذي يتحدث عن أقدمية الاتصال بأفريقيا السوداء من أجل تجارة الذهب دون أن يقدم دلائل كافية ومقنعة[7].

فإذا طرحنا جانبا كل هاته النظريات والفرضيات، لا يبقى أمامنا إلا التاريخ الذي تثبته المصادر المتوفرة، وهذا التاريخ يقول إن الاتصال التجاري بأفريقيا السوداء لم يتم إلا في عهد الاسلام وعلى يد المسلمين. تلك هي النتيجة التي ينتهي إليها عدد من المؤلفين في أقرب الدراسات إلينا، مثل ''العروي'' ولو مبارد''، و''مونى''[8].

فلو مبارد يعتبر هذا الحدث من ''أعظم أحداث العصر الوسيط العالي'' ويأسف لضياع المصادر المعاصرة التي تتحدث عنه، ولكنه ينتهي إلى التسليم بأنه ''منذ أواخر القرن الثامن ربطت تجارة العالم الاسلامي هذه الشبكة الجديدة من طرق القوافل بشبكات الشرق والبحر المتوسط، ففتحت أمام طرق المواصلات العامة أفق العالم السوداني بكامله. ''وأما رونى مونى''، فلا يتردد في اعتبار العرب روادا في هذا الميدان، إذ يقول وهو يتحدث عن الجغرافيين والعلماء الذين اهتموا بأفريقيا السوداء : ''إن عطاء العصر القديم فيما يخص المنطقة التي تهمنا هو صفر، على وجه التقريب''. ويستبعد أن يكون القدماء عرفوا الصحراء جنوب توات أو الفزان وينتهى به البحث الى التسليم بهاته الحقيقة وهي أن معرفة أفريقيا جنوب الصحراء لم تأت إلا على يد العرب[9].

7 — لخص عبد الله العروي هذه النظريات في كتابه تاريخ المغرب

8 — R. Mauny : Tableau géographique de l'Ouest africain

9 — يرجع إلى كتابي المؤلفين المذكورين سابقا

وهو شيء تؤكده لنا الروايات الخاصة بالفتوح الاسلامية في المغرب. فأول توغل نحو أفريقيا السوداء قام به عقبة بن نافع سنة 666 م، إذ أغار على الفزان وكوار. كما بدأ الهجوم على النوبة في سنة 642. وتذكر الروايات أن عقبة بلغ إلى بلاد سوس في سنة 682. ويتأكد وصول العرب بعد ذلك إلى سوس ودرعة فيما بين سنتي 705 و708. ثم جرى تأسيس سجلماسة في سنة 728. وكانت أول غارة عربية على السودان الغربي في سنة 734 بقيادة حبيب بن أبي عبيدة الفهري، انطلاقا من سوس[10]. ويستنتج روني موني من الحدث ''أن الاتصال بين العالم العربي وأفريقيا السوداء الغربية أصبح أمرا واقعا ولن يحدث قطعه''[11].

وظهر أثر هاته الفتوح في التقدم العلمي الذي حصل في ميدان الجغرافية، إذ تم تصحيح المعلومات المغلوطة الواردة عند القدماء وتحقيقها على يد الجغرافيين العرب والعلماء الذين ضمهم بيت الحكمة في بغداد. وكان أول من أورد اسم بلدة من أفريقيا السوداء هو الفلكي الفزارى المتوفى حوالي 796 م إذ أشار إلى ''غانة، بلاد الذهب''. ويظهر التقدم المشار إليه عند مقارنة اسماء الأماكن التي أوردها اليوناني ''بطليموس'' مع تلك التي أوردها ''الخوارزمي'' في كتابه ''صورة الأرض''.

ما هي الدواعي والأسباب التي جعلت العرب يحققون هاته الخطوة الايجابية في تاريخ اكتشاف العالم ؟ تجنبا للاطالة نكتفي بذكر أهمها :

---

10 — المراجع متعددة عن الفتوح :
— ابن عبد الحكم : فتوح المغرب
— ابن عذاري : البيان المغرب

11 — كتاب المؤلف المشار إليه سابقا

1 ـــ طبيعة الدعوة الاسلامية :

أخذت الدعوة الإسلامية منذ أول يوم طابعا عالميا، مما جعل قادة الفتوح يتوغلون في كل الجهات قصد تبليغها. ولم تستوقفهم وعورة الطرق والمسالك كما استوقفت غيرهم، لأن العرب، وهم جيش الفتح، تعودوا على حياة الصحراء ومفاوزها ومتاهاتها. فالتجربة العريقة التي اكتسبوها في جزيرتهم جعلتهم يتحركون في فياف الصحراء الأفريقية بشيء من الثقة بالنفس.

2 ـــ الدوافع الاقتصادية :

مما لاشك فيه أن الفتح الاسلامي تعزز بمكاسب اقتصادية إستفادت منها الدولة الاسلامية الناشئة كما استفاد منها الجنود. لكن لا ينبغي أن نشتط في تقدير تلك المكاسب التي تتلخص في الغنائم والفيء ولربما في ضرائب الخراج والجزية. هذا، على الأقل، في المراحل الأولى. فالسبب الديني يظل، على أي حال، هو المحرك الأول للفتوح. ولعل هذا هو السر في كون الفاتحين العرب لم يهملوا الصحراء كما أهملها الرومان والبيزنطيون الذين مارسوا استعمارا قائما، قبل كل شيء، على الاستغلال الاقتصادي والفائدة المادية المضمونة.

3 ـــ العامل النقدي :

حينما دخلت الدولة الاسلامية في أطوار النمو والتوسع، ازداد الاهتمام بتنظيمها وتزويدها بكل المؤسسات والوسائل التي تحتاج إليها دولة كبيرة. وفي طليعة تلك الاهتمامات تزويدها بالنقد الكافي لحياتها الاقتصادية. فكانت السياسة النقدية المبنية على **الازدواجية المعدنية** : الذهب والفضة. والبحث عن الذهب كان من أكبر الحوافز على الاتصال بالبلاد الواقعة في حوض نهر **النيجر**.

4 ــ العامل التجاري :

قيام الاقتصاد الاسلامي على التجارة كان من الحوافز الكبرى على تحريك القوافل عبر الصحراء تجاه السودان. صحيح أن الذهب كان هو أول بضاعة يستوردها التجار المسلمون، ولكن، كما سنرى، التبادل التجاري مع تلك المناطق شمل بضائع متنوعة، مما جعلها تحمل معها تأثيرات حضارية وفكرية. ولذلك يربط بعض المؤرخين انتشار الاسلام بازدهار التجارة في بعض المراكز المبثوتة في طرقها.

متى بدأت القوافل تقطع الصحراء نحو أفريقيا !

إذا رجعنا إلى أقدم الجغرافيين العرب الذين تطرقوا إلى هذا الموضوع، نجد أن عصرهم كان هو القرن الثالث الهجري أي التاسع الميلادي. فهل يعنى ذلك لزوما أن بداية التبادل التجاري مع أفريقيا السوداء، كانت في القرن الثالث، أيضا ؟

منطقيا ليس هنالك ما يربط بين هذين الحدثين برابطة السبب، بحيث لا يوجد ما يفرض علينا الأخذ بهذا الرأي فقد يكون الجغرافيون لم يبدأوا بالحديث عن هذا الموضوع إلا بعد أن اشتهر، أي بعد أن مرت عليه مدة من الزمان ليست بالقصيرة، سيما وموضوع الذهب ومناجمه كانت تقتضي شيئا من التكتم. وسبق أن رأينا الفتوح الاسلامية تتجه الى الصحراء الغربية منذ أواسط القرن الثامن لتصل إلى السودان. ثم لا ننس أن المؤرخين يذكرون قائمة فيها عدة اسماء من أمراء صنهاجة الملثمين الذين حكموا في الصحراء قبل ظهور المرابطين. واذا أخذنا برواية ابن خلدون، فإن الاسلام بدأ ينتشر في صنهاجة إثر فتح الاندلس، أي أثناء القرن الثاني للهجرة. وكانت رياستهم في **لمتونة** وملوكهم من بني **ورتنطق**. ويلخص ابن خلدون نشاطهم في مرحلة البداية بقوله :

''ودوخوا تلك البلاد الصحراوية وجاهدوا من بها من أمم السودان وحملوهم على الاسلام فدان به كثير منهم، واتقاهم آخرون بالجزية فقبلوها منهم.''

ثم يشير ابن خلدون بعد ذلك إلى حدوث انقسام في صفوف صنهاجة أدى إلى نشوء إمارات مختلفة ودام ذلك مائة وعشرين سنة، ثم عادت كلمتهم إلى الاجتماع بعد تولى محمد بن تيفاوت المعروف بتارشت والذي ظهر بعده المرابطون(12).

هاته الرواية على اقتضابها وما يعترضها من اختلاف، حسب المصادر، سواء في التواريخ أو الاسماء، تؤكد شيئا مهما وهو وجود الاسلام في عهد مبكر بالمنطقة. وهو ما ينسجم مع ما ورد في المصادر الجغرافية. ولذلك سجلنا معرفة وجود الذهب بالسودان الغربي في مصدر عربي هو كتاب الفلكي الفزارى المتوفى حوالي سنة 180 هـ/796 الذي كان الخليفة أبو جعفر المنصور كلفه بتأليفه، استنادا إلى كتاب في الموضوع تلقاه من الهند. والاشارة إلى وجود الذهب بالمنطقة موجودة عند ابن الحكم في كتابه ''فتوح أفريقية''.

كما أننا حينما نستعرض قائمة المراكز المغربية لسك النقود، نجد من بينها عددا وجد في عهد الأدارسة والمدراريين، ونلاحظ أن بعضها يوجد في محور الطرق الذاهبة إلى الصحراء مثل أمعدن، تجرجرا، تدغة، فاس، تلمسان، زيز، سجلماسة، مريرة، وزقور. والملاحظ أن هنالك في القائمة ثلاثة مراكز تقع في منطقة سجلماسة وهي مدينة سجلماسة وتدغة وزيز، بينما المراكز الأخرى غالبا ما تقع في الطرق المؤدية إليها. ونلاحظ، أيضا، أن بعض هاته المراكز كان مرتبطا إما بالأمويين أو بالعباسيين مثل تاغصا الواقعة في مصب وادي تاغصا بغمارة وتدغة وتلمسان وطنجة ووليلي. والملاحظ، أيضا، أن البعض منها وجدت به مسكوكات

12 — ابن خلدون : كتاب العبر : الفصل الخاص بقبائل صنهاجة الملثمين

ذهبية مثل تلمسان وطنجة. ويشير ''أوستاش'' وهو أحد الباحثين المختصين في النقود المغربية إلى أن دولة بني مدرار بسجلماسة كانت هي أول من سك نقود الذهب[13].

كل هاته القرائن تدفع إلى الاعتقاد بأن بداية جلب الذهب من السودان كانت في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة الموافق للقرن الثامن الميلادي أي قبل أن يتحدث عنها الجغرافيون بنصف قرن، على الأقل. وهكذا بدأت القوافل تجتاز الصحراء في غضون القرن الثامن الميلادي، وهو حدث ينسجم مع التطورات التي بدأت تدخل فيها دولة الخلافة الاسلامية في الشرق. فبعد البساطة في المظهر والتقشف في أسلوب الحياة اللذين انطبعت بهما دولة الخلفاء الراشدين، تحولت الخلافة شيئا فشيئا إلى دولة ذات فخفخة وأبهة في عهد الأمويين لتضاهى أكبر الدول ترفا وبذخا في عهد العباسيين. وبالاضافة إلى المظهر، توسعت دواوينها وازدادت حاجاتها ومطالبها، فازداد خدامها وكتابها وجنودها. وكل هذا كان يتطلب مزيدا من الأموال. فاكتشاف الذهب في أفريقيا السوداء الغربية كان حدثا له أهميته الكبرى التي لم ينتبه لها المؤرخون القدامى بالكفاية والتي بني عليها جانب كبير من الحضارة الاسلامية والمنجزات التي تعتز بها. وفقر مصادرنا وسكوتها في كثير من الاحيان هو الذي جعل هذا الحدث التاريخي لا يبرز في كل أبعاده إلا في عصرنا.

فإذا أردنا أن نجد المصادر التي تتحدث لنا عن هذا الموضوع، فيجب أن ننتظر إلى القرن الثالث. ولعل أول من يحدثنا في هذا الشأن هو ابن واضح اليعقوبي في كتابه ''البلدان'' الذي يظهر فيه اهتماما بالغرب الاسلامي أكثر من الذين سبقوه. فيصف طريق القوافل من سجلماسة إلى بلاد السودان ويقدر مسافتها

13 — مقال د. أوستاش بمجلة هسبريس عنوانه – Les ateliers monétaires du Maroc H
T 1970

بخمسين يوما. ويذكر الصحراء الكبرى التي تفصل بين الجهتين ويتحدث عن سكانها، صنهاجة الملثمين. ومن المعلوم أن اليعقوبي توفي حوالي 278 هـ[14].

بعد ذلك نجد مؤلفا آخر عاش في بلاط الفاطميين وألف فيما بين سنتي 975 و990 كتابا في الجغرافية ضاع، مع الأسف. وقد نقل ياقوت عنه فقرة تتعلق بمدينة أودغست وهي :

''قال المهلبي : أودغست مدينة بين جبلين في قلب البرجنوبي مدينة سجلماسة، بينهما نيف وأربعون مرحلة في رمال ومفاوز على مياه معروفة، وفي بعضها بيوت البربر. وأودغست بها أسواق جليلة، وهي مصر من الأمصار جليل والسفر إليها متصل من كل بلد. وأهلها مسلمون يقرأون القرآن ويتفقهون. ولهم مساجد وجماعات أسلموا على يد المهدى عبيد الله. وكانوا كفارا يعظمون الشمس ويأكلون الميتة والدم. وأمطارهم في الصيف يزرعون عليها القمح والدخن والذرة واللوبياء. والنخل ببلدهم كثير، وفي شرقيهم بلاد السودان وفي غربيهم البحر المحيط وفي شماليهم منفتلا إلى الغرب بلاد سجلماسة وفي جنوبيهم بلاد السودان''[15].

هذا نص يعتمد على مصادر فاطمية شفوية أو مكتوبة. وإذا كان من الممكن مناقشته من حيث أولية دخول الاسلام إلى المنطقة، فهو يبرهن على أن معرفة البلاد والاتصال بها أصبح أمرا عاديا في القرن العاشر الميلادي. وفيه إشارة واضحة على تعدد طرق القوافل الآتية من جهات مختلفة. ونفس المعلومات يؤكدها جغرافي آخر شهير ابن حوقل (ت بعد 367)

''ويقارب القيروان سجلماسة في صحة الهواء ومجاورة البيداء مع تجارة

14 — ابن واضح اليعقوبي : كتاب البلدان

15 — معجم البلدان دار صادر 1 / 277

غير منقطعة منها إلى بلد السودان وسائر البلدان وأرباح متوافرة... وسائر أرباب المدن دونهم في اليسار وسعة الحال وتتقارب بالعصبية أوصافهم وتتشاكل أحوالهم. ولقد رأيت بأودغست صكا فيه ذكر حق لبعضهم على رجل من تجار أودغست وهو من أهل سجلماسة باثنين وأربعين ألف دينار وما رأيت ولا سمعت بالمشرق لهذه الحكاية شبيها ولا نظيرا. ولقد حكيتها بالعراق وفارس وخراسان فاستطرفت. ولم يزل المعتز أيام ولايتها وهو أميرها يجتبيها من قوافل خارجة إلى بلد السودان وعشر وخراج وقوانين قديمة على ما يباع بها ويشترى من إبل وغنم وبقر إلى ما يخرج عنها ويدخلها من نواحي افريقية وفاس والأندلس والسوس وأغمات إلى غير ذلك مما على دار الضرب والسكة زهاء أربعمائة ألف دينار تختص بها وبعملها[16].

ويذكر ابن حوقل أن الطريق بين سجلماسة وأودغست تستغرق شهرين وهو توضيح استقاه ولاشك من العارفين بتحركات القوافل في المنطقة. لكن النص يحتوي، من جهة أخرى، على عناصر تاريخية جد مهمة. فهو يشعرنا بأن حركة التبادل التجاري بين سجلماسة وأفريقيا السوداء قائمة باستمرار دون فتور، وأن سجلماسة أصبحت عقدة في شبكة واسعة من المواصلات مع الجنوب والشمال، بحيث استفادت المدينة من هاته الوضعية وأصبح أهلها من كبار الأغنياء، كما استفاد حكامها استفادة ملحوظة من حيث الجباية.

تلك وضعية تجارة القوافل كما نستقيها من شهادات تخص القرن العاشر الميلادي إنها في مستوى الازدهار والنمو. فإذا تقدمنا شيئا ما في الزمان ووصلنا إلى القرن الحادي عشر، نجد المصادر تؤكد لنا نفس الظواهر وتترك لنا نفس الانطباع. إلا أن حظ المؤرخ بالنسبة لهذا القرن ربما كان أحسن، اذ يجد أمامه

---

16 ــ كتاب صورة الأرض

مصدرين مهمين. فالمقدسي البشاري معروف بجديته وتدقيقه في الموضوعات الجغرافية فهو يقدم سجلماسة في الفقرة التالية :

''سجلماسة قصبة جليلة على نهر بمعزل عنها يفرغ في قبليها. وهي طولانية نحو القبلة عليها سور من طين وسطها حصن يسمى العسكر فيه الجامع ودار الإمارة شديدة الحر والبرد جميعا صحيحة الهواء كثيرة التمور والأعناب والزبيب والفواكه والحبوب والرمان والخيرات، كثيرة الغرباء، موافقة لهم يقصدونها من كل بلد ومع ذلك ثغر فاضل برستاقها معادن الذهب والفضة...''[17]

مثل هذا الوصف يبين الازدهار الاقتصادي الذي عرفته سجلماسة في عصر المقدسي بفضل تجارة القوافل.

ويجب أن لا يغيب عن بالنا هاهنا، ونحن نعرض لهذا الموضوع، الوضع القبلي في المنطقة. ونظرا لصعوبة العيش بها ولما يمكن أن يتعرض له الانسان من أخطار فإن التعاون بين سكانها يصبح ضرورة ملحة ومن ثم اكتست التكتلات القبلية جدتها من حيث العصبية وكانت القبائل الرحل تعتبر نفسها سيدة على الصحراء وتحرص على الدفاع عن حقها بالقوة، وبخاصة حين أصبح بيدها مصير الطرق المهمة الرابطة بين المغرب والصحراء، وبالتالي مصير التجارة الكبيرة والمربحة بين الجهتين.

كانت تلك القبائل، اذن، طرفا في ذلك المشروع الكبير، مشروع تجارة القوافل. ولذلك فمن الطبيعي أن تقوم بينها صراعات كبيرة حول امتلاك الطرق. وهذا موضوع تطول بنا معالجته لو أردنا أن ندخل في تفاصيله. وإنما نكتفي بالقول إن القرن العاشر شاهد هيمنة مجموعة القبائل الكبرى المعروفة عند المؤرخين باسم زناتة. وكانت لهم إمارات متعددة بالمغرب الأقصى نفسه. وقد ازدهرت في

17 ـــ المقدسي : أحسن التقاسيم : الفصل الخاص بإقليم المغرب

عهدهم كل من سجلماسة وأودغست كمحطتين أساسيتين في طريق التبادل التجاري. لكن في القرن الحادي عشر الميلادي أي الخامس الهجري تحولت الهيمنة في المنطقة لصالح مجموعة قبلية أخرى لا تقل كبرا وأهمية عن الأولى وهي المدعوة عند المؤرخين باسم **صنهاجة** وهم المعروفون، أيضا، بأهل **اللثام**، أو **الملثمين**، لأن ظروف العيش في الصحراء كانت تفرض عليهم أن يحملوا لثاما(18).

وقصة صنهاجة اللثام طويلة ومعروفة لأنها تروى جهودهم المتواصلة في سبيل توحيد صفوفهم وتقوية كيانهم، والتي توّجت بقيام دولة كبيرة في تاريخ المغرب، **دولة المرابطين**. وقد استطاع صنهاجة أن يسيطروا في آن واحد على المغرب بشمال الصحراء وعلى تخوم السودان بجنوبها، وبذلك أصبح في يدهم مصير طريق القوافل بين الجهتين(19). ولحسن حظ المؤرخ، بقيت لنا عن هذا الموضوع شهادة معاصرة فيها شيء من التفصيل ومن المعلومات النادرة التي كانت هي السبب في إثارة فضول المؤرخين اليوم، ونعني بها شهادة أبي عبيد البكري في الجزء الذي بقي من كتابه ''المسالك والممالك'' والمعنون ''المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب''. وأول ما تؤكده لنا تلك الشهادة عظمة سجلماسة كمدينة :

''ومدينة سجلماسة بنيت سنة أربعين ومائة وبعمارتها خلت مدينة ترغة وبينهما يومان وبعمارتها خلت زيز أيضا. ومدينة سجلماسة مدينة سهلية أرضها سبخة حولها أرباض كثيرة وفيها دور رفيعة ومبان سرية ولها بساتين كثيرة وسورها

---

18 ــ في موضوع أنساب البربر وقبائلها، أقدم المصادر هو ''جمهرة الأنساب'' لابن حزم وأوسعها هو ''كتاب العبر'' ج 6 و7 لابن خلدون. وهنالك إشارات مقتضبة في المصادر الأخرى

19 ــ لا بأس من الرجوع إلى الفصل الذي خصصه ''روض القرطاس'' لبداية المرابطين.

أسفله مبني بالحجارة وأعلاه بالطوب... وهي كثيرة النخل والأعناب وجميع الفواكه وزبيب عنبها المعرش الذي لا تناله الشمس لا يزبب إلا في الظل ويعرفونه بالظلى. وما أصابته منه الشمس زبب في الشمس. ومدينة سجلماسة في أول الصحراء لا يعرف في غربيها ولا قبليها عمران...''(20)

نستشف أهمية المدينة ونحن نتمعن في هاته السطور من كونها كانت سببا في خلاء مدينتين مجاورتين. وهذا يعني أنها أصبحت نقطة استقطاب للسكان. وهو ما سبق أن سجلناه في نص البشارى اذ يقول عن المدينة إنها ''كثيرة الغرباء''. ثم تظهر لنا تلك الأهمية في مظهرها العام الذي تطبعه أبنية فخمة وسور متقن ومناطق خضراء. كل هذا وهي واقعة على حافة الصحاري الجرداء فما الذي، ياترى، كان سببا في هاته المنزلة التي وصلت إليها ؟

لقد تحدث البكري عن مواردها الزراعية وأنشطتها الصناعية إذ قال :

''ويزرع بأرض سجلماسة عاما ويحصد من تلك الزريعة ثلاثة أعوام لأنه بلد مفرط الحرّ شديد القيظ. فإذا يبس زرعهم تناثر عند الحصاد وأرضهم متشققة فيرتفع ما تناثر منه في تلك الشقوق. فإذا كان في العام الثاني حرث بلا بذر وكذلك في الثالث. وقمحهم رقيق صيني... ومن الغرائب عندهم أن الذهب جزاف عدد بلا وزن. والكراث يتبايعونه وزنا لا عددا''(21).

كما يشير إلى صناعتهم ويذكر منها بالخصوص نوعا من النسيج الذي يصنعونه ''من أجود الأصواف''. و''يبلغ الثوب منها أزيد من عشرين مثقالا''(22).

---

20 ــ البكري : المغرب ص 148
21 ــ نفس المصدر ص 151
22 ــ نفس المصدر ص 147

لكن هاته الموارد والمنتجات المحلية، مهما بلغت من الأهمية، لا يمكنها أن تفسر لنا وحدها الصعود الذي أدركته سجلماسة في العصر الوسيط. يبقى هنالك، اذن، مجال للبحث عن السبب الحقيقي. وهو الذي يبرزه لنا البكري حين يكشف لنا عن شبكة الطرق التي تقع المدينة في وسطها وتجعل منها عقدة حيوية للنشاط التجاري، سواء على المستوى المحلي، أي داخل المغرب أو على مستوى المبادلات العالمية.

ولن نلح كثيرا على هاته المواصلات المحلية التي لا تهم موضوعنا إلا جزئيا. فهو يذكر عدة طرق تربط سجلماسة بشمال المغرب[23]. منها الطريق الذاهبة إلى فاس عبر صفروى، والتي يمكن أن تتجه إلى مدن أخرى من فاس مثل طنجة وسبتة. وهنالك الطريق الذاهبة إلى مليلية عبر أمسكور وجرسيف. وهنالك طريق أخرى تذهب إلى وجدة وتنتهي في تابحريت على البحر المتوسط. وفي اتجاه المحيط الأطلسي أي الغرب، يذكر البكري طرقا أخرى تتجه نحو أغمات ثم إلى ميناء كوز أو تتجه نحو إقليم سوس عبر جبال الأطلس الكبير. وفي اتجاه الجنوب يشير المؤلف إلى مدن أو مراكز مثل تيومتين أو تامدلت أو إيجلى أو نول. لكن، لو اقتصرت سجلماسة على هاته الشبكة من المواصلات الداخلية، برغم كثافتها، ما كانت لتحقق لنفسها النمو الذي أدركته في عصر البكري. وإذن، لابد من إدخال شبكة المواصلات العالمية في الحساب[24].

هنا تكتسي تجارة القوافل عبر الصحراء نحو السودان كل أهميتها. وقد جاءت حركة المرابطين، ثم دولتهم لتضمن لتلك التجارة كل شروط النجاح. ويشير

---

23 — هنالك مقال مهم بالفرنسية عن هذا الموضوع نشر في مجلة ''هسبريس'' التي تصدرها كلية الآداب بالرباط :

J — M LESSARD : Sijilmassa, la ville et ses relations Hesparis — Tamuda 1969 Vol X

24 — المصدر السابق

البكري إلى عدة طرق تربط جنوب المغرب بالسودان. فهنالك طريق تذهب من سجلماسة إلى درعة يقدمها لنا المؤلف في وصف إجمالي بقوله :

''ومن مدينة سجلماسة تدخل إلى بلاد السودان إلى غانة وبينها وبين مدينة غانة مسيرة شهرين في صحراء غير عامرة إلا بقوم ظاعنين ولا تطمئن بهم منزل. وهم بنو مسوفة من صنهاجة ليس لهم مدينة يأوون إليها إلا وادي درعة. وبين سجلماسة ووادي درعة مسيرة خمسة أيام''[25].

من هاته الفقرة نفهم أن أهم منطلق في الطرق نحو السودان هو مدينة سجلماسة. ومنها تتجه القافلة نحو وادي درعة متجهة إلى تامدلت. ثم يأخذ البكري في إعطاء تفاصيل عن الطريق ابتداء من هاته النقطة المهمة :

''من تامدلت إلى بير الجمالين مرحلة. وهذه البير عمقها أربع قامات من انباط عبد الرحمن بن حبيب ومنها إلى شعب ضيق لا تسير فيه الإبل إلا متتابعة مرحلة ثم تسير في جبل يسمى أزور ثلاثة أيام وهو محجر تحفى فيه الإبل تنبت أم غيلان ومن خرج فيه عن الطريق أصاب زبر حديد مثقبة لا تذيبه النار''[26].

نلاحظ في بداية هذا الوصف كيف أن العرب اهتموا بهاته الطريق منذ القرن الثاني للهجرة، حيث نرى عبد الرحمن بن حبيب الفهري يحفر البير لتوفير الماء للقوافل. ويواصل البكري وصفه :

''وهذا الجبل كثير الثعابين طوله مسيرة عشرة أيام من أول طريق سجلماسة إلى جانب البحر المحيط. ويقال إن جبل أزور متصل بجبل نفوسة من جبال اطرابلس وأحسبه جبل درن المذكور قبل هذا الذي ينبعث من تحته وادي

25 — البكري : المغرب ص 149
26 — نفس المصدر ص 156

درعة فتسير في هذا الجبل ثلاثة أيام إلى ماء يسمى تندفس آبار يحتفرها المسافرون فلا تلبث أن تنهار وتندفن''(27).

وهكذا يبين لنا النص أن الطريق إذا صورناها في الخريطة لا تسير في خط عمودي بل تنعطف كثيرا إلى اليسار نحو الغرب لتنزل من هنالك في منعرجات يصفها البكري هكذا :

''ثم تسير منه ثلاثة أيام إلى بير كبير يقال لها وين هيلون. ثم تمشي ثلاثة أيام في أرض سواء صحراء ربما وجد فيها الماء على صفا تحت الرمل من بقية الأمطار إلى ماء نزر يقال له تازكي وتفسيره البيت. ثم تسير منه إلى بير أنبطها عبد الرحمن بن حبيب واحتفرها حجر أدعج صلب طولها أربع قامات مرحلة. ثم تسير منها إلى بير يقال لها ويطونان، وهي كبيرة لا تنزف. ماؤها زعاق يسهل شاربيه من الناس والأنعام، وهي من عمل عبد الرحمن بن حبيب، أيضا، طولها ثلاث قامات ثلاث مراحل''28.

نصادف باستمرار اسم عبد الرحمن بن حبيب كرائد في هاته الطريق الوعرة، اذ اهتم بتزويدها بالآبار وهو أهم شيء بالنسبة للقوافل في تلك الصحاري. وتواصل القافلة سيرها:

''ثم تمشي منه أربع مراحل إلى موضع يقال له أو كازنت، أرض زرقاء، ينبط أهل الرفان فيها الماء على ذراعين وثلاث، ثم تمشي في مجابة جبال رمل معترضة لا ماء فيها، وهو أصعب موضع بطريق أودغست أربعة أيام إلى موضع يقال له وانزمين آبار قريبة الرشاء فيها العذب والشريب عليه جبيل طويل صعب كثير الوحوش. وبهذا الماء تجتمع جميع طرق بلاد السودان. وهو موضع مخوف تغير

27 — نفس المصدر
28 — نفس المصدر

فيه لمطة وجزولة على الرفان ويتخذونه مرصدا لهم لعلمهم بافضاء الطرق إليه وحاجة الناس إلى الماء فيه''[29].

نحن هنا، اذن، في مرحلة أساسية وفي محطة مركزية تلتقى فيها القوافل كما ترتادها القبائل الرحل. وكل يعمل لحسابه الخاص. وعلى كل، فنحن هنا في مواطن صنهاجة وقبائلها المختلفة التي سيدفع بها التاريخ إلى الاستفادة من طريق القوافل. ويواصل البكري وصفه :

''ثم تمشى منه في بلد واران خمسة أيام مجابة في كثبان رمل إلى ير عظيمة في حد بنى وارث، قبيل من صنهاجة، على تلك البير شجر يقال له السقنى وهو شجر الاهليلج إلا أنه لا يثمر، ثم تسير منه إلى الما يقال له أغرف آبار ملحة تردها أذواد لصنهاجة فتصلح عليه وتصح به. وكل ماء ملح فموافق للابل. ثم تسير منه ثلاثة أيام إلى موضع يقال له أفرتندى تفسيره مجتمع الماء فيه أصناف كثيرة من الشجر وفيه الحنا والحبق. ثم تسير منه يوما في جبل يقال له أزجونان يقطع فيه السودان، ثم تمشى يوما في رمال شجرة إلى ماء يقال له بير واران ماؤها زعاق ثم تمشى في أرض لصنهاجة كثير الماء من الآبار ثلاثة أيام، ثم تسير منه إلى شرق عال مشرف على أودغست فيه طير كثير يشبه الحمام واليمام إلا أنه أصغر رؤوسا وأغلظ مناقير وفيه أشجار الصمغ الذي يجلب إلى الأندلس يصمغ بها الديباج مرحلة. ثم إلى أودغست''[30].

ذلك هو وصف الطريق الرابطة بين المدينتين اللتين كان لهما شأن كبير في العصر الوسيط واللتين لم يساعدهما الحظ على البقاء إلى يومنا هذا فكلتاهما اندثرتا واصبحتا مجالا للتنقيبات الأثرية. ونعني بهما مدينتي **سجلماسة**

29 — نفس المصدر
30 — نفس المصدر

وأودغست. وقد حرصنا على نقل وصف البكري بكامله حتى يلاحظ معنا القارىء دقة المعلومات الواردة عند هذا المؤلف، من جهة، وحتى يقدر هذه الرحلة التي تدوم شهرين في الصحاري حق قدرها ويدفعه الفضول إلى التساؤل معنا عن الدوافع التي كانت تحرك القوافل في مثل هذا السفر الشاق. فلولا أن هنالك مغريات حقيقية ومهمة. لا نقطع من جهة أخرى السير في تلك الطريق المخوفة ولتوقف نشاط التجار.

ونجد الجواب على تساؤلنا عند البكري، أيضا، إذ أشار من قبل إلى أن الذهب ''جزاف'' بسجلماسة. وهذا الذهب يجلب، بالطبع، من السودان. ولعله أول المغريات لقيام تجارة القوافل. فإذا علمنا أن النقد الاسلامي والنقد العالمي كانا متوقفين على توافر هذا المعدن النفيس، في عصور لم تعرف فيها بعض الأوراق البنكية، أدركنا السبب في حرص التجار على البحث عنه في كل الآفاق. إنه مادة جد مطلوبة وجد مربحة وقد رأينا كيف أن المصادر السابقة للبكري أشارت لأهمية الذهب الموجود في السودان الغربي. ونضيف هنا أن المؤلف اليمني ابن الحائك المعروف باسم الهمداني المتوفى سنة 334 هـ، وصاحب كتاب ''الإكليل'' أشار في كتاب له آخر بعوان ''كتاب الجوهرتين العتيقتين''. إلى أهم معادن الذهب والفضة في العالم الاسلامي. وذكر في ضمن ما ذكر معادن الذهب بالمغرب وعقد فصلا عن الطريقة الفنية لاستخراج المعادن النفيسة ومعالجتها[31]. كما تشير المصادر إلى أهمية دور الضرب المنتشرة في العالم الاسلامي والتي كانت تتقاضى واحدا

31 — الإشارة واردة في مجلة Arabica الصادرة عن جامعة باريس. انظر سنة 1958 مجلد 3 ص 305

في المائة عن الكميات التي كانت تضربها للخواص من الناس[32]. ولا أدل على الرواج الذي كان يعرفه النقد في الأسواق التجارية مما ذكره ناصر خسرو في كتابه ''سفر نامه'' وهو يتحدث عن سوق الصرافين بمدينة أصبهان، فيذكر أنه كان يحضر بها مائتان من الصرافين[33]. ناهيك بالحق الذي كانت تتقاضاه الدولة من استغلال المعادن بصورة شرعية والذي يبلغ **الخمس**[34]. **وهذا يعني أن الدولة كانت لها مصلحة قصوى في إنماء ذلك الاستغلال. وهذا ما يفسر لنا الإقبال المتزايد على ذهب السودان الغربي. يقول المؤرخ ''موريس لومبارد''.**

''إن دخول البربر في الاسلام وامتداد التجارة الاسلامية نحو الجنوب أدت منذ القرن التاسع الميلادي إلى ربط شبكة المواصلات الصحراوية بالملك الاقتصادي المتوسطي وإلى إيجاد الفرصة لتنظيم ايصال الذهب السوداني. بواسطة المسالك الصحراوية نحو أسواق أفريقيا الشمالية ومن هنالك نحو الغرب والشرق الاسلاميين[35].

ويشبه هذا المؤلف وضعية المغرب آنذاك بوضعية إسبانيا في القرن السادس عشر حين أصبحت هي مستودع الذهب الوارد من أميريكا : ''فبين البحر المتوسط و''محيط الرمال'' صارت ''جزيرة المغرب'' تتلقى بواسطة ''سفن الصحراء'' ذهب السودان الذي يصلإلى رؤوس الطرق القافلية : سجلماسة، وارجلا، غدامس، كما كان الشأن في القرن السادس عشر بالنسبة للأساطيل التي كانت تحمل المعادن النفيسة من أميريكا وتصل بها إلى الموانىء الاسبانية، وبخاصة إشبيلية[36].

32 ـــ الرفاعي : قصة الحضارة ص 442
33 ـــ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام 3 / 324
34 ـــ الماوردي : الأحكام السلطانية ص 120
35 ـــ M. LOMBARD : Les Métaux Mouton 1974
36 ـــ نفس المرجع

ونقرأ في بحث آخر إن احتياجات الدولة الاسلامية للذهب هي التي تفسر لنا تأسيس سجلماسة[37].

لكن البكري يذكر لنا عدة بضائع أخرى كان المغرب يصدرها إلى أفريقيا السوداء من بينها الحنطة والفواكه والزبيب والملح وأدوات النحاس والحديد. والعطور والسلاح وادوات الترف، والأنسجة النفيسة والزرابي والودع والثياب الفاخرة. وكان التجار المغاربة يحققون أرباحا طائلة في صفقاتهم. فيذكر المؤلف مثلا أن القمح كان يباع ''في أكثر الأوقات القنطار بستة مثاقيل وكذلك التمر والزبيب''. فإذا اعتبرنا وزن المثقال 72، غ 4، فيكون السعر هو 32، غ 28 وهذا طبيعي إذا اعتبرنا ما يقوله البكري من أن القمح ''يأكله ملوكهم وأهل اليسار منهم'' بينما يكتفي بقية السكان بالذرة.

ولعل الملح كان له مكانة خاصة في تلك المبادلات التجارية وهو ما نستنتج من رواية البكري، اذ يقول :

''ومن غرائب تلك الصحراء معدن ملح على يومين من المجابة الكبرى وبينه وبين سجلماسة مسيرة عشرين يوما تحفر عنه الأرض كما تحفر عن سائر المعادن والجواهر ويوجد تحت قامتين أو دونها من وجه الأرض ويقطع كما تقطع الحجارة ويسمى هذا المعدن تاتنتال... ومن هذا المعدن يتجهز بالملح إلى سجلماسة وغانة وسائر السودان. والعمل فيه متصل والتجار إليه متسايرون وله غلة عظيمة''(38).

فإذا رجعنا إلى ابن حوقل، فإننا نجد لديه اشارة مفيدة عن الثمن الذي كان يباع به الملح في السودان حيث يذكر أن حمل الملح، أي ما يحمله الجمل

37 — J – M LESSARD Sijilmassa

38 — البكري : المغرب

الواحد، كان ثمنه في غانة ما بين 200 و300 دينار. وحمل الجمل، حسب بعض الباحثين المعاصرين يتراوح بين 125 و150 كيلو غرام، الشيء الذي يثير تعليق الاستاذ ''دوفيس'' الذي قام بحفريات في منطقة أودغست المفترضة والذي تتبع هذا الموضوع بكامل الاهتمام :

''إننا، إذن، أمام ملح يساوي ثمنا غاليا جدا. فإذا قدرنا أن الدينار يزن في قيمته المتوسطة 80 غ 3، يكون حمل الجمل يساوي في حده الأدنى 760 غراما من الذهب وفي حده الأعلى 1140 غراما''[39].

ولكن لا ننس أن الملح كان منعدما في بلاد السودان وكان لابد من جلبه من الشمال. ومن ثم نشأ التبادل بين الملح والذهب، وصعد ثمن الأول إلى تلك الأسعار الخيالية. ويشير البكري إلى وجود معدنين مهمين من الملح في الصحراء، أحدهما في تاتنتال والآخر في أوليل. ولاشك أنهما، نظرا للقيمة الكبرى التي أدركها الملح في بلاد السودان، كانا محل صراع بين قبائل الصحراء من أجل امتلاكهما، بحيث لم تكن الوضعية السياسية مبسطة في الصحراء، كما يمكن أن يتصور الدارس لاول وهلة، بل كانت معقدة ومن شأنها أن تثير أطماعا[40]. فنحن نعرف الصراع الذي قام بين زناتة وصنهاجة والذي انتهى بانتصار هؤلاء، كما نعرف أن صنهاجة لم يظلوا متحدين في الصحراء بعد انتصارهم. ومن ثم كانت تجارة القوافل تمر من أزمات، لكن سرعان ما تعود إلى نشاطها حين تجد التشكيلة القبلية التي تخفرها وتؤمن لها الطرق الطويلة الرابطة بين الجهتين.

لا ننس، أيضا، أن المغرب كان يجلب في المقابل بضائع نفيسة من السودان مثل العنبر والصمغ والدرق، وجلود الفنك وبالخصوص الرقيق السوداني الذي ينوه به البكري قائلا :

39 — J. DEVISSE Tegdaoust p 112

40 — البكري : المغرب 171

''وبها سودانيات طباخات محسنات تباع الواحدة منهن بمائة مثقال وأكثر لحسن عمل الأطعمة الطيبة من الجوزينقات والقطائف وأصناف الحلوات وغير ذلك''[41]. طبعا، إن القوافل لم تكن تقف عند حد اودغست، بل تذهب إلى غانة الواقعة داخل بلاد السودن ولتي تفصلها عن أودغست خمسة عشر يوما. ويصف البكري مدينة غانة بأنها كبيرة وأنها تشتمل على مدينتين : إحداهما خاصة بلمسلمين فيها إثنا عشر مسجدا، والأخرى على ستة أميال وتسمى ''مدينة الملك''[42]. كما يؤكد الادريسي، من جهته، أنها أكبر مدينة في السودان وأكثرها سكانا وأوسعها تجارة وكانت أقرب إلى معادن الذهب الموجودة في ''بامبوك'' و''بورى''[43]. ويضيف ابن عبد المنعم الحميري الذي أدرك القرن الثامن أنها مقصد ''المياسير من جميع البلاد المحيطة بها من سائر بلاد المغرب الأقصى''. ويبين البكري أن ملك غانة يستفيد من تلك المبادلات التجارية إذ ''له على حمل النحاس خمسة مثاقيل وعلى حمل المتاع عشرة مثاقيل''[44].

بقي علينا أن نتحدث الآن عن القافلة وتنظيمها ولا يتعرض البكري للموضوع بتفصيل، بل نجد بعض المعلومات المفيدة في هذا الصدد عند الادريسي اذ يذكر أن القوافل تقطع الصحراء في الخريف وأن رجال القافلة يضعون الأحمال على الجمال في الصباح الباكر ويغذون في سيرهم إلى أن تصبح حرارة الشمس لا تحتمل. وحينذاك تتوقف القافلة من أجل الاستراحة فتنصب الخيام إلى أن تمر ساعة الزوال وتنخفض الحرارة فتعبأ الجمال من جديد وتستأنف القافلة سيرها إلى أن يغشاها ظلام الليل فتحط رحالها من جديد إلى الفجر، حيث يقع استئناف

---

41 ـــ البكري : المغرب ص 158
42 ـــ البكري : المغرب ص 174
43 ـــ الادريسي : نزهة المشتاق
44 ـــ الحميري : الروض المعطار ـــ مادة غانة

السير[45]. ويشير ابن حوقل إلى كون القوافل كانت تقوم بتجارة لا تنقطع عبر الصحراء إلا أن تحركها لم يكن يجري الا في الشتاء.

كان التجار يتواردون من مدن الشمال مثل فاس وتلمسان وتونس وطرابلس والقاهرة نحو مدن تعتبر كموانىء بالنسبة للصحراء وهي سجلماسة وورارجلا وزويلة. فمنهم من يبيع بضاعته هنالك لتجار القوافل ومنهم من يحملها بنفسه الى السودان سائرا في ركب القافلة وبالطبع كان هنالك عدد من الدلالين والسماسرة الذين يستفيدون من المناسبة. ويذكر الإدريسي أن تجار أغمات كانوا يشاركون مشاركة فعالة في تلك التجارة.

وكانت القبائل الرحل الظاعنة في الصحاري تستفيد هي الأخرى من ذلك النشاط التجاري، إذ تؤجر جمالها للتجار أو تبيعهم إياها. كما أنها كانت تقوم بخفر القافلة، ويتكلف أفراد منها بالسهر على صحة الجمال وتغذيتها وتعبئتها وإزالة الأحمال عن ظهورها. وكانت قبيلة مسوفة، مثلا، تستغل بعض الطرق النازلة من سجلماسة وتتقاضى عنها حقوقا. ويذكر ابن بطوطة في رحلته أن مسوفة كانت هي المشرفة على الطريق بين سجلماسة وولاته. فكان رئيس القافلة من مسوفة، بينما العمال الذين يستخرجون الملح من معدن تغارة كانوا كذلك من مسوفة. كما أن أهل ولاته الذين زودوا القافلة بالماء وأعيانها الذين استقبلوهم كانوا من مسوفة. وكذلك الشأن بالنسبة للدليل الذي قاد القافلة من ولاته إلى مالي. من هذا المثال يتضح لنا كيف أن القبائل الرحل كان في إمكانها أن تستفيد فوائد متعددة من تجارة القوافل[46].

ويختلف عدد الجمال التي كانت تتألف منها القوافل فابن خلدون يذكر

---

45 ــ الادريسي : نزهة المشتاق
46 ــ ابن بطوطة : تحفة النظار

في تاريخه قافلة تضم إثني عشر ألف جمل ويمكنها أن تقتصر على بضع مئات. ويذكر الادريسي أن بعض التجار كانوا يسوقون في تجارتهم ما بين سبعين إلى مائة جمل. وكانت القوافل تؤدى حقوقا عند خروجها من مدن الشمال، وأثناء مرورها بالقبائل وعند وصولها إلى مدن الجنوب لم تكن تخلو هذه الرحلات القافلية من أخطار. هنالك التيه في الصحراء الذي قد يكون سببا في هلاك القافلة كلها أو بعض أفرادها الذين ابتعدوا عنها. وهنالك الزوابع الرملية الكبرى التي ربما غطت على القوافل وجعلتها في حالة إقبار. وهنالك غارات القبائل الصحراوية التي قد تكون سببا في تعطيل القوافل أو في تفتير نشاطها، على الأقل. وهو ما حدث في القرن العاشر بالنسبة للطريق الذاهبة من القاهرة نحو غانة، كما ذكر ذلك ابن حوقل. وقد سبق أن اوردنا كلام البكري عن محطة وانزمين التي هي ''موضع مخوف تغير فيه لمطة وجزولة على الرفان''(47).

بقي علينا أن نحقق في مسألة تاريخية جد مهمة هل انقطعت بالفعل تجارة القوافل أو تدهورت كما يستنتج عدد من المؤلفين المعاصرين من قراءة المصادر، مستندين إلى ابن خلدون، ومحددين الزمان الذي حدث فيه ذلك بعصره، أي بين أواسط القرن السابع وبداية الثامن ؟

وهذا موضوع آخر يتطلب بحثا مستفيضا. وكل ما نستطيع أن نفعله الآن لتقديم جواب مختصر هو أن ننظر في الكيفية التي طرح بها هذا المشكل : هل تستند إلى حجج كافية ؟ هل تنساق في تيار المبالغة ؟

هنالك بعض الباحثين الأروبيين الذين أكدوا أن تلك التجارة انقطعت في القرن الرابع عشر. ونكتفي هنا بما أورده ''إيف لاكوست''. الذي اشتهر بكتابه ''ابن خلدون، ميلاد التاريخ، ماضي العالم الثالث''. فهو يتحدث عن الأزمة

---

47 ــ البكري : المغرب

الحادة التي عرفها المغرب في القرن الرابع عشر (48) ويشخص مظاهرها وأسبابها في :

أ ــ انقسام البلاد إلى قسمين : منطقة طاعة للدولة ومنطقة عصيان
ب ــ الأخذ بسياسة الاقطاع لصالح رؤساء القبائل العسكرية حتى يحافظوا على سندهم للدولة القائمة
ج ــ تعطل طريق الذهب بين المغرب والسودان

هاته النقطة الأخيرة هي التي تهمنا بالذات وهي التي يقول ''لاكوست'' في شأنها :

''في المغرب الذي نحى بالتدريج عن طرق الذهب الرئيسية، كان من أثر تدهور التجارة عبر الصحراء تدهور سجلماسة. ومما يلفت النظر أن هاته المدينة كانت هي الميناء الأول للصحراء وكان امتلاكها سببا في عظمة الدول التي قامت بالمغرب الأقصى، لكنها في القرن الرابع عشر بدأت تخرج شيئا فشيئا من منطقة نفوذ ملوك فاس. ولئن كان هذا يشير إلى ضعف سلطتهم، فإنه يشير، بالخصوص، إلى قلة اهتمامهم بمركز أصبحت الحركة التجارية تتخلى عنه، وكانت فيما قبل هي التي أكسبته أهمية قصوى''(49).

هذا ما يقوله لاكوست بصيغة التأكيد دون أن يقدم مصادر واضحة في هذا الصدد ودون أن يتساءل هل رأيه لا يصطدم مع ماهو وارد في عدد من المصادر. بل إنه يتعجب من كون ابن خلدون لم يفطن إلى كون التعطل الذي

---

48 ــ عقد المؤلف فصلا في كتابه
y LACOSTE Ibn Khaldoun Maspéro
بعنوان La crise du XIVe siècle
49 ــ نفس المصدر ص 108

حصل في تجارة الذهب بين المغرب والسودان هو الذي كان سببا رئيسيا في أزمة القرن الرابع عشر. ويلتمس له العذر في كونه لم يعش طويلا بعد القرن الرابع عشر حتى يستطيع أن يكون له فكرة تامة عن هذا الموضوع، اذ يقول :

''إن ابن خلدون لم يكن يعرف ــ والسبب واضح ــ أن الأزمة التي اجتازت منها أفريقيا الشمالية تختلف كثيرا عن الأزمات التي وقعت قبلها والتي كانت ممهدا التأسيس أمبراطورية كبيرة... فهاته الأزمة ليست مجرد تكرار انها تشير إلى بداية انحطاط طويل. وما كان لابن خلدون أن يدرك كل ذلك، على الحقيقة، لأن هاته الأزمة لم تكن لها عوارض بارزة، بصورة خاصة''(50).

لكن خطأ ''لاكوست'' في نظرنا هو أنه لم يتساءل، مرة واحدة، هل سلم ابن خلدون بأن طرق التجارة تعطلت، بالفعل، بين المغرب والسودان، وأن سجلماسة عرفت تدهورا قاتلا. فماذا يقول ابن خلدون ؟ وماذا تقول المصادر الأخرى التي ألفت في القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر ؟

إن سكوت المصادر أو شحها بالكلام لا يدل بالضرورة على غياب الأشياء أو انعدامها. لقد تكلم البكري، فكانت روايته غزيرة بالمعلومات دقيقة في تفاصيلها. ثم جاء المؤلفون بعده، فلم يسيروا على نهجه، وكانت إشاراتهم مقتضبة. فهل يدل هذا على تقصير منهم أم على تغير طرأ على الواقع التاريخي ؟

أعتقد أن هنالك، قبل كل شيء، تقصير من المؤلفين. فلقد ازدادت علاقة المغرب بالسودان بعد عصر البكري سواء في عهد المرابطين أو الموحدين. وأكبر دينار سك في تاريخ المغرب هو الذي أمر بسكه يعقوب المنصور في أواخر القرن السادس الهجري، اذ كان يزن 72 غ 4 وهو الذي حمل بعد ذلك اسم الضبلون أي المضعف. فهل كان يقدم الخليفة الموحدي على مثل هاته المبادرة لو لم يكن

---

50 ــ نفس المصدر ص 117

مورد الذهب مضمونا ولو لم تكن الطرق نحو معادنه في السودان مفتوحة ومؤمنة. ونجد العالم الشرقي ابن حمويه السرخسى الذي زار المغرب في تلك الآونة يتحدث في رحلته عن العلاقة التي كانت قائمة بين الخلفاء الموحدين وملوك السودان [51].

ويتحدث أبو حامد الأندلسي في تحفة الألباب ''عن مبادلة الملح بالذهب. ومن المعلوم أن هذا المؤلف توفي في 1169. كما أن ابن سعيد الأندلسي الذي عاش في نفس الفترة يذكر أن تحت لمطة'' في آخر هذا الجزء الأول في الصحراء حصن الملح وهو مبني من ملح مغربي ومنه يمتار المسافرون الملح إلى بلاد السودان. ''وكما هو معلوم، فإن ابن سعيد كان ينقل معلوماته، في الغالب، عن أحد العارفين بالمنطقة **ابن فاطمة** وكانت وفاته في سنة 1286/685 أي إنه كان يتحدث عن القرن الثالث عشر[52].

فإذا رجعنا إلى ابن خلدون، نخرج منه بانطباع مختلف عما ذهب إليه ''لاكوست''، فهو لا يشاطره تشاؤمه ولا يتحدث عن انقطاع تجارة القوافل عبر الصحراء. فقد برهنت سجلماسة على حيويتها سواء في آخر دولة الموحدين أو بداية عهد بني مرين. فهي، مثلا، تشارك في المعارضة السياسية التي قامت ضدا على الموحدين بمراكش في عهد السعيد سنة 646 هـ وتوجه بيعتها للأمير أبي زكريا الحفصي. و لا أدل على تفاؤل ابن خلدون من هاته الفقرة التي يتحدث فيها عن صحراء سجلماسة بقوله :

''ومصب وادي درعة هذا إلى الصحراء والرمال ما بين سجلماسة وبلاد السوس ويمتد إلى أن يصب في البحر ما بين نون ووادان. وحفافيه قصور لا

---

51 ــ مقتطفات من رحلة ابن حمويه السرخسي توجد في ''نفح الطيب'' للمقرى. ومازال هنالك أمل في العثور على مخطوطها

52 ــ ابن سعيد : بسط الأرض تطوان 1958 ص 47

تحصى، شجرتها النخل وقاعدتها بلد تادنست، بلد كبير يقصده التجر للسلم في النيلج وانتظار خروجه بالصناعة''(53).

وحينما يتحدث ابن خلدون عن عرب معقل الذين استقروا بالصحراء يشير إلى أنهم استولوا على تلك ''الأوطان في مجالاتهم ووضعوا عليها الاتاوات والضرائب وصارت لهم جباية يعتدون فيها ملكا''[54]. فهل أدى بهم ذلك إلى عرقلة التجارة في الطرق المارّة بالصحراء ؟ يجيب ابن خلدون :

''ولم يكن هؤلاء العرب يستبيحون من أطراف المغرب وتلوله حمى، ولا يعرضون لسابلة سجلماسة ولا غيرها من بلاد السودان بأذية ولا مكروه لما كان بالمغرب من اعتزاز بالدول وسد الثغور وكثرة الحامية أيام الموحدين وزناتة بعدهم''. ناهيك بما يشيد به ابن خلدون من علاقات وثيقة بين المرينيين وملوك السودان، خاصة بين السلطان أبي الحسن المريني وملك السودان منسا موسى. وقد استمرت تلك العلاقات حيث نجد حفيده ''ماري جاطة'' يوجه إلى السلطان أبي سالم بن أبي الحسن هدية سنة 762 ''وكان فيها الحيوان العظيم الهيكل المستغرب بأرض المغرب المعروف بالزرافة'' ويقدم لنا ابن خلدون دليلا آخر على تلك العلاقات البشرية الوثيقة التي كانت قائمة في عهده بين أهل سجلماسة وابناء السودان حيث يذكر أن القاضي عبد الله بن وانسول من أهل سجلماسة استوطن مدة بأرض كوكو من بلاد السودان وشغل هناك، أيضا، منصب القضاء. وهو الذي لقيه ابن خلدون بعد سنة 776 هـ وتزود منه بمعلومات طريفة عن السودان وملوكه(55).

---

53 — ابن خلدون : كتاب العبر 6 / 134

54 — نفس المصدر 119

55 — ابن خلدون 6 /417، 7 / 118

وليس من الممكن أن لا تستوقفنا ظاهرة تاريخية تتأكد أكثر فأكثر في عهد بني مرين أي في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، ألا وهي حرص الدول على امتلاك سجلماسة واتجاه الأنظار إليها. فهي ملجأ لعدد من الملوك والأمراء. فالرشيد الموحدي يفر إليها وابن غانية يصل اليها كذلك ويحيى بن الناصر الموحدي هو الآخر يلتجىء إليها. فإذا أهل عصر بني مرين، نجد صراعا حادا يقوم بينهم وبين بني عبد الواد على امتلاك سجلماسة. ألا يعنى ذلك أن المدينة كانت محافظة على مركزها جذابة بإغراءاتها ومنها، بالخصوص، موارد التجارة ؟

فإذا تركنا ابن خلدون لنرى ماذا يقول بعض معاصريه، لا نجد خيرا من الرحالة ابن **بطوطة**، الذي يشهد له الكل، اليوم، بالصدق والتحرى في رواياته. فهو يقدم لنا وصفا عن رحلته إلى السودان مبتدئا بالحديث عن سجلماسة التي يقول عنها :

''وهي من أحسن المدن وبها التمر الكثير الطيب وتشبهها مدينة البصرة في كثرة التمر، لكن تمر سجلماسة أطيب وصنف إيرار لا نظير له في البلاد''.

نحتفظ من هذا الوصف بعنصرين مهمين :

أ ــ سجلماسة كانت ما تزال قائمة كمدينة مزدهرة متميزة بنخيلها

ب ــ سجلماسة كانت ما تزال منطلقا للقوافل نحو السودان

لكن، هل تخلت القوافل عن تجارة الذهب، كما يقول لاكوست ؟

إن جواب ابن بطوطة صريح في هذا الصدد. فهو يتحدث عن مبادلة الملح الموجود في بلدة تغازي ''ويتعيشون بما يجلب إليهم من تمر درعة وسجلماسة ومن لحوم الجمال''. ثم يذكر ابن بطوطة أن الحمل من الملح يباع في إيوالتن بعشرة مثاقيل إلى ثمانية وربما ارتفع إلى أربعين مثقالا بمدينة مالى. ثم يؤكد كلامه، مرة أخرى :

''وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونه قطعا ويتبايعون به. وقرية تغازى على حقارتها بتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر''(56).

فنحن، إذا تتبعنا شهادة المصادر إلى نهاية العصر الوسيط، لا نجد ما يبرر القول إن تجارة القوافل عبر الصحراء انتهت وإن طرق الذهب أغلقت وإن سجلماسة انتهى دورها. صحيح أن المغرب لم يبق في موقع الوحدة والقوة التي كان عليهما أيام الموحدين، وأنه أصبح في موقف دفاع بعد أن كان في موقف هجوم، ولكن التدهور الذي حدث له ابتداء من القرن الرابع عشر لا يصح لنا أن نفسره كما رأينا بانغلاق طرق الذهب. ومن ثم نعتقد أن ابن خلدون كان أقرب إلى الصواب حين أعطى الأولوية في تفسيره لظاهرة الانحطاط للاسباب الداخلية.

الرباط | محمد زنيبر

---

56 — من المفيد مراجعة كل الفصل الذي خصصه ابن بطوطة في آخر رحلته ''تحفة النظار'' لسفره إلى بلد السودان

مسجد قرطبة

علي الصقلي

سابح بين النجوم الزُّهرْ
في أعلى الاعالي
منذ أحقاب خوالِ
يتحدى الغيم مهما كان
وجه الغيم جهما
مستطيرَ الشر، مهما.....
ولكم كُوِّرَ، منذ الخلق،
بدر بعد شمسٍ
في رحيل، وبعكسِ
ولكم نالهما
في غمرة الجري .كسوفُ
مستتم وخسوف
وهو في عليائه
شلالُ نورما توالي
يوسع الروح أمانا
خالد كالوحي،
كالصوت الإلهي المجددْ
ليس يخبو، ليس ينفَد
مُلهِمٌ خيرَ صراط مستقيم
كل حائرْ
عن صراط الله جائرْ
موقد في كل صدر

ليله بالشك جنًّا
جذوة الايمان أمنا
دائمُ الرحلة
كم قاد على الدرب القوافلْ
نحو نورٍ غير آفلْ
هو نور الحق
جل الحق نورا سر مديا
نابضَ الاشعاع، حيا

* * *

أيها الوجه الذي طالعني
بالحب دينا
لم يُشَب حقدا دفينا
ذاب في أعماق أعماقي
سلسالا وكوثرْ
ألف عام، بل وأكثر !
أنا مازالت أُولّي
شطر محرابك وجهي
حالما ، أعشق تيهي
ملءُ سمعي صرخةٌ
قد فجرتْها «الله أكبرْ»
من أعالي خير منبرْ
وصدى «الفاتحة» الأُمِّ
إلى الاعماق يسري

مع تباشيرَ لِفجرِ
وأنا بين المصلين
أناجي وأُرددْ
في ذَري أعظم مسجدْ
سارحا في ملكوت الله
في أكرم مغنى
يحتوي القرآن فنا
ثَمَّ في محرابه
في قلب ذياك المصلّى
حيث لا أغلى وأحلى
عابراً في كل شبر
غابةٌ أكرمَ روقا
في حماها ذُبتُ عشقا
أي طهر في مداها
اتملاه بقلبي
جامعا اشتات حبي !
أي فن صاغه الازميل
من وحي السماءْ
فيه تحتد دماءْ !
فيه أزهار وأنهار
وروح عربية
ويد أندلسيه
نطق السحر فصيحا

في أفانين حلالها
باليتيم الفرد باهى
هوذا المحراب
والآيُ له أسنى وشاح
مثلَ لألاء الصباح
وله من نورها الخلاب
تاج فوق رأسه
انظروا ماحول قوسه
وانظروا كيف تهاوى
عن يمين وشمال
مثلَ سيل من لآلي
في حمى أسمى قباب
رُفعت خير تحيهْ
للسماوات العليهْ
ورعت لله عرشا
شامخا لم يؤت مثلهْ
بيننا مذ مد ظله
من هنا نادى
فما ضاق فؤاد عن نداه
ردد الكون صداهْ
كان عيسى حامل الدعوهْ
أو كان محمد
ثينا والدين مفرد

ليس الالالإخاء للحب
يدنو بالمباعدْ
رفعا كلَّ القواعد

* * *

هاهنا كم ظاميء
بين تقاة المومنين
جاء يحدوه حنين
جاء يطفي
غلة الشوق إلى نبع المعارف
واحداً من ألف غارق
نظموا اسلاكهم في حلقة
أونصف حلقهْ
وهم الاشتات خلقه
وربوعا، ونزوعا
وأرومات ونحله
بوركوا للعلم دوله
ليس إلا العلم
ماقد جعل النبل واحدْ
يجتبيه كل قاصدْ
كخلايا النحل
ما بين الأساطين احتشادًا
وطنينا واحتدادا

حول فحل كابن شهبون
وطود كابن رُشدٍ
عاكفا يدعو ويَهدي
كم مفاتيح لأقفالٍ عويصاتِ
المشاكلْ
حولها ظل يجادل
شارحا للناس اسرفوا
صدار كريما
صابرا صبرا حليما
سؤله أن يورق الفكر
جدالا وحوارا
وانتقادا واختبارا
وقصارى همه
ان يطلع الدرس كواكب
ليس فيها غير ثاقب
في سما قرطبة
الفيحاء والاندلسِ
هزأت بالغلسِ
وانبرت في خفة
تمحوديا جير الجهاله
وارجيف الضلالهْ
يالنجم المسجد
السامي الذرى في قرطبة

ثاقبا، ماأعجبه !
هز اعطاف نجوم العلم
في كل مكانْ
هكذا، لاريب، كان

* * *

أيها الوجه الذي مازال
في أوج شبابه
موريا زند خطابه
مستبدا بعيون
وقلوب وضمائر
ماثلا في كل خاطر
لتنل في ظل راعيك
كما املت، خلدا
وبريقا مستجدا
وسموا أبديا
نابعا من حسن عهده
رائعا في روض وده
لست صرحا أثريا
عنده بين الصروح
بل سنى فكروروح
أنت في ذمته
أعظم كنز للاله

فلتنل أعظم جاه
أنت بيت الله
تحوي كل عبد متهجد
بكنيس أو بمسجد
أنت نور قدسي
في غيابات السرائر
يتصبى كل سائر
بثه في الملا القطبان
عيسى ومحمد
إنه النور المخلد
يتلالا في النواقيس
وأصوات المآذن
خمرة الروح لسادن

لم تزل تبعث صوت الله
مثل الامس، جهرا
لم تسم في الله قهرا
لا ! ولامسك
من عاصفة الالحاد سوء
بداواهيها تنوء
ليسافربك ركب الدهر
ماطب السفر
لك قد حُقَّ الظفرْ
إنه الله
الذي أيد بالحق خُطاكْ
وحمى دوما حِماكْ

الرباط

علي الصقلي

صور من الحياة اليومية في العدوتين من خلال كتاب "تنبيه الحكام" لابن المناصف (ت 620هـ/1223م)

د. ماريا خيسوس فيغيرا
ترجمة : د. حسن الوراكلي

لم تغفل الدراسات الاستعرابية الاشارة إلى الاهمية التي تكتسيها المعلومات الاجتماعية التي يمكن الوقوع عليها في المصنفات الفقهية الاسلامية. فهي، نظرية كانت أو تطبيقية، تقارن الاوامر والنواهي بواقع كثيرا ما ينأى عن الممارسة وفق التوجيه الشرعي. إن الترتيبات الفقهية كانت، منذ عهود الاسلام الباكرة، تستهدف مستوى مثاليا للسلوك كثيرا ما وقفت دونه الممارسة اليومية في المجتمع الاسلامي. ومثل هذه الظاهرة كانت موضع تأمل وتفكير لدى علماء الاجتماع الذين نذكر منهم، على سبيل المثال، (ماكس وبر)[2] الذي رأى إمكان الحصول على رؤية اجتماعية

---

(1) العنوان الاصلي لهذه الدراسة هو : La censura de costumbres en el "Tanbih al-Hokkam" de Ibn al-Manasif (1168 — 1223)
وترجمته الحرفية : (نقد العادات في "تنبيه الحكام" لابن المناصف 1168 — 1223).

(2) ينظر Max weber, on lam in iconomyanct society cambridge (1954) p 32 (1886 -- 86)

وافرة الحظ من الاكتمال إذا تمت دراسة عنصرين متلازمين : هما التوجيه المثالي للقيم والممارسة الواقعية.

على أننا، الآن، سنقصر حديثنا على موضوع محدد نستهدف من تناوله رصد الحوادث والبدع التي تعكس الواقع الاجتماعي في القسم الخاص بالحسبة من كتاب يعود تاريخ تأليفه إلى أواخر القرن السادس أو أوائل السابع الهجري (القرن الثاني عشر أو أوائل القرن الثالث عشر الميلادي). وهذا الكتاب الذي لم ينشر بعد هو : (كتاب تنبيه الحكام في الاحكام) للقاضي محمد بن المناصف. لكننا، قبل ذلك، سنعنى بالتعرف على شخصية المؤلف.

1 ــ القاضي ابن المناصف.

هو أبو عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ بن محمد بن أصبغ ابن عيسى ابن أصبغ الازدي. يعرف بابن المناصف[3]، وهو اسم أحد أسلافه،

---

(3) تنظر ترجمته في : ابن الابار، التكملة. نشرف. كوديرا (مدريد 86 ــ 1889) ج 1 ص 325 ــ 326 رقم 962، الرعيني، برنامج شيوخ الرعيني، تح : شيوخ (دمشق، 1381 ــ 1962) ص 128 129، ابن سعيد، المغرب، تح : شوقي ضيف (القاهرة، 1953) ج 1 ص 105 ــ 106 رقم 40، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، تح : محمد بنشريفة.
أحمد بابا السوداني، نيل الابتهال (بهامش الديباج) القاهرة 1352 ــ 1932) ص 228 ــ 229، السراج، الحلل السندسية، تح : محمد الحبيب الهيلة (تونس ــ 1970) ج 1 ص 706 ــ 707، مخلوف، شجرة النور الزكية، القاهرة (1349 ــ 1350 ــ 1930 ــ 1932) ص 177 ــ 178 رقم 574، المقري له النفح، إحسان عباس ــ بيروت (1968) ج 4 ص ــ305، الزركلي، الاعلام (القاهرة، 1954) ج 7 ص 114، كحالة، معجم المؤلفين (دمشق، 1957) ج 11 ص 107 ــ 108، بروكلمان، كارل، تاريخ الادب العربي، ج 1 ص 497 والملحق ص 910. الكتاني، محمد إبراهيم، أبو عبد الله بن المناصف المجتهد المغربي، مجلة (الباحث) س 1 ع 2 (1972) ص 13 ــ 84، ابن شقرون، محمد La vie intellectuelle marocaine sous les Mérinides et les wattasides (Rabat 1974) p 87 – 94

وبه عرفت أسرة القاضي أبي عبد الله كلها. ومع أن ولادته كانت في المهدية بافريقية في شهر رجب عام 563 هـ (أبريل — ماي 1168 م) فإنه ذو أصول أندلسية عريقة، فوالده بالذات أبو الاصبغ عيسى[4] كان هو الذي ترك قرطبة إلى العدوة في غمرة اختلال الاوضاع أواخر العصر المرابطي[5] ليلقي عصا التسيار فترة بالقيروان، ثم يتركها بعد سنة 555 هـ (1160 م) إلى المهدية التي استولى عليها الموحدون عامئذ.

كان أسلاف ابن المناصف من مرموقي قرطبة ووجهائها، فجده أبو عبد الله محمد كان يتولى قضاء الجماعة بها، وجد والده أبو القاسم أصبغ كان يشتغل بالافتاء، وكان جده الثالث أبو عبد الله محمد صاحب الصلاة في مسجد قرطبة الجامع.

وإذن فقد كانت أسرة ابن المناصف معروفة باشتغال أفرادها بالفقه في إطار المذهب المالكي وهو ما عكسته معاجم الرجال المالكية. ولاشك أن توجهات أسرة ابن المناصف الفقهية سيسعفنا على فهم أفضل للتوجهات التي تميزت بها حياة ابن المناصف سواء في مجال النظر الفقهي الذي تبلوره لنا مصنفاته، أو في

(4) ابن سعيد، المغرب ج 1 ص 105، الحلل ج 1 ص 897.

(5) ينظر حول عصر المرابطين دراسة الدكتور خاسينتو فوش فيلا (المرابطون) (تطوان، 1956) كما تنظر الاشارات الواردة عند الاستاذ محمد عبد الله عنان حول ابن المناصف في إطار عصره في كتاب (دولة الاسلام في الاندلس عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس) (القاهرة، 1965) ج 2 ص 691.

مجال السلوك اليومي الذي تعكسه لنا مواقفه الصارمة من مجتمعه وبدعه[6].

تلقى ابن المناصف تعليمه الاول على يد والده، ثم رحل، في تاريخ غير مضبوط، إلى تونس حيث تفقه بالقاضي القرطبي الاصل أبي الحجاج يوسف المخزومي المعروف بابن المرادي[7] وأخذ على شيوخ آخرين. وحين انتقل إلى تلمسان، في فترة متأخرة، أخذ عن أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي[8]، وهو، أيضا، من أصل أندلسي.

وفي تلمسان أقام ابن المناصف، فترة غير قصيرة، يشتغل بعقد الشروط، و لم يترك هذه المدينة إلا حين عين قاضيا ببلنسية، ولعل ذلك كان على يد الخليفة الموحدي محمد الملقب بالناصر (595 هـ — 1199 م / 610 هـ — 1213 م))، وهو الذي رفع إليه ابن المناصف شعرا يمدحه[9]به، ولسنا نعرف على وجه الدقة، المدة التي قضاها ابن المناصف قاضيا بالعاصمة الشرقية، غير أننا نعرف أنه كان لا يزال هناك في غضون عام 608 هـ (1211 م))، ففي هذه السنة، وبالضبط في السادس والعشرين من جمادى الثانية (5 ديسمبر) نجده يكتب إجازة لابن الأبار كما ينص على ذلك هذا الاخير نفسه في (التكملة)[10]. وفي تاريخ غير

(6) هذا الطابع المذهبي المالكي لاسرة ابن المناصف لم يكن يمنعه من الميل في آرائه، أحيانا، لمذهب الشافعي حسب ما يشير إلى ذلك مترجموه. حول هذا الموضوع تنبغي دراسة وضع المالكية يومئذ في الغرب الاسلامي. انظر R. BRUNSCHVI 6 Poémique (1950) مجلة الاندلس médiersoles autour du rite de mâlik. ثم أعيد نشره في Etudes d'islamologie (باريس 1976) وعبد المجيد التركي la génération pour Mâlik et la physionomie du mâliksme andolou, studio islamica 33 (1971) pag 41 - 66

(7) ابن الابار، التكملة رقم 962 و 2080.

(8) نفسه، رقم 919.

(9) أضع عنها ابن سعيد وأثنى عليه في (المغرب) ج 1 ص 106

(10) ابن الابار، التكملة، ج 1 ص 336 رقم 962.

معروف لدينا استقضي ابن المناصف بمرسية، ويظهر أنه كان صارما، متشددا في إصدار الاحكام وتطبيقها، مما حمل الذين أدبوا على يديه أن يضجوا بالشكوى منه، ومن المؤكد أن ذلك كان هو السبب في تنحيته من منصبه. وقد أقام، بعد ذلك، بقرطبة، وهي مستقر أجداده، وبها فرغ من تأليف أرجوزته (الدرة السنية) وذلك في أوائل شهر صفر عام 614 هـ (10 ماي 1217 م). ولعله. بعد هذا التاريخ، شد الرحلة للحج، وفي طريق عودته إلى الغرب أقام بعض الوقت في مصر، ثم توجه إلى مراكش وهي، يومئذ، لاتزال عاصمة لدولة الموحدين، وبها أمضى الفترات الاخيرة من عمره يشتغل بالامامة والوعظ في جامع الكتبيين حتى وافاه الاجل صبيحة الاحد ثامن عشر ربيع الثاني عام 1223، م) وفي المصادر أن جنازته كانت مهيبة، مشهودة مما يدل على مكانة الرجل المرموقة، ودفن خارج الاسوار في المقبرة القريبة من باب تاغزوت.

وقد أثنى المترجمون على ابن المناصف وأشادوا بمعرفته واجتهاده، فابن الأبار يصفه بسعة الاطلاع والتفنن في المعارف، وبأنه كان صليبا في الحق، نبيها، قد أوتي القدرة على تعمق الاشياء وتحليلها. أما الرعيني فيحليه بالفقيه القاضي الجليل، ثم يشير إلى علمه، وفطنته، وقدرته على النظر في القضايا الفقهية، والاجتهاد في شرحها وتفسيرها. وبمثل هذا تحدث عنه عبد الملك المراكشي مضيفا إليه التنويه بشعره الجيد، ورجزه المطبوع، ومعرفته بالشروط، وبصره بعللها. على أن هؤلاء المترجمين الثلاثة يجمعون على وصفه بالتقصير في مجال الرواية[11].

(11) وهذه نصوص عباراتهم :

— (وكتب الكثير، وكان مقلا من الرواية، ضابطا لما يحدث به، ثقة فيه ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة.

— (ولم يكن له علم بالحديث، ولا عناية بالرواية).

ابن الابار، التكملة، 1 : 326.

— (وعنايته بالنظر أغلب عليه من الرواية)

الرعيني، برنامج شيوخ الرعيني : 129.

ولا يفوتنا ونحن بصدد رصد صورة ابن المناصف فيما كتبه عنه المترجمون له أن نذكر ما تحدث به ابن سعيد في كتابه (المغرب) من أن والده لقي ابن المناصف وأخويه أبا إسحاق إبراهيم[12] وأبا عمران موسى[13] وذاكرهم وباحثهم، وأنه لم يرمنهم إلا نجيبا، غير أن محمدا، مؤلفنا، كان أنجبهم لتفننه في العلوم، وأشهرهم لاهمية خطة القضاء التي تولاها.

كما أنه لا يفوتنا أن نشير في ختام هذه الفقرة إلى أن عناية ابن المناصف بالتدريس والاقراء لا تشذ عما عرفناه، ضمن التقليد الاندلسي في هذا المجال، فابن المناصف لم يكتف بإجازة ابن الابار كما سلفت الاشارة بذلك، بل كان يجلس للدرس والتعليم، وكان ممن تحلق حوله، في آخرين، أبو الخطاب بن خليل، وأبو القاسم ابن ربيع، وهما من شيوخ ابن الزبير[14].

2 ــ آثار ابن المناصف.

إن أهمية مؤلفنا، في مضمار ثقافته، تتبدى، بجلاء، في نوعية بعض

---

(12) ولي، مثل شقيقه محمد، خطة القضاء على عهد الموحدين بمدينة دانية، وبعد الاضطرابات التي عرفتها الاندلس في أوائل عام 621 هـ (1224) نقل إلى قضاء سجلماسة حيث وافاه أجله عام 627 هـ (1229 ــ 1230 م) ينظر، ابن سعيد، المغرب ج 1 ص 106 ــ 107 رقم 41.

(13) اشتهر بشعره، وكانت وفاته بمراكش عام 627 (1229 ــ 1230) ينظر، ابن سعيد، المغرب ج 1 ص 107 ــ 108 رقم 42.

(14) حسب أحمد بابا السوداني والسراج (ينظر الهامش رقم 3) إن القطعة المنشورة من (صلة الصلة) لابن الزبير (الرباط 1938 م) لاتتضمن أية إشارة إلى مؤلفنا. غير أنها أنعت إلى شخصية أخرى من أسرة ابن المناصف هو أبو الوليد بن محمد الذي توفي بعد عام 570 هـ (1174 ــ 1175 م) تنظر، صلة الصلة، ص 43 ــ 44 رقم 67.

مصنفاته[15] التي ظفرت بالذكر والتنويه لدى أجيال العلماء من بعد عصره. وربما كان أبرز هذه المصنفات، وموضوعها الرئيسي هو الفقه، كتاب ''الانجاد في أبواب الجهاد''، وفيه يعالج المؤلف، من منظور فقهي، بعض مظاهر الجهاد، ومن هذا الكتاب نسخة فريدة بخزانة ابن يوسف بمراكش[16]. ومن تلك المصنفات إكماله كتاب القاضي عبد الوهاب البغدادي في الفقه المالكي المسمى ب (التلقين)، وذلك بإضافته فصلا إلى فصول الكتاب هو (فصل السلم). وقد أورد نصه ابن عبد الملك المراكشي في كتابه (الذيل والتكملة)[17] وأفاض في الثناء عليه. وعالج ابن المناصف موضوعات العقيدة، وأصول الشريعة وفرعها، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في أرجوزة تتألف من أزيد من سبعة آلاف بيت سماها ''الدرة السنية في المعالم السنية'' وقد فرغ من تأليفها بقرطبة حين كان يقيم بها في عام 614 هـ (1217 م)[18] كما تقدمت الاشارة بذلك. أما كتابه (مقالة في الأيمان اللازمة) فقد ذكره ابن عبد الملك المراكشي ولا نعرف عنه، سوى ذلك، شيئا.

وبالاضافة إلى هذه الموضوعات الدينية والفقهية عالج ابن المناصف قضايا

---

(15) أمدنا الاستاذان محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد بن شقرون بمعلومات قيمة وتحليلات مفيدة لآثار ابن المناصف. وقد اعتمدت في كتابة هذه الفقرة على الاستاذين المذكورين (انظر. الهامش رقم 3).

(16) مخطوط رقم 748 من القطع الكبير وعدد صفحاته 156 صفحة.

(17) انظر. الذيل والتكملة.

(18) مخطوط الخزانة العامة في الرباط (ك 1/1075) يتألف من 441 صفحة. في كل منها 17 سطرا. ومخطوط مكتبة الجامع الكبير بمكناس رقم 404، يتألف من 180 ورقة. وقطعات بخط أندلسي من الكتاب بخزانة القرويين بفاس تحت رقم 2648. ومن الكتاب قطعتان بدار الكتب القومية بتونس تحت رقمي 998 و234. هذا وقد عني الاستاذ الكتاني بتحليل محتويات هذا الكتاب (ينظر الهامش رقم 3) ص 30 — 31 و48 وما بعدها.

معجمية في أرجوزتين مطولتين، تتألف أولاهما من اثنين وثلاثين وأربعمائة بيت، وهي (المذهبة في نظم الصفات من الحلي والشيات) وصف فيها أجزاء الجسم البشري ومميزاته وخصائصه، أما ثانية الارجوزتين فقد أنهى تأليفها بمراكش قبل وفاته بشهر، وسماها (المعقبة لكتاب ''المذهبة'') وتتألف من ثمانية وستين وخمسمائة بيت، وفيها يصف أجزاء (الانعام والظبا وحمر الوحش والنعام) مضمنا إياها مفردات قيمة وغريبة. وقد حظيت الارجوزتان، وهما مما حفظ لنا من تراث ابن المناصف[19]، بثناء المترجمين وتنويههم[20].

وبالاضافة إلى هذا وذاك فقد ألف ابن المناصف كتاب (تنبيه الحكام) وهو موضوع هذا الحديث ومرتكزه. ولذلك سنتناوله بشيء من التفصيل في الفقرة التالية.

3 ــ كتاب (تنبيه الحكام)

فضلا عن الاشارات الواردة بشأن هذا الكتاب لدى المترجمين بمؤلفه فإننا نجد المؤلفين من فقهاء المالكية يعنون بذكره، بل ويضمنون كتبهم فقرات مطولة منه على نحو ما صنع أبو عبد الله ابن غازي الفاسي (ت 919 هـ ــ 1513 م

(19) فضلا عن مترجميه الثلاثة الاول : ابن الابار وابن سعيد والمراكشي فقد ذكرها مترجمون آخرون : القلقشندي، صبح الاعشى ج 1 ص 152، والعبدري، الرحلة ص 59 ــ 60، والبغدادي، هدية العارفين ج 2 ص 109.

(20) حول مخطوطي برلين والاسكوريال ينظر، بروكلمان، تاريخ الادب العربي (الملحق، 1 ص 910) يوجد كذلك من الكتاب نسختان بالخزانة العامة بالرباط (1 ــ 1725 د) و(4 ــ 2748 د)، وقد سبق نشره في الجزائر (1330 هـ ــ 1912 م) ينظر، محمد المنوني العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين (تطوان 1950) وعنى خ. م ينويلا بمدخل (المذهبة) الاول تحقيقا وترجمة، ينظر "Die Goldene" des Ibn al-Munasif (Roma 1941) وينظر عرض إميليو غرسية غومث حول هذا العمل في مجلة (الاندلس) مج 6 ص 501 ــ 502 (1941).

حين أدرج في كتابه (تكميل التقييد وتحليل التعقيد) فقرات من (تنبيه الحكام)[21] نقلها بعد ذلك، الشيخ الشهير ميارة الفاسي (ت 1072 هـ — 1665 م) وضمنها شرحه على التحفة لابن عاصم، وكذلك نجد إبراهيم بن فرحون (ت 699 هـ — 1397 م) في كتابه (تبصرة الحكام في أصول الاقضية ومناهج الاحكام) يحيل على كتاب ابن المناصف نحو اثنتي عشرة مرة[22]. وفي القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) سنجد قاضي تلمسان العقباني ينقل عن (تنبيه الحكام) فقرات متعددة يدرجها في مصنفه الواسع عن الحسبة المسمى (تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر)[23].

قد حفظ كتاب (تنبيه الحكام) في نسخ مخطوطة، يعرف منها ثلاثة : اثنتان محفوظتان في (دار الكتب الوطنية) بتونس تحت رقمي (8241) و(8892)؛ والثالثة من محتويات مكتبة العالم التونسي الشيخ الشاذلي النيفر. وفي خزانة القرويين مخطوط تحت رقم (ل 80 — 588) يشتمل على مختصر في الفقه يظهر أنه من كتاب ابن المناصف.

وقد اعتمدنا في دراسة هذا الكتاب نسخة تونس التي تحمل رقم (8892)

3 — 1 — وصف مخطوطة رقم (8892)

تتألف هذه النسخة من كتاب (تنبيه الحكام) من 160 ورقة مكتوبة بثلاثة خطوط متباينة، أغلب الظن أن إثنين منها بأيد تولت ترميم ما كان أتلف من

---

(21) ينظر بحث الاستاذ الكتاني (هامش رقم 3) ص 27.

(22) نفسه ص 28

(23) وردت الاشارة إليه تسعة عشر مرة. ينظر A. chenoufi un traité de hisba (Tuhfat al-Nazir) de Mohammad al-uq-bani al- tilimsani, Bulletin d'Etude orientales 19 (1965 — 6) pag 154. والجدير بالاشارة ان اسم ابن المناصف تصحف في هذا الكتاب إلى ابن ناصف.

الكتاب من صفحات. أول تلك الخطوط مشرقي دقيق وجميل، وورقته تتألف من سبع وعشرين سطرا، وقد كتبت به أوراق المخطوط إلى الورقة الاحدى والسبعين وجها. أما الخط الثاني فمغربي كثير الاضطراب والاختلال. تتألف ورقته من خمس وعشرين سطرا. وقد كتب به من المخطوط الجزء الواقع ما بين ورقة الاحدى والسبعين وجها إلى الورقة الثمانية والتسعين ظهرا. والخط الثالث مغربي كذلك، غاية في الضبط والصحة، في كل ورقة منه سبع وعشرون سطرا، وقد كتبت به بقية أوراق المخطوط. ويلاحظ على الصفحة الاولى من المخطوطة طابع الباي أبي العباس أحمد (1837 ــ 1855)[24]، وفيه الاشارة إلى تحبيسه الكتاب على المدرسة التي كان أسسها في رباط المحمدية وهي المدينة الملكية التي كان شرع في تشييدها على بعد 17 كلم من تونس العاصمة. كذلك نلاحظ على هذه الصفحة توقيعات وخاتما مربع الشكل وتاريخا بأوائل رمضان عام 1264 هـ (1 غشت 1848 م). أما الورقتان الاخيرتان من المخطوطة فهما مرممتا الاطراف والحواشي. والغالب على الظن أن هذه النسخة هي التي يذكر بروكلمان اعتمادا على فهرس مخطوطات الزيتونة[25]، وهي، أي النسخة، تحمل، الآن، طابع التسجيل بدار الكتب الوطنية.

وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة صبيحة الاربعاء 24 من ذي القعدة عام 845 هـ (10 أبريل 1442 م) حسب الاشارة المتضمنة لذلك في آخر المخطوطة. وماعدا ذلك فلسنا نقع على معلومات متصلة باسم الناسخ أو مكان النسخ[26].

---

(24) ينظر Art, de 6.Y vert. (M. Emerit) en E.I.El pag 290 — 291

(25) ج 6 ص 283 و2441، وانظر، بروكلمان (الهامش رقم 3)

(26) تلي هذه الفقرة ملاحظات حول مميزات الكتابة في الاوراق الثلاثة من كتاب ابن المناصف المتعلقة بالمنكرات والتي ذيلت بها الكاتبة موضعها، لم نر فائدة في نقلها، أي الملاحظات، إلى العربية لعدم اهتمامنا في خاتمة هذه الترجمة بإثبات النصوص الكاملة التي تضمنتها الاوراق المشار إليها من المخطوط.

3 ــ 2 ــ محتوى كتاب (تنبيه الحكام)

يعنى ابن المناصف في هذا الكتاب بتوجيه جملة أفكار ونصائح إلى القضاة تتعلق بواجبات الخطة التي يتولونها وحقوقها، وهذا ما يدل عليه عنوان الكتاب نفسه[27]. وهو يقع في خمسة أبواب. مهد لها بمدخل موسع (ورقة 1 وجها إلى ورقة 3 وجها) حيث يشرح مخطط الكتاب العام، ملقيا الاضواء على العلاقات التي ينبغي أن تقوم بين الملوك والقضاة موصيا بضرورة التعاون القوي بين الطرفين وفقا لمضمون الوحدة الادارية التي يتميز بها الفقه الاسلامي. وفي الباب الاول من الكتاب يتناول المؤلف الشروط التي يجب توفرها في شخصية القاضي، وهي شروط تشمل الجانب المادي، أي ما يتعلق بالتكوين البدني والمظهر الخارجي مثلما تشمل الجانب المعنوي والفكري مشيرا إلى أن على القاضي أن يكون ذا مظهر وقور، وسلوك مبرأ من العيوب، وأن يصطفي مساعديه اصطفاء.

وفي الباب الثاني (من الورقة 16 وجها إلى الورقة 39 ظهرا) يعالج المؤلف موضوع جمع الشهود محللا بعض التصرفات وألوان السلوك الضالة. أما الباب الثالث (من الورقة 40 وجها إلى الورقة 50 ظهرا) فيحلل فيه المؤلف كيفية تلقي كتب القضاة. وفي الباب الرابع (من الورقة 50 وجها إلى الورقة 91 وجها) يحلل كيفية إصدار الاحكام. أما الباب الخامس والاخير فقد خصه المؤلف بموضوع الحسبة وهو الباب الذي سنعنى بتفصيل القول فيه دون أن نغفل الاشارة هنا، مؤكدين رأي العلامة محمد إبراهيم الكتاني، الى الاهمية العامة للكتاب في تاريخ الفقه الاسلامي[28].

---

(27) في النسخة التي أعتمدها من الكتاب يرد العنوان في الصفحة الاولى بهذه الصيغة (تنبيه الحكام في الاحكام) أما في خاتمة الكتاب فيرد بصيغ أخرى. هي (تنبيه الحكام على مآخذ الاحكام).

(28) انظر دراسة الاستاذ الكتاني (الهامش رقم 3)

4 ــ الحسبة في كتاب (تنبيه الحكام)

إن القضايا المتعلقة بالحسبة تشغل، كما أسلفنا الاشارة، الباب الخامس والاخير من الكتاب ابتداء من الورقة 91 ظهرا إلى 106 ظهرا. وبعد أن يسوق ابن المناصف الآيات المتعلقة بقاعدة (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)[29] وتوجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الامر مستخلصا ما ينبغي أن يكون عليه المحتسب من صرامة في خصوص نفسه قبل كل شيء، يوضح أن موضوع الحسبة يتألف من ثلاثة عناصر أساسية، يتعلق أولها بشخصية المحتسب، وثانيها بممارسة الحسبة في حد ذاتها، والثالث والاخير بالممارسات التي تكون موضوع الحسبة. فأما بالنسبة للعنصر الاول، أي المحتسب، فيعرض المؤلف الشروط التي يجب توفرها فيمن ينهض بهذه الوظيفة (93 وجها ــ 94 وجها). وفيما يتصل بالعنصر الثاني، أي ممارسة الحسبة، (94 ظهرا ــ 98 ظهرا) فقد شرح المؤلف الكيفية التي ينبغي أن تتحقق بها هذه الممارسة معقبا على ذلك بتبيين ما بين الافعال المستنكرة من تفاوت والكيفية التي يجب الاخذ بها، بحسب ذلك التفاوت، في التأديب ابتداء من التنبيه إلى العقاب الرادع، والطريقة التي يجب أن تبحث بها الافعال المستنكرة، ومسؤولية القضاة والحكام في ذلك، ونوعية الاجراء الذي يتخذه الواقف على هذه الافعال وفقا لما يترتب عنها من آثار ونتائج، ووجوب توفر شرط الثقة في الاشخاص الذين من حق القاضي تعيينهم لحراسة الاماكن العمومية. وبالنسبة للعنصر الثالث، أي الممارسات التي تكون موضوع الحسبة أو المراقبة فيرى المؤلف ابن المناصف أن على الولاة والحكام واجب تصحيحها وإنزال العقاب بمقترفيها بمجرد العلم بذلك. ولكي يبلور ذلك كله سنجده يعنى بعرض ألوان من المنكرات المعتاد حدوثها في عهده.

---

(29) انظر. مادة الحسبة في دائرة المعارف الاسلامية. ط 2. ج 3 ص 503 ــ 505
وبدور شالمطا. 46 Il senôr del zoco en Impâna (Madrid 1973) pag. 346

إنه مما لاشك فيه أن هذه القيمة الشهادية المتعلقة بفترة تاريخية محددة تمثل الحافز الرئيس لدراسة هذا الصنف من النصوص. وكثيرا ما جلى الدارسون الامكانات الوثقية لمصنفات الحسبة بخصوص الممارسات الاجتماعية والاقتصادية للعصر الوسيط في تاريخ الاسلام، تستوي في ذلك المصنفات التي يغلب عليها الطابع التطبيقي — وعلى سبيل المثال نذكر، هنا، بما كتبه إميليو غرسية غومث في تحديد مميزات كتاب ابن عبدون[30] — أو تلك النصوص التي تتميز بطابعها النظري[31] وفيها ما يمكن إدراجه ضمن أبواب الفقه ومؤلفاته أو ضمن تلك

---

(30) انظر المقدمة التي كتبها غرسية غومث لترجمته لكتاب ابن عبدون : Sevilla musulmana a conienzas del sigla : el aratade de ibn abdun (Madrid. 1948, 2 ed, sevilla, 1981.

وقد عاد الاستاذ غرسية غومث مرة أخرى لتقويم هذا النوع من المصنفات في Unas "Ordenzas del zoco" del sigla XI traduccion del mâs antiguo antecedente de las tratados andaluees de hisba par un autor an daluz Al-Andaluz 22 (1957) page 253 – 316. وبالخصوص الصفحات 258 — 261.

(31) حول القيمة الاجتماعية للمصنفات الفقهية بعامة ينظر. Cl. Lahen, concidérations sur l'utilisation des ouvrages de droit musulman par l'historien. Atté... Congreso.. Ravello. 1966. وقد أعيد نشره في Les peuples musulman dans h'— histoire médievole (Damarco) 1977. page. 81. 9 وانظر. كذلك. R. Brunschvig, Considerations sociologique sur le droit musulman ancien, studio Islamico. 1955.

M. Talbi Intérêt des oeuvres juridiques traitant de la guerre pour l'historien des armées médievales afiqiyennes. Les cahiers de tunisie 15 (1956) page 289 – 293. Operations tan caires en Ifriqiyo à l'époque d'Al-Mazarī (453 — 536) 1061 – 1141, les bidà studio Islamica, 12 (1966) page 43 – 77- Queque données sur la vie sociale en occident musilman d'après un traité de hisba de XVe siecle arabica, 1 (1954) page 294 306.

وانظر. كذلك سعد غراب، كتب الفتاوي وقيمتها الاجتماعية مثل "نوازل البرزلي" حوليات الجامعة التونسية، 16 (1978) ص 65 — 102 وانظر R. Avie considération sur la vie économique dans l'espagne musulman un cours de bas moyen agé. Akten.. kongresse. Côttirigen. p 47 – 58

النصوص التي تتخلل مصنفات الحسبة والنوازل، ومنها نص ابن المناصف[32].

إن التمييز بين الحسبة النظرية والحسبة التطبيقية، مما أسلفنا الاشارة إليه، مرده، في رأي بعض الدارسين إلى سبب تاريخي بالدرجة الاولى[33]، ذلك أن الحسبة، خلال فترة النشأة الاولى، كانت ممتزجة بالفقه؛ بيد أنها ما فتئت، بعد ذلك، تتطور حتى استقرت في نهج خاص بها. على أن نص ابن المناصف لكونه جامعا بين مباحث الفقه النظري وحالات الحسبة التطبيقية، ولكونه مكتوبا في فترة متأخرة نسبيا، ولكونه نتاج مؤلف يشتغل بخطة القضاء؛ كل ذلك من شأنه أن يحملنا على التفكير في أن التمييز بين قسمي الحسبة هو، بالاساس، تمييز نوعي[34]، بدأ من الصيغة النظرية، وهي التي يتجلى بها في التآليف الفقهية، ومرورا بالصيغة النظرية التطبيقية، وهي التي تكشف عما للقضاة من حق خاص في إصدار الاحكام وتطبيقها، وانتهاء بالصيغة التطبيقية، وهي التي تبلورها مواقف المحتسبين وإجراءاتهم.

واعتمادا على ما صرح به ابن المناصف نفسه، وقد سبقت الاشارة إليه، من قصده في الكشف عما كان يحدث على زمانه من ممارسات مستنكرة ــ علما بأن كثيرا منها عرفته فترات أخرى كذلك ــ نستطيع أن نثبت بأن الوقائع والممارسات التي تحدث عنها ابن المناصف حدثت خلال السنوات الاخيرة من القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) والسنوات الاولى من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، لكن... أين كان مسرح هذه الوقائع والممارسات ؟ إن ابن المناصف كان تولى خطة القضاء ببلنسية ثم بمرسية. وربما لا يكون من

---

(32) انظر مادة الحسبة في دائرة المعارف الاسلامية (هامش 29).

(33) انظر، محمود علي مكي، نص جديد في الحسبة : كتاب أحكام السوق ليحيى ابن عمر الاندلسي، صحيفة المعهد المصري (1956) ص 59 ــ 151 وخاصة ص 99.

(34) انظر، غرسية غومث Unas ordenanzas ص 263

المستبعد أنه في هذا الكتاب الذي وجهه إلى القضاة كان يعرض ألوانا من الوقائع والممارسات التي استنكرها خلال توليه مهام القضاء بشرق الاندلس. وأياً ما كانت الحال فليس من الضروري أن نحدد مسرح هذه الوقائع والممارسات في الاندلس خاصة فقد نستطيع أن نجعله، أي المسرح، في الغرب الاسلامي عامة لما كان بين بلدانه يومئذ من تشابه قوي في الاوضاع[35].

إن الباب الاخير من كتاب (تنبيه الحكام) هو الذي أحصى فيه ابن المناصف الافعال المنكرة[36] التي توثق لنا بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في الغرب الاسلامي أواخر عهد الامبراطورية الموحدية. ويتضمن هذا الباب خمسة فصول[37]، أولها في رصد سلسلة من الممارسات المتعلقة بالشعائر الدينية، وثانيها

(35) يرى الاستاذ غرسية غومث في كتابه "Ordanzas" مشاكل الناس وأقضيتهم وأوضاع البيئة كانت متشابهة في افريقية والاندلس مما تنتفي معه أية أهمية للأصل الاندلسي لهذا المؤلف أوذاك من مؤلفي كتب الحسبة وأحكام السوق في الغرب الاسلامي (ينظر كتاب المنشور في مجلة "الاندلس" 22 (1957) ص 261هامش رقم (1). وهذا ينطبق على ابن المناصف الذي لم يولد في الاندلس ولكنه كان ذا أصول أندلسية عريقة. هذا إلى توليه القضاء في بعض حواضر الاندلس الشرقية. أضف إلى ذلك أن الامبراطورية الموحدية كانت على عصره، تهيمن على مناطق الغرب الاسلامي كلها. ينظر، محمد الطالبي في Quelques données المذكور في الهامش رقم 31

(36) ليس هذا مقام النظر في القواعد الاخلاقية الاسلامية التي تصنف الافعال بواسطتها في مراتب دقيقة ابتداء بممدوحها وانتهاء بممقوتها.
ولكن تنبغي الاشارة إلى أن ذلك كله كان بعيد الاثر في ألوان السلوك والمواقف، انظر، مثلا، كيف يجري ذكره الأمير عبد الله بن زيري في مذكراته :
IL sigla XI en 1e persone. Las "Memorias" de Abd Allah...
ترجمة : ليفي بروفنصال وغرسية غومث. (مدريد 1980) ص 62 وص 78 هامش (1).

(37) سلفت الاشارة (الهامش 23) إلى أن العقباني نقل عن ابن المناصف العديد من الفقرات عرض لها بالتحليل الاستاذ محمد الطالبي في Quelques données (ينظر الهامش رقم 31).

في الحياة الاجتماعية، وثالثها في الحياة التجارية وما يتصل بها من العمليات المصرفية، ورابعها يبسط مسألة تحديد الاسعار، والمؤلف ضد تدخل السلطة في هذا الامر[38]. أما الفصل الخامس والاخير فيعنى فيه المؤلف بموضوع كان لابد أن تكون له انعكاسات خاصة لدى فقيه صليب متشدد في تحرياته وأحكامه كابن المناصف، ويتعلق الموضوع بما ينجم من نتائج سيئة عن اشتغال بعض العامة بعلوم الدين، بل وتجرئهم على الافتاء فيما يحدث للناس من أقضية.

1 ـــ الحياة الدينية

يلاحظ في ضوء ما رصده ابن المناصف مما يتصل بهذا المجال تهاون عام في النهوض بالواجبات الدينية، ف (كثير من الناس من أهل الاسواق والحرف والاجراء (يهملون) شهود صلاة الجمعة... وقد تمالأ كثير من أهل الصنائع اليوم والاجراء وغيرهم على تركها واطراح حضورها وساعدهم على ذلك كثير من الخاصة والاعيان الذين يستعملونهم استكثارا لعملهم في الوقت المستحق لحضور الصلاة).

ومن المظاهر المستنكرة في المجال الديني يومئذ (إسناد الامامة في الصلاة في كثير من المساجد إلى العوام والجهال. وقد لا يحسنون شروط الصلاة والامامة ولا يعرفون أحكام الصلاة فيما تصح به وتبطل. وربما وجد فيهم من لا يفهم القراءة لكثرة اللحن وتحريف بعض الحروف بها...).

ومن ذلك (قراءة القرآن بالالحان المطربة بالترجيع المشبه بالغناء الملهي لسامعه عن الخشوع والاعتبار...)

---

(38) انظر رأي العقباني، تحفة الناظر، ص 147 ورأي الجيلدي، التيسير في أحكام التسعير. تح، موسى لقبال (الجزائر 1970).

ومن ذلك (حضور بعض النساء المتوق أمرهن كالشواب الممتلئات لحما اللائي تتوقع معهن الفتنة مساجد الجماعات).

ومن ذلك الحلف خلال الكلام بالطلاق والايمان اللازمة) اعتقادا بأن ذلك ليس يترتب عليه أي شيء وأن الطلاق لا يتم إلا إذا تلفظ به المرء وقد وضع يده على رأس المرأة.

2 ــ الحياة العامة

وأول ما يعنى ابن المناصف برصده وتسجيله من مظاهرها المستنكرة الاخلال بالنظام في الشوارع من قبل السكارى أحيانا، وأخرى من قبل النسوة اللائـي يخرجن في مناسبات الافراح أو الاتراح، يطفن الشوارع في أسراب، غير مدنيات جلابيبهن، متعرضات لانظار الرجال ومغازلاتهم الفاحشة. وكان مثل هذا المظهر يتكرر حتى ألفه الناس ولم يعودوا يستنكرونه، الامر الذي حدا بقاضينا إلى تنبيه الحكام بوجوب محاربة هذه الظاهرة علانية[42].

ومن المظاهر المستنكرة في الحياة العامة اتخاذ الغناء المحرم والزمر والرقص

(39) انظر M. talbi. La quira a bi.l.alhan. Arabico 5 (1958) page 183 – 190

(40) انظر، العقباني، تحفة الناظر، ص 149.

(41) ضمن الفصل الذي يحمل عنوان ''المنكرات المعتادة في الشوارع والمحلات وهو يشغل من مخطوط ''تنبيه الحكام'' الاوراق 100 ظهرا ــ 102 وجها. وقد أفاد منه العقباني كثيرا. ونحن الآن بصدد إعداد الكتاب للنشر وترجمته إلى الاسبانية.

(42) تحدث ابن المناصف عن ذلك فقال : (... استرسال السكاري في مخالطة الناس والاستطالة بآلات السكر من العبث والهجر، وما أشبه ذلك من منكر أحوالهم، وكذلك غيرهم من أصناف الفساق والمجاهرين بأنواع المناكر كاسترسال النساء حالتي السرور والحزن في الاعلان بأنواع الملاهي البلدية وإظهارها على الاصوات العالية في أسراب يتهاوين على ذلك الحال من موضع إلى آخر ويتعاوين بينهن... وربما اجتمع إليهم الرجال للنظر والتعرض ونحو ذلك، فواجب مهما عثر على شيء من ذلك القبض على فاعله وإبلاغ العقوبة فيه...)، انظر، تنبيه الحكام، ورقة 100 ظهرا.

من قبل قوم بأعيانهم (صناعة وحرفة يكتسبون بها ويستأجرون عليها عند السرور أو الحزن مثل الزفانين والملهين بما لا يحل[43] لهم)[44]. وكان من اختصاص القاضي تفقد حال هذا الصنف من الرجال والنساء.

ومن المظاهر المستنكرة في الحياة العامة (الديار المعروفة بالفساد وإلف المعاصي كبيع الخمر والجمع بين الفساق ونحو ذلك مما عرف عنها). وعلى الحكام، إذا عاد سكان تلك الدور لما نهوا عنه، أن ينقلوهم ويجلوهم عنها ويجلبوا إليها أهل الصلاح والخير.

ومن المظاهر المستنكرة في الحياة العامة (تعرض الفساق وأهل الشر والدعارة لمحارم المسلمين وأعراضهم باتخاذهم المجالس على قوارع الطرق لاذاء المارين من المسليمن إما بإطلاق القول فيهم من الغيبة ونشر العيوب... وإما بالتعرض للنساء والكشف عن عوراتهن والاطلاع على محارمهن والجلوس في مظان ذلك من أبواب الحمامات ومواضع تكررهن طلبا لمخاتلة الكشف عليهن واستمالتهن بالتعريض والمجالسة بالكلام وما أشبه ذلك من صنوف المنكر). وأحيانا أخرى كان النساء أنفسهن، وخاصة اللائـي يتعاطين التجارة، مصدر إثارة لتبرجهن (بأنواع الزينة البادية وأسباب التجمل الظاهرة على حال اختيال في المشي واستعمال منتشر الطيب)[45].

ومن المظاهر المستنكرة في الحياة العامة اجتماع النساء (وتعمدهن إلى نصب الاخبية على الجبانات تباكيا وزعما أن يستتر من يطيل الجلوس منهن. وهذا أدعى

(43) غير أن ابن حزم يقول بإباحة الغناء. انظر E. Teves la epistole sobre el canto con musico instrumental de Ibn Hazan de cardobá Al- Andalun 36 (1571) pag 203

(44) ما بين القوسين بعبارة ابن المناصف. وكذلك ما سيرد بين الاقواس في الفقرات التالية

(45) في أقدم كتاب مشرقي في الحسبة وردت الاشارة الى استعمال النساء لخفاف تحدث أصواتا عند المشي بها مما يلفت إليهم الانظار. انظر، الفقرة رقم 34).

إلى الشهوة والشر وأشد لصرف أعين الفساق وقلوبهم إلى من فيها...) (وكذلك اجتماعهن في بعض الاسواق التي قد يضطررن إليها كسوق الغزل ونحوه) وينصح ابن المناصف بوجوب اختيار ثقات السماسرة ومسنيهم للتصرف مع النساء وتعيين موضع مستتر في السوق يخصهن للجلوس في قضاء ما يحتجن إليه.

إن أهمية الحياة البلدية تتجلى من خلال الاشارات الواردة في نص ابن المناصف حول وجوب العناية بالطرق العمومية والسهر على نظافتها مراعاة لحقوق المارة واحتراما لهم[46]. غير أن ذلك لم يكن ليتم على الصورة الكاملة بسبب (اتخاذ بعض الناس ما يؤول إلى أذاء المسلمين والتضييق في الشوارع عليهم بكنائس الرحاضات المستخرجة من سروب المحلة وقنوات تلك الحومة... وكذلك ما يكون في بعض السطوح من قطر ميازيب تجري بغسالة أو نجاسة... وكذلك اتخاذ مرابط الدواب على الطرق وحيث ينال المارين من ضيق الموضع بها وتعذر الجواز... وكذلك اتخاذ الكلاب العادية في الحومات وعلى أبواب الديار فقد تعدو على كثير ويراع بها الجم الغفير[47]... ومن ذلك ما يستخفه بعض الناس من أذاء البهائم والعنف على الدواب كإثقالها بالاحمال التي لا يستقل بها وإرهاقها في سرعة المشي بالضرب والزجر الشديد حتى يستخرج منها فوق وسعها مثل ما اعتيد فعله الآن من حمالي الزرع وثقال الحجارة والجص). وفي رأي ابن المناصف أن ما تقدم ذكره غير مشروع إلا إذا لم يسبب ضررا أو كان ضرره خفيفا.

(46) ينظر في أحكام الطرق العامة والخاصة والبناء الذي يعوق المرور وإفراغ المياه R. Brunschvig Urbanisme médiéval et droit musulmam, REI 15 (1947) page 127 – 155.

(47) انظر، المسألة الخلافية في طهارة الكلب ونجاسته بين الشافعية والمالكية في دراسة R.V.EBID Y M J L. YOLING A n unpub lished legal mork on a difference betuien the saficites and the Malikites, orientalio Loveniensia Periodico 8 (1977).

3 ــ الحياة التجارية

يفتتح ابن المناصف الفصل الذي عقده حول[49] (المنكرات المعتادة في الاسواق ووقوع المعاوضات[50] بالتحذير من الفائدة التي يمكن الحصول عليها بمختلف الاساليب في المعاملات والاثمان والمصارفة. وبالنسبة للقرض بالربا يشير المؤلف إلى وسائل كان الناس يتوسلون بها لاقتناص الفائدة. وهي معروفة لدى الجميع (كإعطاء درهم في إثنين والزيادة في دين حل على النظرة واستعجال بعض عن كل فيما لم يحل) وهناك أساليب دقيقة وخفيفة للظفر بالارباح الربوية من المفيد ــ كما يرى ابن المناصف ــ تبصرة الناس بها مثل أن يبيع شخص لاخر ثوبا بعشرة إلى شهر يشتريه منه بثمانية نقدا. ومثل بعض ما كان يحدث أيضا من تحملات للدين[51] فاسدة شرعا أو عمليات صرف غير متوازية أو غير مستوفية لكافة الشروط التي تحددها. ومثل بيع الركب واللجم وقوائم السيوف وما أشبه ذلك مما هو محلى بأنواع الذهب والفضة بثمن واحد دون أن يميز بين أثمان تلك المعادن. ومثل خلط المواد في التجارة (كبيع القلائد وعقود الجوهر

---

(48) انظر G.H. Bousquet, Des animaux et de leur traitement selon le judsisme, le christionime et l'Islam, studio Islamico (1958) pages 31-48.

(49) يشغل هذا الفصل من الورقة 102 وجها إلى الورقة 2 ظهرا من مخطوط «تنبيه الحكام».

(50) تنظر معالجة الونشريشي لموضوع الشروط الشرعية للمعاوضة. راجع : E. Anari. la pierre de touche des féturas, Archives Marocaines, 12 (1908) pages 37-41.

(51) عني الاستاذ محمد الطالبي بتحليل عدة حالات من هذا القبيل في : opérations bancaires en Afrigiyo à l'époque d'al-Mazari (453-536/1061-1141). Créditet paiement par chèque, Recherches d'Islamologie... G.C. Anaurati et L.Gardet. Lavaino, 1977, pages 307-319.

المشتملة على شذور الذهب أو الفضة المنطوية على غيرها من الجواهر والياقوت) **فكل هذا يعرض للغرر.**

كما أن أثمان المواد والسلع تمكن أيضا من الحصول على أرباح ربوية (مثل أن يشترى بعشرة نسيئة فيعرف بعشر الشراء ويكتم النسيئة ومعلوم أن بيع النسيئة مما يرفع في الثمن فهذا إن لم يعلم به البائع ويبين له قدرا من النسيئة حرام ونوع من الربا والتدليس. وللمشترى الرد إذا علم بذلك).

ومن مظاهر المنكرات في الاسواق (الغش والتدليس بإخفاء العيوب على طريق التورية والتحيل وإحالة العين كمعالجة الثوب القديم بالقصارة وصقال الكم يوهم بذلك أنه جديد... ومن هذا النوع ما يوجهه أصحاب السلع من جيد أنواع المبيع يكون أفضل مما وليه...) و(التطفيف في الكيل والوزن والذرع فيعطى ناقصا ويقبض وازنا. فالذي يجب في مثل هذا أولا تفقد المكاييل والموازين وقصبات الذرع حتى تكون واحدة في جميع الممر ونواحيه المقتدية به لا يتفاوت فيها شيء عن شيء...)

ومن مظاهر المنكرات في الاسواق اشتغال التجار، في غياب الوازع الديني، ببيع الآلات الموسيقية المحرمة وأواني الذهب والفضة فإنه لا يحل استعمالها وتصريفها في غير الزينة المأذون فيها لا للرجال ولا للنساء. وكذلك بيع أثواب

(52) تنظر مثل هذه الحيل في كتب الحسبة مثل كتاب السقطي «أدب الحسبة» الاندلس، 33 (1968) ص 143، 144، 298، 392.

(53) حول هذا الموضوع تنظر دراسة الدكتور خوان فائني بعنون : Notas de Metralogia hispano-arabe El codo en la Espaňa musulmana. Al-Andalus, 41 (1976) pages 339-354 y II. Medidas de capacidad, id, 42 (1977) pages 61-121.

الحرير التي هي من شكل الرجال وتعلم أنها تشترى لذلك بما عرف من عادة أهل الموضع. وكذلك بيع التصاوير والاشكال المتخذة على هيئة الحيوان كنحو ما يستعمل لجري الماء في الحمامات[54] والديار ونحوها على أشكال الاسد[55]. وكالتصاوير التي تستعمل للصبيان[56] في الاعياد والمواسم) ويوصي ابن المناصف بوجوب إفساد شكل الحيوان المصنوع حتى يذهب الشبه أو جله.

هذه هي المعلومات التي ضمنها ابن المناصف الباب المخصص من كتابه للحسبة، وهي التي يمكن أن نستخلص منها أخبارا غريزة وقيمة من حيث النوع. على أنه حين الافادة منها ينبغي أن يوضع في الاعتبار، وإلى حد ما، الصورة غير المباشرة التي تقدم فيها بوصفها النقيض المستنكر لوضع نظري مثالي طبقا لما يجري في كل مجتمع إيديولوجي. ومن خلال هذا المنظور تبدو الحسبة مادة بالغة القيمة في التعرف على التاريخ الاجتماعي للعالم العربي الاسلامي الذي كان، كما لاحظ الاجتماعي التونسي عبد الوهاب بوحديبة (بحثا مستمرا عن التعويض والذريعة لتحاشي النواهي بصورة أو بأخرى).

تطوان **د. حسن الواركلي**

---

(54) عني ك. روسيو بوردوي بدراسة مسألة التصوير في الفن العربي وجمع أهم الكتابات حوله في : «Decoración zogmarfico en las islas orientales de Al-Andalus» Palma de Mallonca 1978 هذا وقد كان موضوع التصاوير والتماثيل من الموضوعات التي لم ينقطع اهتمام الحسبة بها سواء في المشرق أو في المغرب الاسلامي. ينظر، على سبيل المثال : L. Bercher, la censure des mœurs selon Al-Ghazali IB la 18 (1944) page 313-321 y 21 (1958) pages 289 407 وينبغي بخصوص العقيدة الرجوع إلى كتاب الغزالي «الحلال والحرام» وقد ترجمه إلى الفرنسية بعنوان Le livre du licite et delillicite R. Morelon.

(55) انظر، Ct. Sugier. Le thème du lien dans les arts populaires tunisiens. Cah. Arts et trad. Populaire tunisie 3, (1970) page 66 84.

(56 انظر .L. Torres Baldas, Animales du juguete. Al-Andalus 21 (1956) pages 373-5

أبو إسحق النميري الغرناطي

عبد القادر زمامة

عندما يتعلق الأمر بشخصية من أعلام الماضي تتفتح مواهبها في عدة أقطار من بلاد الغرب الاسلامي. وتسير في مراحل حياتها على خطوط متوازية من : الرحلة، والسفارة، والسياسة، والقضاء، والادارة، والعلم، والأدب، والتاليف... فان قضية «الجنسية» و«الحدود» بالنسبة إليها تبدو وكأنها قضية «متجاوزة» لأن اشعاعها يظل متألقا هنا وهناك. متجاوزا كل تصنيف، وتنميط، وتقدير... !

وأبو اسحق النميري الغرناطي، المعروف في كتب التاريخ الاندلسية والمغربية باسم : ابراهيم ابن الحاج النميري شخصية من هذا النوع، ظهرت مواهبه المتعددة عند كل من بني الأحمر في غرناطة، وبني مرين في فاس. وبني حفص في كل من قسنطينة وبجاية زيادة على اشعاعاته في العديد من أقطار المشرق أيام رحلتيه واتصالاته الواسعة باعلام المعرفة هناك... !

ولد أبو اسحق في غرناطة سنة 713 هـ=1313 م في أسرة مجيدة بأعلامها

قبل أبي اسحق، وبعده تدعى بأسرة بني الحاج، وبني أرقم، التميريين...

وبهذه المدينة تعلم وتأدب وظهرت مواهبه واهتماماته منذ نعومة أظفاره في طلب العلم واقتناص شوارد المعرفة، من حديث، وفقه، ولغة وأدب وتاريخ مع تعفف وسماحة أخلاق، ونزاهة. لاحظها لسان الدين ابن الخطيب في ترجمته من كتاب «الاحاطة» وكان مصاحبا له، ومطلعا على كثير من شؤونه ويشاركه في بعض شيوخه.

ومن أجل مكانة أسرة أبي اسحق عند بني الأحمر، ونبوغه المبكر، الحق بديوان الانشاء في بلاط غرناطة سنة 734 هـ=1333م وهو اذ ذاك في السنوات الأولى من العقد الثالث من عمره... !

ولكن عمله في هذا الديوان لم تطل مدته، اذ أننا نجده ينصرف عنه، من أجل رحلة قام بها إلى بلاد المشرق سنة 737 هـ=1336 م. ويظهر أن أهداف هذه الرحلة كانت متعددة، إلا أن هدف الدراسة، والاطلاع، والاتصال بأعلام المعرفة، وربط السند بهم، إلى جانب اداء فريضة الحج، كان أهم أهداف هذا الشاب الطموح، الذي زار في رحلته هذه : مصر، الشام، العراق والحجاز باحثا، منقبا، آخذا عن كثير من الأعلام، مستفيدا، مفيدا... !

ومن أشهر الأعلام الذين اتصل بهم في هذه الرحلة، وأخذ عنهم، وتبادل معهم أصنافا من المعرفة :

- علم الدين البرزالي 739 هـ=1339 م
- جمال الدين المزي 742 هـ=1341 م
- أثير الدين، أبو حيان النحوي 745 هـ=1344 م
- شمس الدين الذهبي 748 هـ=1348 م
- شهاب الدين ابن فضل الله العمري 749 هـ=1349 م

ـ صلاح الدين الصفدي 764 هـ=1362 م

وكل هؤلاء من الموسوعيين الذين خلدوا معارفهم في مؤلفات، وموسوعات، ماتزال محل تقدير واستفادة على ممر العصور في المكتبة الاسلامية... !

وكتب أبو اسحق : رحلة مشرقية، لانعلم اسمها، تحدث عنها جماعة من مترجميه، ومن جملتهم أبو العباس المقري 1041 هـ=1631 م فقد ذكر في الترجمة التي كتبها لأبي اسحق، من نفح الطيب، أنه اطلع ــ وهو في المغرب ــ على جزء من هذه الرحلة... أما نحن في هذا العصر، فلا نعرف عن هذه الرحلة المشرقية شيئا... !

ويظهر أن أبا اسحق النميري قد ضمن رحلته المشرقية معلومات مفيدة عن العصر ورجاله، وعن تنقلاته الواسعة بين مدن المشرق، كما ضمنها كثيرا من النصوص العلمية، والأدبية التي رواها عن شيوخه، وكثيرا من الافادات، والاستفادات، التي كانت له مع الاقران، والمرافقين، والأصحاب، شأنه في ذلك شأن ابن رشيد السبتي 721 هـ=1321 م الذي سبقه إلى هذا الميدان...!

وكان ابو اسحق النميري اثناء رحلته المشرقية مرافقا لصديقه الرحالة القاضي الأديب خالد بن عيسى البلوي المكنى بأبي البقاء 765 هـ=1364 م مؤلف الرحلة المسماة : تاج المفرق، في تحلية علماء المشرق : في عدد من المراحل، والزيارات، والاتصالات... وكان الرفيقان على وفاق، ومودة، وتعاون، بدليل ما نجده في رحلة البلوي من اشارات، وأخبار ونصوص تذكر أبا اسحق ذكرا حسنا، وتنعته بأجمل النعوت...

وكانت رحلة أبي اسحق إلى أقطار المشرق وصلاته المتعددة بأعلام عصره، سببا في شهرته هناك تلك الشهرة التي نلمس أصداءها في عدد من الكتب

المشرقية، بل أن بعض هذه الكتب ترجمت له منوهة بعلمه، وأدبه، وفضله، كما فعل الحافظ ابن حجر 852 هـ=1448 م في كتابه : «الدرر الكامنة» ج 1 ص 29 ط القاهرة 1966 م.

وعند رجوع ابي اسحق من رحلته هذه مر على تونس وكانت له بها صلات علمية وأدبية جعلت بعض بني حفص يقدرون علمه، ويعرفون تجربته ويدعونه للعمل في دولتهم... !

وقا زاره صديقه ورفيقه في الرحلة أبو البقاء البلوي، في مدينة قسنطينة وهو يعمل اذ ذاك مع بني حفص، وكانت هذه المدينة تابعة لهم... !

كما أن لسان الدين ابن الخطيب ذكر في ترجمته من كتاب «الاحاطة» اقامته، وعمله في مدينة بجاية... ونفس الشيء ذكره أبو الوليد ابن الأحمر في ترجمة أبي اسحق من كتاب «مستودع العلامة».

وانتقل ابو اسحق من العمل عند الحفصيين إلى مدينة فاس للعمل في دولة بني مرين عند السلطان أبي الحسن المريني...

وقد سجل ذلك الحافظ ابن مرزوق 781 هـ=1380 م في كتابه : «المسند الصحيح الحسن»... !

وأثناء عمله في دولة أبي الحسن، رافقه في رحلة تفقدية طويلة لعدة مدن مغربية وذلك سنة 745 هـ=1344 م منها : سبتة، وقصر المجاز، وطنجة، واصيلا، وفاس، وسلا... وكتب أبو اسحق لهذه الرحلة المغربية مذكرات مفيدة، تصور جوانب وأنماطا من الحياة المغربية في ذلك العصر، علمية، واقتصادية، وادبية وجغرافية، وعمرانية، مع الحديث عن كثير من الاعلام والشخصيات، ورواية قصائد، ومقطعات أدبية سمعها أبو اسحاق في جهات مختلفة... !

وهذه المذكرات ظلت محجوبة عن الأنظار لمدة قرون ومنها قطعتان تحتفظ بهما خزانة الأسكوريال الأولى رقم 1734، والثانية رقم 483، وقد اهتم بهاتين القطعتين المستشرق الفرنسي الفريد ذي بريماري A. de Prémaré ودرسهما وحققهما وتقدم بعمله هذا إلى جامعة القاهرة، لنيل شهادة الماجستير، في الادب العربي سنة 1468 م.

ثم عاوده الحنين إلى المشرق، ومعاهده ورجاله فرحل مرة ثانية بعد استئذان ابي الحسن.

ولا نستطيع — اعتمادا على ما بأيدينا من المصادر — أن نحدد ما أنجزه أبو اسحق في كل رحلة من رحلتيه المشرقيتين من اتصالات وانجازات لأن الأمر لايعدو الظن والحدس، والاجمال... !

وعند رجوع أبي اسحق من رحلته الثانية، وجد الأحوال قد تغيرت بسبب ما حل بجيش السلطان ابي الحسن المريني في معركة القيروان سنة 749 هـ=1348 م.

فلم يسعد — والأحداث تتلاحق في تونس والمغرب — إلا أن ينتظر ما ستسفر عنه هذه الأحداث المتلاحقة وآوى بعض الوقت إلى (العباد) بتلمسان حيث يوجد ضريح أبي مدين، ليجد نفسه منقطعا عن الوظائف والأعمال مفكرا، متأملا... !

ولما تم الأمر للسلطان أبي عنان بادر باستدعائه إلى العمل بجانبه بفاس، وهناك وجد بلاطا تتزاحم فيه شخصيات مغربية، وأخرى وافدة فربطه معها صلات متعددة في هالة من الجدية، والتقدير، والافادة والاستفادة... !

ونلمس ذلك في التنويه الذي حظي به أبو اسحق من طرف مؤرخ دولة

بني مرين أبي الوليد ابن الأحمر في كتبه : روضة النسرين، ومستودع العلامة، ونثير فرائد الجمان...

وكان أبو اسحق في آخر حياة أبي عنان 758 هـ=1356 م على موعد مع رحلة طويلة شاقة يرافق فيها ابا عنان إلى قسنطينة والزاب... وكان قصد أبي عنان من هذه الرحلة هو ما كان يقصد من «الحركة» لاجل ايقاف عبث التجمعات القبلية بالأمن وما كان لها من أعمال للشغب والفوضى بعد معركة القيروان التي جرت على عهد والده أبي الحسن... !

وكتب أبو اسحق عن هذه الرحلة كتابه المسمى : «فيض العباب، واجالة قداح الآداب، في الحركة السعيدة إلى قسنطينة، والزاب».

وهذا الكتاب كتبه ابو اسحق باسلوب مصنع شبيه اسلوب المقامات، وصف فيه حركة ابي عنان وما اكتنفها من اعمال، وملابسات، وجمع فيها من المعلومات الجغرافية، والحضارية، والسياسية والادبية ما يعد مادة فريدة جديرة بالبحث والدرس والاستنتاج...

ومن هذا الكتاب نسخة يعتقد أنهاوحيدة بالخزانة الحسنية بالرباط رقم 3267 في 352 صفحة، ضاع من أولها ورقة، ويوجد بتر يسير بوسطها، وخطها اندلسي واضح، وورقها سميك، وملون...

ويظهر من المقدمة أن أبا اسحق ترك كتابه هذا في أوراق، وجذاذات، وتقاييد، قبل أن يتفرغ لترتيبها، وتنقيحها وتخريجها في حلة مناسبة للموضوع، ثم رفعها إلى أبي عنان...

والذي قام بهذا كله ــ بعد موت أبي اسحق ــ وموت أبي عنان هو ابن اخ له يسمى : ابراهيم بن أبي عمرو ابن الحاج النميري، كان على صلة ببلاط بني مرين فاراد أن يتحف بهذه الرحلة بعد تنقيحها وترتيب أوراقها، السلطان

ابا فارس عبد العزيز بن أحمد «عبد العزيز الثاني» الملقب بالمستنصر 799 هـ=1396 م.

وحيث أن عمل ابراهيم بن أبي عمرو تم في ظروف كانت فيها دولة بني مرين اخذة في منحدرات الضعف والتمزق، فإن رحلة فيض العباب ظلت محجوبة عن أنظار الباحثين، والمؤلفين، والدارسين... !

ولانكاد نجد نقلا عنها ــ فيما نعلم ــ في المصادر التي ألفت في تاريخ المغرب، وتاريخ رجاله، بل أن المعلومات التي انفردت بها، عن المغرب على عهد أبي عنان لانكاد نجد لها ظلا ولا اثرا في مصادر أخرى... مما يدل على أنها كانت محجوبة عن انظار المؤلفين لمدة قرون... !

وهذه الرحلة باسمها يذكرها ابن الخطيب في ترجمة أبي اسحاق من الاحاطة...

كما يذكرها باسمها ابن القاضي في ترجمة ابي اسحاق من الجذوة...

والمقري في نفح الطيب لخص ترجمة الاحاطة وحذف منها فيما حذف اسم هذه الرحلة... !

ويظهر أن كلا من ابن القاضي... والمقري لم يطلع على نص هذه الرحلة، ولم يستفد منها، ولم ينقل منها...

وقد قدمنا في صدر هذا المقال أن المقري انما اطلع على جزء من رحلة ابي اسحق «المشرقية» وقال : «ان أتى فيه بالعجب العجاب»... !

وبعد وفاة ابي عنان 759 هـ=1358 م وتغير الأجواء السياسية، في دولة بني مرين، رحل النميري عن المغرب، وقصد غرناطة، فعمل في بلاط بني الأحمر،

كاتبا، وقاضيا، وسفيرا، غير متوان في حياته العلمية، والادبية، تاليفا، وتدريسا وانتاجا...

وعرف من تلاميذه في غرناطة ابا بكر ابن عاصم صاحب المنظومة المسماة «تحفة الحكام، في نكت العقود والاحكام» وغيرها من المؤلفات 829 هـ=1426 م، وله به صلة عائلية... !

واستمر ابو اسحق في ظل دولة بني الأحمر يقوم بالوظائف والواجبات وينظم القصائد في المناسبات، وقد روى مترجموه من انتاجه الادبي شيئا كثيرا...

ويحدثنا المؤرخ يحيى ابن خلدون في كتابه : «بغية الرواد» عن وصول ابي اسحق الى مدينة تلمسان موفدا من ملك غرناطة محمد بن يوسف الغني بالله، إلى ملك بني عبد الواد ابي حمو طالبا المساعدة والمعونة وذلك سنة 763 هـ=1361 م.

كما يحدثنا لسان الدين ابن الخطيب في ترجمة ابي اسحق من الاحاطة، انه قام بسفارة إلى تلمسان سنة 768 هـ=1366 م وعند رجوعه منها أسر بعرض البحر من طرف العدو ثم اطلق سراحه... !

ولا نعلم — حسب المصادر التي بايدينا —تاريخا مضبوطا لوفاة ابي اسحق...

غير اننا نجد اسماعيل باشا البغدادي ت 1339 هـ=1920 م يذكر في كتابه «هدية العارفين» ان هذه الوفاة كانت سنة 769 هـ=1367 م.

كما أن عبد الله عنان يجعلها سنة 770 هـ=1369 م وذلك في فهارس الخزانة الملكية ص 389 ج 1 الرباط 1980 م.

اما تراث ابي اسحاق النميري المتعدد الموضوعات والمؤلفات فإننا نجد ابن

القاضي في الجذوة والمقري في النضم، والبغدادي في هدية العارفين، يذكرون ما يفوق العشرين من اسماء مؤلفات ابي اسحاق... !

وحيث اننا لانعرف عن جل هذه المؤلفات ما يمكننا معه وصفها فإننا نحيل على هذه المصادر التي ذكرتها ونكتفي بالاشارة إلى ثلاث منها :

1) مجموعة شعرية تسمى : قرائن النصر، ومحاسن النصر، في مدح امير المسلمين ابي عبد الله ابي نصر.
توجد هذه المجموعة في المتحف البريطاني بلندن.

2) مذكرات ابن الحاج النميري الأندلسي وهي المذكرات أو اليوميات التي كتبها ابو اسحق عند مرافقته للسلطان ابي الحسن المريني سنة 745 هـ=1344 م في رحلته عبر مدن المغرب...

وقد قدمنا أن المستشرق الفرنسي A.l. de Prémaré اهتم بتحقيقها ودراستها...

3) فيض العباب واجالة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب.

وقد اشرنا إلى اهميتها ونسختها الخطية في الخزانة الحسنية بالرباط رقم 3267، وقد تم طبعها مع دراسة وتحقيق للذكتور محمد ابن شقرون، الرباط 1984 م.

فاس **عبد القادر زمامه**

اعتمدنا في تحرير هذا المقال على مصادر منها :

- الاحاطة لابن الخطيب
- جذوة الاقتباس لابن القاضي

- المسند الصحيح لابي مرزوق
- نفح الطيب للمقري
- ابو الوليد ابي الأحمر لعبد القادر زمامه

قصة

أعظم دور في حياته

أحمد عبد السلام البقالي

لم يكن الممثل المنسي «أحمد الطيبي» يظن أنه سيمثل أعظم أدوار حياته ذلك المساء..

أوقف سيارته على الجرف المطل على المحيط ونزل. انفتحت الابواب الأخرى، ونزلت زوجته زبيدة الحسناء، رغم امتلائها مؤخراً، ونزل طفلاه طارق ورضى، وهما في الثانية عشرة، والعاشرة تباعاً..

و لم تمض عشر دقائق حتى كان الأستاذ أحمد الطيبي يدخن غليونه، ويقرأ الجريدة، وهو جالس على كرسي صيده القصير، وقد ركز القصبة أمامه ورمى بالصنارة والطعم بعيداً خلف الأمواج التي كانت ترتد بلطف عند التقائها بجدار الجرف.

كان يضع على رأسه طاقية اسكوتلا ندية ملونة دوائرها بجميع ألوان قوس قزح، وعلى عينيه نظارة ذات إطار ذهبي رقيق ، وقد استدار وجهه. واختلط الشيب بشعر شاربه الدقيق.

واسترعى انتباهه عنوان على ثلاثة أعمدة، بالصفحة الثالثة، يعلن «عصابة عين الدئاب تقتل رجلاً، وتختطف زوجته»

كانت تستهويه الدراما الانسانية الحقيقية التي يعثر عليها من حين لآخر، بين صفحات الجرائد، فيقرأها بشغف واهتمام مهني، لعلّه يستطيع أن يستخرج منها مسرحية أو رواية تلفزيونية.. وقرأ:

«.. وجدت جثة رجل في حوالي الأربعين، على شاطىء سيدي عبد الرحمان. عثر عليها صياد صباح أمس. وتبين، بعد التحقيق، أن القتيل كان يتنزه هو وزوجته وطفلتهما، حين فاجأتهم عصابة عين الذياب التي أشاعت الرعب في المنطقة، فاعتدت على الزوج، وتركته في حكم الميت، وأخذت الزوجة والطفلة في سيارة الأسرة، والبحث جاد في العثور على هذه العصابة الاجرامية التي يبدو من تصرفاتها الوحشية أنها تتعاطى المخدرات الشديدة المفعول وأنها تتاجر في قطع السيارات المسروقة لاشباع نهمها إلى المخدرات...»

ورفع أحمد الطيبي عينيه في قلق عن الجريدة ليمسح بنظرته المنطقة المحيطة به .. كان الجرف بعيداً عن الطريق العام.. وحين لم ير إلا ولديه يلعبان، تنهّد مرتاحاً، وقلب الصفحة، ومعها طوى قلقه .. فوجود عصابة من عين الدئاب (بالدار البيضاء)، في هذه المنطقة المنعزلة من ضواحي (الرباط) مستبعد جداً..

وألقى نظرة على رأس قصبته الدقيق، ثم عاد إلى صفحة الرياضة.

وصبت له زوجته قهوة ساخنة من الترموس، ووقفت تمدها له. وحين رفع عينيه إليها وجدها تنظر بعيداً، فنظر إلى حيث كانت تنظر. فإذا سبعة أشخاص قادمون نحوهم..

«العصابة مكونة من سبعة !»

ونهض من كرسه، وأبعد كأس القهوة بيد مرتعشة، فأعدى زوجته زبيدة بقلقه..

ـــ من يكون هؤلاء ياأحمد؟

ـــ لا أدرى .. ولكن «من الحزم سوء الظن».. أين الولدان ؟

ـــ فوق صخرة تحت الجرف. يرميان الحصى في الماء.. لماذا ؟ هل تعتقد أن هؤلاء ينوون شراً ؟

ـــ لاأدري.. ولكن الاحتياط لازم. كان السبعة يقتربون بسرعة مقلقة .. ولم يبد عليهم أنهم سيتحولون عن اتجاههم.

ودار مخُّ أحمد الطيبي بسرعة مفرطة .. «ماذا يفعل لو كان هؤلاء هم عصابة عين الذئاب؟»

وتوجه إلى نفسه باللوم: «ولماذا اختار أنا الخروج للصيد في هذه المنطقة المعزولة الملعونة، وفي هذا اليوم بالذات ؟»

وتدارك نفسه بسرعة: «هذا تفكير سلبي ! فكر في طريقة للنجاة بأسرتك .. إذا كنت لاتستطيع التمثيل على هؤلاء السبعة، وتخديرهم بفنك حتى تأتي النجدة فأنت لست بفنان !كل ماتعلمته على الخشبة من مواجهة الجماهير هراء في هراء !»

العصابة تقترب بسرعة.. إنه الآن يستطيع تمييز رؤوسهم الشعثاء. وملابس رعاة البقر الزرقاء الوسخة.

وهمس لزوجته:

ـــ إنزلي إلى حافة الجرف.. حاولي أن تبتعدي عن هذه المكان متسترة بالجرف.

ـــ قد يكونون مجرد جماعة من الرعاة وأولاد البادية اجتذبهم لمعان السيارة.

قهرها من بين اسنانه:

ـ افعلي ما اقول لك !

وانحنى بهدوء فاستل القصبة من الأرض، وتظاهر بأنه يلقى بالطعم بعيداً..

وبينما دماغه يقلب الاختيارات القليلة اليائسة التي وردت عليه بدون أمل، لاح له على وجه قفة مسدس لعب شبيه بنوع (ماغنوم) البوليسي الكبير كان اشتراه في عيد ميلاده على أن يستعمله في الأدوار التي تتطلبه .. فانحنى والتقطه شاكراً الله على المعونة غير المنتظرة.

وركز المسدس في حزامه حيث يراه القادمون، وصب فكره على السيناريو الذي عليه أن يضعهم فيه، وعلى الحوار الذي يجب أن يديره ويوجهه الوجهة التي تخدم هدفه.

وحين لم يبق بينه وبينهم إلا حوالي عشرين متراً، وقف على رأس التل مفتوح الساقين، حتى لايترك الفرصة لفرائصه لترتعد، وحتى يوحي موقفه إلى خصومه بالقوة والاعتداد..

وحين لم يبق بينهما إلا عشرة امتار صاح فيهم:

ـ ماذا تريدون !؟

فلم يجب أحد منهم، بل استمروا في السير نحوه.

وهنا استل المسدس، وصوبه نحو رئيسهم وصاح صحية عسكرية:

ـ حدك تم ! الزم مكانك ! فتوقف رئيس العصابة وأشار لجماعته بالتوقف، ورفع يديه، والتفت بجد ساخر إلى رفاقه:

ـ ارفعوا أيديكم يأولاد ! الرجل معه مسدس.

ووقف ينظر بعينين ذابلتين بفعل مخدر..

وصاح أحمد الطيبي :

ـــ ماذا تريدون ؟

فرد الرئيس الشرس بمسكنة تمثيلية:

ـــ والله ياسيدي لانريد إلا أن نطل على البحر من فوق الجرف.. نريد أن نرى شمس الأصيل.

وهنا انخرط أفراد العصابة في غناء مقطوعة الآلة الاندلسية بألحان نشاز:

«شمس الأصيل..

يالا لان يالا لن، يالا لان لالان! شمس الأصيل..»

؟ وحين انتهوا، ضحك رئيسهم الذي كانو يدعونه «بالأفقم» لاعوجاج في فمه، وأسدل يديه مستخفا بتهديد الطيبي، ومشيرا إلى الجماعة لتتبعه إلى حيث يقف الممثل مفتوح الساقين وقد طال ظله على الأرض حتى حاذى اقدامهم. وحين تلكأ البعض خوفاً من المسدس، صاح فيهم ساخراً:

ـــ إنه لعبة أطفال !

فصاح به الطيبي:

ـــ هل تراهن ؟ هل تراهن على أنه لعبة أطفال ؟ ستراهن بحياتك..

وانقلب تعبير وجه الافقم الساخر إلى عبوس حامض شرس، وأشار بيده إلى الذي خلفه دون أن ينقل بصره عن الطيبي ليطوقه من اليسار.. وما كاد الرجل يتحرك حتى صرخ فيه أحمد الطيبي

ـــ الزم مكانك، إذا لم ترد أن تذوق طعم مخك..

ولوح بالمسدس في وجه «الأفقم» فلمع:

ـــ هذا مسدس بوليسي من نوع «ماغنوم ـــ فورتي فايف.»

نطقها بالانجليزية كما حفظها في أحد أدواره القديمة ليبهرهم.. وأضاف:

ـــ إنه يصيب الابرة عن بعد مائة متر ! وكان يمكن لي أن أجربه أمامكم

لتروا مفعول هذا المدفع المتنكر في زي مسدس صغير، لو لا أن به ست رصاصات فقط ! وأنتم سبعة ! وصاح أحدهم في الخلف:

حتى ولو أصبت ستة منا سيبقى واحد ليصفي معك الحساب !

فأجابه الطيبي بلهجة مسترخية توحي بالثقة الكبيرة في نفسه.

لقد حسبت حسابي جيداً.. سوف أصفي أقواكم بالرصاصات الست.

وسأبقي أضعفكم لأسحقه بيدي هاتين.. فأنا حائز على الحزام الأسواد في مصارعة الكراتي !

ونزل صمت أحس فيه الطيبي بالزهو والانتصار على العصابة..

ونطق «الافقم» مشيراً إليه باستخفاف :

ـــ حزام أسواد بتلك البطن !؟

ضبطته ملاحظة «الافقم» على غرة، فلوح بمسدسه سريعاً. وأدخل بطنه بيناهم ينظرون إلى المسدس وقال:

ـــ الكراتي فن لاعلاقة له بشكل الجسم !

وهنا صاح أحد أفراد العصابة متذكراً:

ـــ إيه ! الآن تذكرت ! ألم تعرفوه ؟ إنه ممثل ! لقد رأيته مرة في التلفزيون

ـــ إنه احمد الطيبي !

فقال «الأفقم» وقد دخل مرحلة اليقين بعد الشك:

ـــ كدت تنجح في التمثيل علينا ـــ ولكن المسرحية انتهت، وانسدل السكار. وقد تعبنا واقفين.

وصفقت بقية العصابة وهتفت في تهكم.

وكان العرق قد نش وجهه. وبدأ يتصبب على سائر جسده، ويحس

واقترب: منه الرئيس بضع خطوات مشيرتً إليه بأصبعه، وكاشفاً عن خنجر كبير في حزامه الواسع المرصع بالنحاس:

ـــ اسمع.. إكراماً لتمثيلك. سنتركك تذهب..

فتنهد الطيبي الصعداء في سره، ولكن ارتياحه لم يطل، فقد أضاف الأفقم:

ـــ ولكن بشرط ـــ أن تترك لنا السيارة والمرأة ، وتذهب.

وأحس بوجهه يمتقع فجأة، وبأعصابه تكاد تفلت منه، وأنه يوشك أن يصرخ في وجهه: «تلك المرأة زوجتى، وأمّ أولادي أيها الكلاب ولن تصلوا إليها إلا فوق جثتي !» ولكنه راجع نفسه بسرعة، وكأنه ينصت لملقن المسرح يهمس له: «الزم السيناريو.. لاتلعب في أيديهم. لا تفقد أعصابك فيحترقوك ويغلبوك !»

«ولكن، يا إلهي ! ماذا أفعل الآن ؟! هذه مفاجأة لم أتوقعها !»

وقبل أن يحسوا بارتباكه تداركه ذكاؤه المسرحي، فقال:

ـــ أنتم تعرفون فقط أنني ممثل ! وهل يستطيع الممثل، في هذه الايام أن يشتري سيارة ومنزلا .. بل هل يسطيع بدخله التافه حتى أن يتزوج كبقية عباد الله !؟ كلا لذلك فأنا الآن أعمَل مع رجال الأمن السرى.. ومنهم عرفت أن عصابة عين الذئاب تركت الدار البيضاء بالامس في اتجاه الرباط.. وقد تطوعت لأكون طعماً لكم في هذه البقعة المنعزلة لأنكم دائماً تختارون ضحاياكم من منتجعي الأماكن الخالية ! وقد صدق حدسي البوليسي.. فمرحبا بكم في سجن الرباط.

وهنا نظرا «الافقم» إلى بقية العصابة، وصاح فيهم:

ـــ إنه يكذب ! يمثل.. تعالوا نزله من طريقنا، ونأخذ السيارة والمرأة ونبتعد عن هذه البقعة المشؤومة !

بقطراته تحت ابطيه. فخلع نظارته السوادى يمسحها من بخار العرق الذي بدأ يحجب رؤيته وبانت عيناه السوداوان، وحاجباه المقترنان.

وتحرك البعض، وبقى البعض ثابتاً في مكانه، فصاح فيهم الطيبي:

ــ لن تذهبوا بعيداً، إنكم مطوقون من كل جانب ــ والبلد كلها تبحث عنكم ــ فقد رصدت عائلة ضحيتكم الاخيرة جائزة بمبلغ مائة مليون لمن يقبض عليكم، أو يأتي بأحدكم حياً أو ميتاً ! ألم تعرفوا ذلك.؟ طبعاً لا ــ إنكم أميون لاتقرأون ولا تكتبون.

وانحنى فالتقط الجريدة، وعرضها عليهم:

ــ انظروا ــ كل ذلك في جريدة اليوم ــ الجائزة لاي واحد يدل على رئيس العصابة ! حتى من بين أفراد العصابة نفسها ــ أي واحد منكم يمكنه الحصول على عضو شامل عن جميع أعماله مع العصابة إذا أخبر الشرطة بمكانها، أو أخذ أحد أعضائها.

وهنا بدأ أعضاء العصابة يبتعد بعضهم عن بعض، وينظرون حواليهم في شك وارتياب شديد ــ وهنا زاد وجه «الافقم» اعوجاجاً وهو ينظر بمقت شديد إلى احمد الطيبي، واستل خنجره، ومشى نحوه بخطوات واسعة.

وارتبك الطيبي فأخذ يبتعد ويصيح فيه:

ــ الزم مكانك، أو أطلق النار!

ــ اذا كان ماقلته صحيحاً عن التطويق والجائزة، فلن اترك حياً لتتمتع بها، أو لتتشفى في حين يقبضوا عليّ..

وعثر الطيبي في الكرسي القصير خلفه وسقط على ظهره، وارتمى عليه الافقم، فأمسك الطيبي برسغ يده القابضة على الخنجر ليبعده عن وجهه.. وتدحرج الاثنان على الارض حتى كادا يقعان في البحر ــ ويئس الطيبي لعلمه

أن العصابة ستهب إلى مساعدة رئيسها والاجهازعليه. ولكن انتظاره طال، وهو يصارع المارد الشرس بقوة لم يعهدها في بدنه من قبل..

واستطاع «الافقم» في النهاية أن يمسك بيدي الطيبي، ويضعها تحت ركبته، ويرفع الخنجر ليغرسه في صدره...

وفي تلك اللحظة نزلت حجرة صماء على رأس الأفقم، فأفقدته الوعي، وسقط على صدر الطيبي كالخروف المذبوح.

وفتح الطيبي عينيه ليرى ولده طارق يزيح جسد رئيس العصابة من فوق صدر والده، ويمسك بيده ليساعده على الوقوف، فيعانقه هذا بحرارة وقوة، وينفجر باكياً..

وانضمت اليهما زوجته زبيدة وولده رضى، فأخذ ينظر حواليه في دهشة، وقد ازدحم المكان بالناس، وكأن الأرض انشقت عنهم..

وحين اقتاد الناس أفراد العصابة، وايقظوا رئيسها، وعاد احمد الطيبي وعائلته إلى سيارتهم، حكى له طارق مافعل حين هجمت العصابة.

قال: «حين أدركت أننا مطوقون، قلت في نفسي، لاينبغي أن أضيع دقيقة واحدة في الحسرة وانتظار الفرج. فخلعت ملابسي إلا الحذاء، ومشيت على حرف الجرف القريب من الماء، ولحسن حظي لم تكن الأمواج عالية، حتى ابتعدت عن هذا المكان، وخرجت من الناحية الاخرى وسط الغابة كي لايراني أفراد العصابة.. من هناك أطلقت ساقي للريح حتى وصلت طريق السيارات ــ وحاولت بكل قواى وقدرتي على التمثيل أن أوقف سيارة خاصة واحدة. فلم أفلح.. قلوب الحجارة !

فعلق أبوه: «لاتقس عليهم ياولدي ــ فالناس تخاف.. ومن سيقف لولد عريان وسط الطريق، في أول الليل ؟»

واستأنف طارق: «ولكنني رأيت حافلة ضخمة آتية من الدار البيضاء

مليئة بالركاب، فوقفت أمامها ألوح بكلتا يدي، وهي قادمة نحوى بسرعة والسائق يومض التورف وجهي حتى أحيدله عن الطريق.. وحين تأكدت من أنه رآني ألقيت بنفسي أمامه، وأغلقت بجسدي الطريق ــ وسمعت زعيق عجلاته الضخمة على لارض، فأيقنت أنه سيدوسني، فشهدت، وأغمضت عيني ــ ولكن الله سلم. فقد توقفت الحافلة الهائلة وعجلتها اليمنى تكاد تلمس رأسى.

«ونزل الناس، وجاء السائق غاضباً يريد أن يضربني، فصحت فيهم بأعلى صوتي: » أبي وأمي وأخي الصغير في خطر ــ عصابة الدار البيضاء تطوقهم هناك على حافة الجرف ــ أرجوكم تعالوا معي لانقاذهم..»

«وتقدمتهم أجرى وهم خلف حتى اقتربنا ــ ورآنا أفراد العصابة فحاولوا الهروب، ولكن بعد فوات الاوان، فقد طوقهم ركاب الحافلة من كل مكان، وأمسكوابهم واحداً واحداً كالدجاج.. وقصدت أنا رئيس العصابة فأدركته وهو يكاد يطعنك بالسكين. فالتقطت حجر المراغة» وهويت به على رأسه..

وضمته أمه وبكت.. وبقى والده أحمد الطيبي يردِّد: «الله يرضي عليك، ياولدى ــ الله يرضي عليك قدما في السما من نجمة، ومن قطرة في الماء ومن حبة رمل في الصحراء.. فقد انقذت حياتي.»

فسأل طارق: «في الواقع كنت يائساً من المجيء إليكم بالنجدة في الوقت المناسب، فكيف استطعت أن تؤخر هجومهم عليكم طول هذه المدة ؟!»

فرد أحمد الطيبي:«والله يا بني لاأدري كيف ــ تملكتني غريزة حب البقاء فدافعت عن نفسي بأحسن وسيلة اتقنها ــ التمثيل!»

وعلقت الأم :«لو كنت هناك ياطارق، لرأيت والدك يمثل أعظم دور في حياته! حتى أنا انخدعت، وصدقت ماكان يقوله عن كونه مع البوليس، وأنه كان ينتظرهم هناك كفخ بشرى حي ! لدرجة انني ارتحت وزال عني الخوف!»

وسأل رضى أخاه طارقاً:

«ولكن لماذا خلعت ملابسك لتذهب للمجيء بالنجدة؟»
فرد طارق: «لأستطيع السباحة إذا سقطت في البحر.. حتى لايستطيعوا الامساك بي اذا طاردوني!»
وضحك الأربعة من القلب

الرباط — **أحمد عبد السلام البقالي**

العلاقات المغربية الإسبانية

خلال القرن السادس عشر

العهد السعدي الأول نموذجا

محمد رزوق

ان أهم شيء يمكن ملاحظته ونحن بصدد الحديث عن العلاقات المغربية الاسبانية خلال القرن السادس عشر هو التقارب الذي كان يقع باستمرار بين المغرب والاسبان نتيجة الضغط التركي مما سيؤثر عمليا على قضيتين اساسيتين ظلتا محور الاحداث طيلة هذه الفترة وهما قضية الثغور المحتلة، وقضية المورسكيين.

— 1 —

بمجرد وصول محمد الشيخ السعدي الى فاس بدأت تبدو في الافق ملامح السياسة الاسبانية تجاه المغرب، فقد كان الاسبان يترقبون التعاون التام بين محمد الشيخ السعدي والاتراك[1] ويهيئون انفسهم لهذا الظرف الجديد، خاصة انهم يعلمون ان هذا التقارب سيكون له تأثير كبير على القضيتين الاساسيتين : الثغور المغربية المحتلة والقضية المورسيكية.

---

1 — تكشف التقارير والرسائل التي بعثها حاكم وهران الاسباني الكونت الكوديت الى حكومته عن أن محمد الشيخ كتب الى باشا الجزائر واقترح عليه القيام بعمليات مشتركة لفتح وهران والمرسى الكبير، وأنه بعث بهدايا إلى درغوت باشا يقترح عليه كذلك الدخول في حرب ضد إسبانيا.

انظر : المصادر غير المنشورة لتاريخ المغرب، اسبانيا السلسلة الاولى، 246 :1

ففيما يتعلق بالثغور المحتلة تشير الوثائق الاسبانية إلى ان السلطان السعدي ساع في بناء اسطول بحري لتحرير جميع السواحل المغربية، خاصة أنه يملك موانيء مهمة على المحيط مثل العرائش والمعمورة وسلا وآسفي، وبإمكانه بناء السفن في مدينة فاس وحملها الى المعمورة عن طريق وادي سبو، ولن يجد صعوبة في ذلك لان التجار الاجانب والفرنسيين خاصة يمكنهم ان يزودوه بمختلف المواد اللازمة لذلك[2].

القضية المورسكية : كان مورسكيو غرناطة يتقاطرون باستمرار على فاس للانضمام الى محمد الشيخ، وكانوا يحثونه على توجيه ضربة للاسبان في الصميم، وذلك بالهجوم عليهم في معاقلهم الرئيسية بالمغرب[3] خاصة ان صدى انتصارات محمد الشيخ قد تعدى الحدود ليصل إلى مورسكيي اسبانيا نفسها، إذ كان لهم أمل قوي في أن يأتي الشريف السعدي لخلاصهم على أساس أن يقوموا بثورة في الداخل متى شعروا باقترابه من اسبانيا[4].

وقد كان رد فعل الاسبان على مستويين :

ـ مستوى تدعيم الثغور سواء منها الاسبانية أو البرتغالية، وذلك نتيجة تخوف الاسبان من الخطر المغربي، واعتبار الثغور البرتغالية حزام أمن متقدم للدفاع عن شبه الجزيرة الايبرية، وتمكن من مراقبة الملاحة في المضيق، وعرقلة الاتصال بين المغاربة ومورسكيي غرناطة، والحد من نشاط مجاهدي تطوان وسلا والعرائش[5].

---

2 ــ **المصادر غير المنشورة لتاريخ المغرب**، اسبانيا، السلسلة الاولى، 242 : 1

3 ــ انظر : محمد رزوق، **الاندلسيون وهجراتهم إلى المغرب**، 242 : 1

4 ــ نفس المصدر والصفحة

5 ــ R. Ricard, les places portugaises du Maroc et le commerce d'Andalousie in **Annales de l'institut d'Etudes Orientales**, 1938, Alger, T : VI page 131.

ــ على المستوى التجاري : صدر في 29 مارس 1549 امر ملكي من شارل الخامس يمنع كل العلاقات التجارية بين موانيء الاندلس وموانيء سلا والعرائش وغيرها من الموانىء الخاضعة للحكم السعدي[6]. وقد برر هذا القرار بعدة اسباب، منها :

1 ــ الاتجار في القمح يؤدي إلى نقصه بإسبانيا وغلائه.

2 ــ تصدير الاثواب والاغطية الى المغرب يؤدي الى وفرتها بكثرة وانخفاض ثمنها، مما يؤدي الى صعوبة افتكاك اسرى، لانه يتم على أساس هذه السلع، وقد سبق في الماضي ان اغرقت اسواق بادس بالاثواب الاسبانية فرخص ثمنها وتأثرت عملية الافتكاك بذلك، بحيث وصل ثمن الاسير الذي كان يفتك سابقا بعشر دوكات الى مائة وخمسين دوكان.

3 ــ ستمنح التجارة مع المغرب بتهريب الاسلحة

4 ــ حرية التجارة تمكن المغاربة من الاطلاع على تحركات الاسطول الاسباني وعلى الاوضاع داخل اسبانيا.

5 ــ المورسكيون الذين يتعاطون التجارة مع المغرب ''يعودون'' إلى ديانتهم الاولى بمجرد التحاقهم بالمغرب[7].

لكن الطموحات التركية في المغرب افشلت جميع الجهود، واضطرت محمد الشيخ الى التقرب من الاسبان، بل وطلب المساعدة منهم لمواجهة الاتراك[8].

وقد ارسل حاكم وهران فعلا الى فاس وفدا يتكون من ثلاثة اشخاص جاؤوا

---

6 ــ **المصادر غير المنشورة لتاريخ المغرب**، اسبانيا، السلسلة الاولى، 214 / 1

7 ــ المصدر السابق 57 : 1

8 ــ المصدر السابق 270 : 2

للاتفاق مع محمد الشيخ حول تهيء حملة مشتركة اسبانية مغربية لمواجهة الاتراك[9].

وقام العثمانيون بأول رد فعل على التقارب السعدي الاسباني، إذ شددوا الحصار على وهران باعتبار ان حاكمها الاسباني كان اداة الاتصال بين فاس ومدريد، الا أن جميع الجهود فشلت نتيجة للنجدات المتواصلة التي كانت تبعثها اسبانيا للمدينة المحاصرة.

وقد ارسل الاتراك اثر هذا سفيرا الى محمد الشيخ يعدونه بالمساعدة لمحاربة المسيحيين شريطة ان يعترف بالسيادة العثمانية[10] وهذا ما يوضحه المؤرخ المجهول قائلا :''... وفد عليه رسول السلطان سليم صاحب اصطنبول وهو لسعده بملكه ويهنيه به ويعلمه بما كان عليه بنو مرين من الهدايا والوداد والخدمة والميل اليه والرغبة فيه وانه في نصرتهم. وقد كان ظهر ذلك مع آخر ملوك دولتهم أبي حسون الذي اعطاه اربعة آلاف من جيش الجزائر ودخل بها فاس فسكت عنه ولم يجبه بشيء وبقي عنده الى أن طال جلوس الرسول فطلب منه ان يسرحه فقال له مولاي محمد الشيخ : سلم على امير القوارب سلطانك وقل له ان سلطان الغرب لابد ان ينازعك على محمل مصر ويكون قتاله معك عليه : إن شاء الله ویاتيك الى مصر...''[11]. وإثر هذا الرد ارسل السلطان التركي قوات الى الجزائر ليستعين بها في مد نفوذهم على المغرب، لكنهم عدلوا عن ذلك نتيجة التقارب السعدي الاسباني[12].

ونتيجة لهذه الظروف : ظروف التقارب المغربي الاسباني، وتحت ضغط

---

9 — المصدر السابق، 181 : 2

10 — **المصادر غير المنشورة لتاريخ المغرب**، البرتغال، السلسلة الاولى، 55 : 5

11 — **تاريخ الدولة السعدية**، ص 26 — 27

12 — **المصادر غير المنشورة لتاريخ المغرب**، اسبانيا، السلسلة الاولى، 42 : 2

التجار الاسبان، وخاصة تجار المدن التي تعتمد اعتمادا اكبر على التجارة مع المغرب مثل : قادس، ومالقة، واشبيلية، فقد صدر مرسوم يسمح بالتجارة مع المغرب لكن في حدود معينة(13).

1 ــ ألا يسمح بالتجارة مع بادس أو الجزائر إلا بواسطة تصريح خاص.

2 ــ يجب ان يتم التبادل بالنسبة لاسبانيا انطلاقاً من موانيء الاندلس وممالك غرناطة ومرسية.

3 ــ لا يسمح بتصدير أو استيراد إلا البضائع المرخص بها.

4 ــ يمنع إدخال البضائع التالية الى افريقيا : الذهب والفضة والاسلحة أو أية بضائع اخرى ممنوعة حسب القانون.

5 ــ يشترط على من يذهب الى المغرب أو الاتجار به ما يلي :

ــ أن يكون مسيحيا قديما

ــ الا يكون من اصل مغربي أو يهودي

ــ أن يكون غير مشكوك في تعامله مع المغاربة

ــ ألا يكون من الفئات التالية : الضباط، الصناع في مجال الخشب والحديد، والسفن، والبارود...

6 ــ لا يمكث التجار في المغرب اكثر من سنة، ولابد أن يقضوا بعدها شهرين على الاقل بإسبانيا.

7 ــ تسجل البضائع في الموانيء عند التصدير والاستيراد، وتؤخذ حقوق الجمارك مسبقا قبل الذهاب، كما تؤخذ اجرة المراقبين

8 ــ عند اتمام المراقبة والتفتيش يركب المعنيون بالامر في السفن ولا يغادروها ابدا قبل الاقلاع.

---

13 ــ لان تخوف الاسبان ظل قائما رغم الظروف المستحدثة.

والواقع أن تعدد هذه الشروط تدل على تخوف الاسبان من أن يكون لهذه العلاقات التجارية مع المغرب نتائج في المجال السياسي غير النتائج التي كانوا يهدفون إليها، لانهم دائما كانوا يفرقون بين مصلحة التجار ومصلحة الدولة، لان مصلحة التجار الاسبان كانت لا تسير دائما مع مصالح الدولة.

وفعلا إذا حاولنا أن نقوم هذه العلاقة فإننا سوف نلاحظ أن هناك جوانب ايجابية وسلبية بالنسبة للاسبان :

— فيما يتعلق بالجوانب الايجابية نذكر ما يلي :

— اسدى التجار الاسبان خدمات عديدة لدولتهم، فبواسطة هؤلاء كانت تحصل على ما تريده من معلومات عن احوال المغرب، كما أن التجارة اتخذت كغطاء لتحركات الجواسيس والمبعوثين السريين الاسبان[14].

— كما كان بعض التجار يعملون على افتكاك الاسرى[15].

أما الجوانب السلبية بالنسبة للاسبان فهي متعددة، نذكر من بينها :

— استغلال عدد من التجار الاسبان لهذا القرار لبيع الأسلحة، والمواد الممنوعة للمغرب[16].

— استغل عدد من المورسكيين هذا القرار للفرار إلى المغرب، بل ومحاربة الاسبان انفسهم في عقر دارهم[17].

— 2 —

ازداد تقارب المغرب من الاسبان، بل من دل أوربية أخرى[18] إثر التجاء

14 — **المصادر غير المستوردة لتاريخ المغرب**، اسبانيا، السلسلة الاولى، 307 : 1

15 — المصدر السابق، 46 : 4

16 — المصدر السابق 86 : 5

17 — محمد رزوق، المصدر السابق، 1 : 113 — 119.

18 — تراجع عن تحرير البريجة (الجديدة) بعد أن اقترب المجاهدون من تخليصها من ايدي البرتغال، كما تنازل للفرنسيين عن القصر الصغير.

الاتراك الى اغتيال محمد الشيخ[19] فقد انتهج ابنه عبد الله الغالب نفس سياسة والده، ويتجلى هذا بالخصوص في نقطتين :

ــ احتلال بادس : إذ اطلق يد الاسبان في احتلالها خاصة انها كانت بيد العثمانيين منذ أن تنازل لهم عنها ابو حسون الوطاسي مقابل مساعدته له ضد محمد الشيخ، ولانها كانت مثار رعب وخوف بالنسبة له، يقول المؤرخ المجهول في هذا الصدد ''... وكانت عمارة اهل الجزائر وسفنهم لا تخلو من مرسى بادس ولا تنقطع منها عمارة الترك في كل أوان فاهتم مولاي عبد الله منذ ذلك وقنط منه وخاف أن تخرج عمارة الترك من تلك البلاد إلى المغرب فكتب الى سلطان النصارى واتفق معه أن يخلي له الادالة من حجرة بادس ويبيع له البلاد ويخليها من المسلمين وتنقطع مادة الترك من تلك الناحية...''[20]. بالاضافة الى هذا فإن الاسبان كانوا يدركون فعلا الاهمية الاستراتيجية لهذه الجزيرة، فهي اقرب نقطة مغربية الى جبل طارق ومالقة، وكانت مصدر قلق بالنسبة لهم إذ كانت مقر المجاهدين البحريين الذين كانوا يلحقون خسائر فادحة حتى بالسفن التجارية الاسبانية[21].

ــ موقف عبد الله الغالب من ثورة المورسكيين بغرناطة (1568)[22] :
يقول المؤرخ المجهول وهو بصدد الحديث عن ثورة المورسكيين بغرناطة : ''... فصاروا يكتبون الى ملوك المسلمين شرقا وغربا وهم يناشدونهم الله في الاغاثة واكثر كتبهم الى مولاي عبد الله لانه هو القريب الى ارضهم... فأمرهم غشا

19 ــ ابو القاسم الزياني، **الترجمان المعرب**، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 658 د، ص347.
20 ــ **تاريخ الدولة السعدية**، ص 36
21 ــ انظر الحسن الوزان، **وصف افريقيا**، 1 : 253 ــ 254 مارمول كاربخال، **افريقيا**، 2 : 230 ــ 243.
22 ــ عن تفاصيل هذه الثورة، انظر : محمد رزوق، المصدر السابق 1 : 126 ــ 139.

منه بأن يقوموا مع النصارى ليثق بهم في قولهم بظهور فعلهم، فلما قاموا على النصارى تراخى عما وعدهم به من الاغاثة وكذب عليهم غشا منه لهم ولدين الله عز وجل ومصلحة لملكه الزائل...''[23].

وعن السبب الذي جعل عبد الله الغالب لا يقدم المساعدة للمورسكيين في ثورتهم يذكر نفس المصدر : ''... وكانت بينه وبين النصارى مكاتبات في ذلك ومراسلات...''[24].

وهكذا فقد التجأ السلطان السعدي الى التقارب في سياسته مع الاسبان تحت ضغط التهديد العثماني للمغرب، اذ كانت علاقته مع الاسبان تشكل عامل توازن بالمنطقة يستخدمه في مواجهة الاطماع التركية أي أنه كان يريد الحفاظ على كيان مستقل للمغرب بأقل قدر ممكن من الخسارة : اما التنازل عن نقط معينة للاسبان وغيرهم أو احتواء المغرب بأكمله من طرف الاتراك.

— 3 —

سوف تتكرر الاحداث بنفس النسق تقريبا في عمل احمد المنصور الذهبي فقد واجه الاتراك بعنف وهو في أوائل حكمه[25]. بل واعطيت الاوامر الى عاوج علي قائد الاسطول العثماني لغزو المغرب، وقد وصل القائد بالفعل الى الجزائر في يونيو **1581** بينما كان المنصور يرابط بقوات جرارة عند نهر تانسيفت[26]،

23 — **تاريخ الدولة السعدية**، ص 37 — 38
24 — المصدر السابق، 38
25 — انظر محمد رزوق، المصدر السابق، 1 : 267
26 — عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا، ص 61.

وهذا ما جعله يتقرب اكثر من الاسبان، بل ويعدهم بالتنازل عن العرائش[27].

وسيكون لهذا التقارب ايضا تأثير على القضيتين الاساسيتين :

الثغور المحتلة : الح العلماء على ضرورة استغلال نصر معركة وادي المخازن في سبيل تحرير الثغور المحتلة، فهذا الشيخ، رضوان الجنوي — مثلا — يذكر في رسالة موجهة للمنصور : ''... وإلى هذا فالله، الله في الحزم وامضاء العزم وهو ما ظهر لرعيتكم من انتهاز الفرصة الممكنة في هذا الوقت من الحركة لمدائن الكفار التي هي طنجة واصيلا وسبتة فإنهم في هذه الساعة في دهش وخزي وخذلان بما امكن الله منهم، ولا أظن — نصركم الله — مثل هذا يخفى عليكم حتى تحتاج أن نذكركم به....''[28].

لكن المنصور لم يستطع أن يفعل اي شيء يؤدي به الى الارتماء بين احضان الاتراك، لهذا فضل التريث والمناورة.

اما فيما يتعلق بالقضية المورسكية فمن الطبيعي أن يكون ايضا تأثير لهذا التقارب على المورسكيين بإسبانيا، ففي صيف عام 1580 اكتشفت مؤامرة مورسكية واسعة النطاق، وقد يكون سفراء المنصور انفسهم هم الذين افشوا سرها للاسبان[29] فتحالف المورسكيين مع الاتراك، كان يجعله دائما حذرا منهم.

وخلاصة القول : لا يمكن فهم العلاقات المغربية الاسبانية خلال هذه الفترة إلا من خلال العلاقات المغربية التركية كعنصر مؤثر فيها بدليل أن هذه العلاقات

27 — كان الاسبان يدركون جيدا الاهمية الاستراتيجية لهذا المرفأ الهام بالاضافة الى انها كانت منطلقا للعمليات الجهادية التي كان يقوم بها المجاهدون البحريون ضد السفن التجارية الاسبانية. انظر **المصادر غير المنشورة لتاريخ المغرب**، الاراضي المنخفضة، السلسلة الاولى، 194 — 191 :1

28 — احمد المرابي، **تحفة الاخوان**، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 5154، ص 423 — 424.

29 — محمد رزوق، المصدر السابق، 1 : 272

ستعرف وجهة اخرى حين اختفاء التهديد التركي للمغرب، وحين هزيمة الاسبان في معركة الأرمدا ضد الانجليز في 10 غشت 1588

إذ سيلتجيء المنصور الى التحالف مع هؤلاء ضد الاسبان، وسوف يسعى جادا لتحرير الثغور المغربية، وتقديم المساعدة للموركسيين داخل المغرب وخارجه[30].

الدار البيضاء　　　　　　　　　　　　محمد رزوق

30 ــ المصدر السابق، 1 : 273.

نظرة في شعر ابن دراج القسطلي

بعد طبع ديوانه
وبعد العثور على شذرات منه بخزانة القرويين

محمد بن عبد العزيز الدباغ

كثر الحديث عن ابي عمر احمد بن محمد بن العاصي... بن دراج القسطلي المتوفى سنة 421 هجرية في كتب الادب، وتناول المدونون جزءا من شعره يحللونه ويربطونه باحداث تاريخية، أو يوازنون بينه وبين شعر المشارقة، أو يركزون حول معنى من معانيه، أو حول اقتباس من اقتباساته، أو يبدون ما فيه من جمال الموازنة وبديع البيان.

ولقد بلغ الاعجاب بمن ذكروه ان جعلوه في درجة المتنبي خصوصا في وصف المعارك، وفي تضخيم المواقع، وسجلوا قصائد كاملة من شعره، سواء في الكتب الاندلسية أو في كتب الشرقيين. فابن حزم الاندلسي يعتز به ويجعله في درجة المتنبي وأبي تمام، والثعالبي صاحب اليتيمة يقول : «بلغني أن ابا عمر القسطلي كان عندهم بصقع الاندلس كالمتنبي بصقع الشام».

وارتبطت اشعاره بظروف سياسية اتصلت بالاندلس في أواخر القرن

الرابع الهجري وبداية القرن الخامس حيث انتقل الحكم من الأمويين إلى ملوك الطوائف بعد اضطرابات وفتن ومنافسات أودت بحياة الكثير، وأفسدت الاستقرار، ونشرت الذعر والخوف، وأصبح كثير من الشعراء مترددين بين المدح والهجاء، لاتستقر أوضاعهم، ولايبدو صدقهم، خصوصا إذا لم تكن شخصيتهم مكتملة النضج، واضحة الاهداف، ولعل ابن دراج كان من بين هؤلاء المترددين المضطربين، فهو بمجرد موت المنصور بن أبي عامر، وموت ولديه عبد الملك المظفر وعبد الرحمن، لم تستقر أحواله، ولم تتبلور الصور الثابتة في نفسه. وربما كان السبب في ذلك، راجعا إلى أن القوة التي كان يمثلها المنصور العامري وابنه المظفر قد تلاشت بعد موتهما فلم تعد الغزوات تبلغ مبلغا يدعو إلى تصوير ملاحمها وتسجيل آثارها، فضعف بسبب ذلك الشعر ذاته، لأنه لم يبق تعبيرا تلقائيا يصور البطولات وانما اصبح شعر ارتزاق يتودد به الشاعر إلى من اقبلت عليه الايام، فإذا ادبرت كان الشاعر نفسه من المنحرفين.

وان نظرة في شعر ابن دراج لتجول بنا جولة دقيقة في تصوير ملامح هذه الحقبة، سواء في عهد استقرارها أو في عهد اضطرابها، وتمدنا بعناصر صالحة لتدوين تاريخ الاندلس، وتمكننا من حلقة شبه متكاملة عن حياتها، وعن علاقاتها الداخلية سواء بين حكامها بعضهم مع البعض الآخر، أو بينهم وبين دويلات النصارى المجاورة لهم.

ولم يكن شعر ابن دراج قبل طبع الديوان كافيا في الحكم عليه، لأنه لم يكن إلا مقتطفات متناثرة في مختلف الكتب الادبية وكتب الطبقات، أما بعد ظهور الديوان فإن المعايير النقدية أخذت مسارا آخر، وأصبحت المادة الخام متوفرة أكثر، وصار الاطلاع على محتواه ميسرا للحكم عليه وممكنا للقارىء من تقويمه ومن ابراز مميزاته.

ومن المعلوم أن الجانب الفني الداخلي كان من اسباب انتشار شعر ابن دراج، بحيث كان هذا الجانب اقوى تأثيرا على القراء من أغراضه وبواعثه. فهو شعر يمثل الثقافة العربية تمثيلا يتجلى في الاستدلالات والاقتباسات من أصول اللغة وقواعد البيان، كما يتجلى في الوقت ذاته في تسجيل بعض الاحداث التاريخية ورسم صور من حيوات ممدوحية.

ورغم ما في هذا الشعر من تضخيم لبعض الاحداث البطولية، وتشبه بالمتنبي في ذلك، فهو لم يكتسب تلك القوة التي تظهر في قصائد الشاعر الطموح، ولعل السبب في ذلك راجع إلى اختلاف الشخصية المتنبية عن الشخصية الدراجية. ذلك أن الأولى قوية بطبعها، مندفعة لا حدود لاندفاعها، والثانية مرتبكة خائفة، تتودد الحياة من أجل المحافظة على الاهل والأولاد.

فالمتنبي كان طموحا لايبالي بالمصير، لأنه لاتربطه بالحياة إلا آماله في أن يصبح سيدا في قومه، يحكم مثل الحاكمين ويتصرف في شؤون السياسة تصرفا يرفع من شأن العرب ويحقق ماكان يصبو إليه. اما ابن دراج فكان رجلا مربوطا إلى ابنائه، يبكي لبكائهم، يتعب من أجل تمهيد السعادة لهم فيواجه مشاق الحياة لهذا الغرض، لامجد يبنيه، ولا لهدف آخر واضح يستبد به.

ولا ريب أن الخوف على مصير ابنائه قد حبب إليه الحياة، وجعل لمغامراته حدودا لاتصل إلى المجازفة والاستشهاد. وهذا هو السر الذي جعل اندفاعات المتنبي في الوصف الملحمي، أقوى من اندفاعات ابن دراج. فهما يشتركان في الوصف. لكن القوة العميقة المتفجرة من نفس المتنبي إذا دوت صكت الاسماع وإذا انفجرت ظل رنينها في الآذان متصلا ولن ينقطع امتداده إلى ابد الآبدين، فشتان بين الشاعرين في هذا الباب.

إن الشعر لاينفصل مطلقا عن المعاناة، فهو صدى للنفس وانعكاس للاحساسات، وليس في حياة ابن دراج ما يجعل هذا الشعر قويا إلا إذا كانت تلك القوة متصلة بالاحساس الاناني المتعلق بالضعف ازاء عاطفة الأبوة. وربما كانت هذه العاطفة الأبوية هي الرابطة التي ربطت الشاعر بالمعجبين به رغم ما فيها من تخدير للنفس، واستبداد بالروح، واخضاع للكرامة في بعض الأحيان. فلو كان ابن دراج متحررا من هاته العاطفة أو معتدلا فيها، لكان لنفسه البطولي شاؤ قد يضاهي به المتنبي أو يقاربه.

ان الانسان الضعيف حينما تملكه بعض العوارض الانسانية قد يجعلها مبررا لتكوين آرائه وتلوين اتجاهاته فلا يستقر على حال، ولا يدوم على مبدأ، خصوصا اذا اضطربت الاحوال السياسية أمامه، واصبح لايشعر بالهيبة التي كانت متجلية في الابطال العظام فهذا ابن دراج رغم ما تعتريه من اضطرابات نفسية كان يجد في المنصور بن أبي عامر ملجأ يحميه من المنافسين والحاسدين، ويقيه شر الفقر وعذاب الحرمان، أما بعد موته وموت ولده المظفر وتهافت الموالي وغيرهم على حكم الاندلس فإنه قد فقد التوازن الداخلي وصار يمدح كل قائم ما دامت الدنيا مقبلة عليه، فإذا ادبرت كان هو ايضا من الذين ادبروا وتنكروا، لأنه لم تبق للقيم في نفسه سلطتها، وصار يرى هو وبعض الشعراء انهم ليسوا بأرحم من الزمان على من داسه الزمان.

ولهذا كانت الفتنة التي أودت باستقرار حكم الأمويين وحكم العامريين سببا من اسباب استدرار الشعراء للحاكمين الجدد وصارت العلاقة بين الملوك المستبدين وبين هؤلاء الشعراء علاقة زيف ونفاق واصبح الشعراء مرتزقة يبحثون عن وسائل العيش بطرق لاتتناسب مع الكرامة البشرية، ولا تنسجم مع عزة النفس، ولم يشذ ابن دراج عنهم، فهو ايشا قد اصبح يتقلب مع الاحداث، فيمدح ثم يهجو. ويناصر الظافر ما دام منتصرا فإذا ولت الايام عنه توجه إلى

مدح المنتصر الجديد، ففقد الشعر بسبب هذه التقلبات تلك الصورة المثالية التي كانت له في بعض الفترات من تاريخ العرب، حينما كان الشاعر لسان صدق يحمي الذمار، ويدافع عن المبادىء، دون أن يبالي بما سيلحقه من أذى بسبب صدقه والتزامه.

وإن نظرة في ديوان ابن دراج لتجعلنا منبهرين امام الاحداث التي وقعت في أوائل القرن الخامس بالاندلس، وتربطنا بالشعور الذي كان يشعر به هذا الشاعر أيام الاستقرار العامري فهو قد عاش حياته الاولى في أيام عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم واستمد ثقافته في عهدهما الزاهر واستفاد من ذلك العصر ثقافة ادبية واضحة الملامح واستغلها الاستغلال الكافي في عهد المنصور بن أبي عامر حينما كان أحد شعرائه المسجلين في ديوان العطاء وهو ديوان كان لايسجل فيه إلا من كان قادرا على نظم الشعر بديهة وارتجالا أو من كان يقدر على معارضة أكبر الشعراء دون أن يظهر عجزه أو قصوره. ولحد الآن مازالت القصيدة الرائية التي عارض بها أبا نواس من القصائد التي احتفظت بالكيان الشعرى عنده وسيتضح ذلك فيما سنقتبسه منها ففيها يقول : (الديوان صفحة 297)

دعي عزمات المستضام تسير فتنجد في عرض الفلا وتغور
لعل بما اشجاك من لوعة النوى يعز ذليل أو يفك اسير
ألم تعلمي أن الثواء هو التوى وان بيوت العاجزين قبور
ولم تزجرى طير السرى بحروفها فتنبئك ان يمن فهي سرور
تخوفني طول السفار وانه لتقبيل كف العامري سفير
دعيني أرد ماء المفاوز آجنا إلى حيث لي ماء المكرمات نمير
واختلس الايام خلسة فاتك إلى حيث لي من عذرهن خفير
فان خطيرات المهالك ضمن لراكبها ان الجزاء خطير
ولما تدانت للوداع وقد هفا بصبري منها انة وزفير

تناشدني عهد المودة والهوى وفي المهد مبغوم النداء صغير
عيي بمرجوع الخطاب ولفظه بموقع أهواء النفوس خبير
تبوأ ممنوع القلوب ومهدت لـه اذرع محفوفة ونحور
فكل مفداة الترائب مرضع وكل محياة المحاسن ظير
عصيت شفيع النفس فيه وقادني رواح لتدآب السرى وبكور
وطار جناح الشوق بي وهفت بها جوانح من ذعر الفراق تطير
لئن ودعت مني غيورا فانني على عزمتي من شجوها لغيور
ولو شاهدتني والصواخد تلتظي علي ورقراق السراب يمور
أسلط حر الهاجرات إذا سطا على حر وجهي والاصيل هجير
واستنشق النكباء وهي بوارح واستوطيء الرمضاء وهي تفور
لبان لها اني من الضيم جازع واني على مض الخطوب صبور

وهي قصيدة اتقن وضعها وجرى فيها على هذا النسق إلى أن بلغ المقصود فوجد عند العامري من الاطمئنان والاستقرار ما ينسى به هذه المغامرة الطويلة وهذه التحملات المهولة.

وليست هذه القصيدة إلا مثالا من أمثلة الصدق العاطفي فيما يتعلق بالجانب الابوى عند ابن دراج فهو في كثير من قصائده يتحدث عن هول فراق ابنائه من أجل الرحلة إلى الممدوح بحيث لايجد شيئا يضخم به أهوال الرحلة ويصور به مشاق المغامرة إلا فراق ابنائه الصغار المحتاجين إلى عطفه ورعايته ويتجلى ذلك واضحا عند قراءة ديوانه الذي حققه الدكتور محمود علي مكي واخرجه معتمدا على النسخة الوحيدة التي وجدها بمدينة مكناس وهي النسخة الزيدانية ومستعينا بعد ذلك بشذرات وجدها بخزانة القرويين.

ان هاته الشذرات دفعته إلى استدراك ما أمكن استدراكه والى تصحيح ما أمكن تصحيحه وقد ساعدته على اعادة طبع قصيدتين لم تكونا كاملتين في النسخة الاصلية.

والظاهر أن الدكتور محمود علي مكي لم يطلع على جميع هذه الشذرات ولهذا بقيت بعض التعليقات والهوامش محتاجة إلى التغيير والتصحيح ومن ذلك على وجه المثال تعليقه على قصيدة قيلت في مدح يحيى بن منذر التجيبي يقول في بعض ابياتها (ص 264) :

ورقة من الشذرات الموجودة بخزانة القرويين وفيها ذكر صريح للمناسبة التي دفعت الشاعر إلى نظم قصيدته الرائية في مدح يحيى بن منذر

كسيت بدولتك الليالي نورا واهتزت الدنيا إليك سرورا
واذا تأملت المنى القيتها قدرا لكم ولنا بكم مقدورا
واذا تفاخرت الملوك وجدتم من كل ملك اوجها وصدورا
وخلعتم في العالمين مساعيا حليتهن مفارقا ونحورا
واذا الدهور تساجلت الفيتم يا آل تبع للدهور دهورا
من كل دهر لايزال كأنه لوح يلوح بفخركم مسطورا

ان هذه القصيدة وجدت في النسخة الاصلية. وتقديمها ممحو لتلف أو بلل فذكر المحقق انها قيلت في مدح يحيى بن منذر بمناسبة عرس قريب من أقاربه اسمه حكم ثم حاول أن يحدد نوع القرابة الممكنة بين الممدوح وبين حكم هذا فقال انه حكم بن عبد الرحمن بن محمد بن هاشم التجيبي لكننا بعد الاطلاع على شذرات القرويين تبين لنا انها قيلت فعلا في مدح يحيى بن منذر وان الشاعر تعرض فيها لعرس حكم اخي يحيى الممدوح فلم يبق هناك مبرر للاجتهاد أو التأويل ولا دافع لاحتمال ذكر حكم آخر.

ويحيى الممدوح هو يحيى بن منذر تولى الحكم عام 412 هجرية بعد وفاة والده وظل في الحكم إلى سنة 427 هجرية فتولى من بعده ابنه منذر الثاني الذي طل في الحكم إلى غاية 430 ثم اغتيل على يد احد اقاربه المسمى عبد الله بن حكم لكن القدر لم يمتعه بما فعل فنحي هو بدوره عن الحكم على يد سليمان بن هود وكانت تنحيته نهاية لحكم التجيبيين.

وقد ذكر صاحب الذخيرة عن ابن حيان ان ابن دراج وجد ترحيبا عند منذر وانه لم يزل عنده وعند ابنه من بعده مادحا لهما مثنيا عليهما رافعا من ذكرهما غير باغ بدلا من جوارهما.

وهذا القول لايعارض ما ذكرناه من تقلبات ابن دراج ولكنه يمثل فترة من الفترات التي اطمأن فيها إلى هذين الملكين في حياته وقد استبعد الدكتور احسان عباس في كتابه تاريخ الاندلس عصر سيادة قرطبة بعد ذكر هذا النص ان يكون ابن دراج قد ادرك زمان ابن منذر هذا والسبب في استبعاده ذلك هو اضطرابه في المقابلة بين خبرين وجدهما عند الحميدي يتعلق الاول بموت ابن دراج قريبا من السنة العشرين بعد الاربعمائة ويتعلق الثاني بقتل المنذر عام 430 هجرية فظن ان يحيا الممدوح ابن للمنذر الثاني لا للمنذر الأول مع أن العكس هو المنسجم مع سياق التاريخ وقد تدخل محقق الدوان في تصحيح هذا الاشكال كما تدخل في تحديد مكان وفاة ابن دراج حيث ذكر ان ذلك وقع في دانيه لا في سرقسطة فقد وافته منيته في ليلة الاحد لاربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الثانية عام 421 هجرية.

وبموت هذا الشاعر انقضت صفحة من صفحات الأدب سجلت احداثا مختلفة وعايشت تقلبات خطيرة أودت بحياة كثير من المغامرين الذين اشعلوا نار الفتنة بالاندلس فظلت بسببهم في تدهور سياسي لم ينجها منه آنذاك إلا المرابطون الذين جاءوا من بعد ذلك فوحدوا البلاد وأرهقوا الاعداء وأعلوا كلمة الحق التي كانت في حاجة إلى سلطة تحمي الديار من الضياع ومن الفوضى ومن الانهيار.

ان ابن دراج شاعر يمثل حقبة من التاريخ الاندلسي تمنحنا العبرة وتطلعنا على ما للتفرقة من اضرار وما للتنازع من مفاسد وإن نشر ديوانه لعمل ادبي طالما تشوق إليه المهتمون بالأدي الاندلسي وان احتفاظ المغرب بهذا الديوان لدليل على أن المكتبة المغربية تحتوي على مصادر المعرفة وعلى مؤلفات اجدادنا سواء في الاندلس أو في غيرها ولعلنا مع الزمن سنجد تكملة لديوان ابن دراج

أو سنجد نسخة أخرى كاملة تعوض لنا ما هو مفقود في النسخة الزيدانية أو في شذرات القرويين وما ذلك ببعيد.

وربما اذا اطلعنا على ماهو مفقود من شعره فسنغير بعض الاحكام التي ذكرناها من قبل، فابن دراج على ما يبدو كان حريصا على الافادة والاجادة ولله دره فهو القائل :

اجد الكلام اذا نطقت فـإنما عقل الفتى من لفظه المسموع
كالمرء يختبر الانـــاء بصوتـــه ليرى الصحيح به من المصدوع

فما أعذب هذا القول وما اصدقه انه توجيه رائع لايلتذ به إلا من كان يعرف قيمة الكلام الجيد ومن يحسن اسباب البيان.

وتتميما للفائدة نشعر المهتمين بهذا الموضوع ان الشذرات الموجودة من هذا الديوان بخزانة القرويين مسجلة حاليا ضمن الخروم الجديدة بالصندوق الأول تحت العدد الرابع وإنا لنامل أن نضيف إليها ما نتوصل إليه من خلال البحث المتواصل المنصب على كثير من الاوراق التي تنتظر من ينقذها ومن يخرجها إلى الوجود من جديد.

فاس محمد بن عبد العزيز الدباغ

تطور الفلاحة في مكناس

من عصر المرابطين إلى أواخر العصر المريني

ابراهيم القادري بوتشيش

ظل موضوع الفلاحة والفلاح من جملة المواضيع المسكوت عنها في تاريخ المغرب الوسيط. وحسبنا أن معظم الكتابات الأجنبية انصبت بشكل أساسي على التاريخ السياسي[1]، أو التاريخ الديني والتطور المذهبي أحيانا[2]، وتاريخ الفن المغربي أحيانا أخرى[3]. أما الدراسات الاقتصادية، فلم

(1) : ركزت الكتابات الأجنبية التقليدية على الجوانب السياسية. ويذكر هذا الصدد كتاب جوتييه
Le passé de l'Afrique du Nord, les siecles obscurs. Paris 1952:
وكذلك هـ. تيراس: Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat:
Tom I- Casa 1946.
ثم كتاب شارل أندري جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية ج 2 (الترجمة العربية). طبعة تونس 1978 وقد بدأت الكتابات الأجنبية الحديثة تطرق بعض المواضيع الاقتصادية والادارية. انظر على سبيل المثال : هو بكنز : النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى (الترجمة العربية) طبعة ليبيا ــ تونس 1980

(2) : انظر : ألفرد بل : الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم. بيروت 1981

(3) : غالبا ما يعالج هذا الموضوع ضمن التاريخ الحضاري الذي عادة ما يعقب التاريخ السياسي.

تبرز فيها إلا بكيفية شاحبة وبإشارات خجولة، بينما اكتفت الكتابات المغربية بالتلميح لموضوع الفلاحة في ثنايا التاريخ المغربي العام، في حين أحجمت بعضها كلياً عن الخوض فيه بسبب شحة المصادر(4).

وتزداد هذه الثغرة اتساعاً وعمقاً كلما رام الباحث دراسة الفلاحة في المدن المغربية إبان العصر الوسيط؛ فالنصوص التاريخية تندر، والمعلومات التي تمدنا بها المصادر تنضب، مما يجعل مهمة الدارس من الصعوبة بمكان. والسبب في ذلك كله يرد إلى قلة المصنفات المونوغرافية الخاصة بتاريخ المدن، إذ أن معظمها اندثر تحت وطأة الزمن. وحسبنا دليلاً على ذلك، ضياع ما أنتجه مؤرخ عرف بعلو كعبه، هو محمد بن يوسف الوراق عن مدن مغربية مثل البصرة ونكور وسجلماسة، وقائمة الأمثلة تطول لو عرضناها أولاً بأول(5).

ولا سبيل إلى الشك في أن كثرة التأليف حول هذه المدن، يعزى أساسا إلى كونها قد شكلت إحدى عواصم الدول التي تعاقبت على حكم المغرب، أو إحدى النقط الاستراتيجية في طريق تجارة العبور، وهي مميزات لم تكن من حظ مدينة مكناس، التي لم يبرز إشعاعها التاريخي الحقيقي سوى في العهد الاسماعيلي الذي غدت إبانه مركز صنع الوحدة السياسية، ومنار الإشعاع الفكري،

---

(4) : يستثنى من ذلك بعض الدراسات كدراسة الحبيب الجنحاني في كتابيه :''المغرب الاسلامي : الحياة الاقتصادية والاجتماعية'' (القرن 3 و4 الهجري) تونس 1978. ''ودراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي الاجتماعي للمغرب الاسلامي.'' طبعة بيروت 1980. أما الدراسات الأخرى فإنها إما عرضت للنواحي الاقتصادية في إطار تاريخ سياسي حضاري عام كما هو الحال عند الدكتور إبراهيم حركات في كتابه المغرب عبر التاريخ ج 1. طبعة البيضاء 1965، واستغلت في تفسير الأحداث السياسية كما هو شأن الدكتور عبد الله العروي في كتابه L'Histoire du Maghreb : un essai de synthese; Tom I. Paris 1975:

(5) : لمزيد من التفصيل حول الكتب الخاصة بتاريخ المدن المغربية المفقودة انظر : ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى ج 1 ص 27 وما بعدها. طبعة البيضاء 1960

والإشراق الحضاري، وهذا ما يفسر غيابها النسبي في الكتابات المونوغرافية السالفة على هذه الحقبة.

صحيح أن المدينة حظيت باهتمام ثلة من المؤرخين(6)، إلا أن معظم إنتاجهم يعد اليوم في حكم المفقود، وما بقي منه يظل ــ بالنسبة لموضوعنا ــ هزيلا لا يشفي الغليل.

وإذا كانت المصادر المونوغرافية تعوزنا في تتبع مسار التطور الفلاحي الذي عرفته مكناسة خلال العصر الوسيط، فبالامكان تجاوز هذه الاشكالية عن طريق لَمّ شتات الشذرات والنصوص المتناثرة في أمهات المصادر التاريخية، وتطعيمها بجملة من المصادر الدفينة، مع وضع هذا التطور ضمن تطور المغرب العام بغية رسم معالمه الجوهرية.

ولا يزعم الباحث لنفسه القدرة على الإلمام بكافة عناصر الموضوع، بقدر ما سيحاول ــ انطلاقا من النصوص المتاحة ــ القيام بمسح عام للتطور الفلاحي الذي عرفته المدينة في العصر الوسيط، مركزا على بعض الجوانب التي تفصح عنها المصادر.

---

(6) : من أشهر من ألفوا مصنفات تاريخية عن مدينة مكناس قبل العهد الاسماعيلي هناك ابن غازي صاحب ''الروض المتون''، وابن جابر محمد بن يحيى الغساني الذي كتب أرجوزة عن مكناسة أسماها ''نزهة الناظر'' وكانت من المصادر التي اعتمد عليها ابن غازي المذكور. كما ألف أبو بكر بن عبد المهيمن الحضرمي كتابا بعنوان ''السلسبيل العذب من المنهل الأحلى'' يشير صاحب دليل مؤرخ المغرب الأقصى إلى أنه موجود بخزانة القرويين في ثلاث كراريس. انظر ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى ج 1 ص 67. وقد نشره الاستاذ محمد الفاسي في مجلة معهد المخطوطات العربية كما أن ابن زغبوش قاضي طنجة سنة 616 هـ ألف كتابا عنوانه ''كتاب حول تاريخ مكناس'' انظر : عبد العزيز بنعبد الله : معلمة المدن والقبائل. طبعة فضالة ــ المحمدية 1977 ص 313. والراجح أن العنوان الصحيح للكتاب السالف الذكر هو تقييد في تاريخ مكناس'' حسب ما يظهر من مبيضة بحث الأستاذ محمد المنوني الذي شارك به في ندوة الحاضرة الاسماعيلية الكبرى وأهداني إياه مشكورا.

من الثابت أن مدينة مكناس اكتست أهمية فلاحية كبيرة على مرّ العصور بما في ذلك العصر الوسيط. وقد أهلتها الشروط المناخية لتكون ـــ بدون مدافع ـــ مدينة المغرب الفلاحية. ولعلّ أوصاف الرحالة والجغرافيين تؤكد ذلك. فصاحب كتاب الاستبصار[7]، يصف أرضها بأنها «كريمة طيبة المزارع كثيرة المياه»، وينعتها المراكشي[8] بأنها أخصب بقعة على الأرض «وأكثرها أنهارا مطردة وأشجاراً ملتفة وزروعاً وأعنابا». وإلى نفس الحكم ينحو ابن غازي[9]، والحميري[10] الذي وصفها بأنها «عز بلاد المغرب»، وأن «أرضها طيبة للزراعات ولها مكاسب وأحوال صالحة».

وإذا كانت الاشادة بمزارع ومسارح مكناسة نغمة تتردد في مختلف المصادر المذكورة، فإن هذه الأخيرة تجمع على أهمية الزراعات الشجرية، خاصة أشجار التفاح الذي اشتهر منه نوع يسمى الطرأبلسي، ثم الاجاص والسفرجل والجوز والخوخ والتين بكل أنواعه[11]. غير أن أهم زراعة شجرية تمثلت في زراعة الزيتون، حتى أن مكناسة نسبت إليه[12]. ونفس الشيء يقال عن الرمّان الذي

---

(7) : مجهول : كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار. طبعة البيضاء 1985. ص 188.

(8) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب. طبعة البيضاء 1978 (ط 7) ص 370

(9) : الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون. طبعة الرباط 1952 ص 2.

(10) : الروض المعطار. طبعة بيروت 1975 : ص 544. انظر كذلك : الادريسي : وصف افريقيا الشمالية والصحراوية مأخوذة من نزهة المشتاق. طبعة الجزائر 1957. ص 52.

(11) : يذكر ابن غازي هذه الأنواع ومنها الشعري والسبتي والأشكور والشبلي والحمراء، انظر ن. م. ص 3

(12) : الحميري : م. س. ص 544. انظر كذلك : ياقوت : معجم البلدان ج 5. طبعة بيروت (دون تاريخ) ص 181

أثار إعجاب ابن الخطيب[13]، والعنب الذي فاقت شهرته جل مدن المغرب[14].

وإذا كانت الشروط المناخية قد أثرت إيجابا في هذه الزراعات، فما هو نصيب الدولة المرابطية ومساهمتها في تطويرها ؟

لا نجد ما يشفي الغليل في الإجابة عن ذلك، لكن بالنظر للسياسة الزراعية العامة التي نهجتها الدولة المرابطية، يمكن إبادة بعض الغموض.

يذكر ابن غازي[15] أن بني زياد وبني مروان وبني موسى كانوا في «غاية من الخصب وكثرة المياه والأشجار، وكان أهلها آمنين مطمئنين في عيش رغد، ونعمة تامة منذ ملك أمراء المسلمين بنو تاشفين بلاد المغرب»، وهو ما يعني أن الفلاحة المكناسية عرفت ازدهاراً في ظل المرابطين. لكن إلى أي مدى نطمئن إلى هذا القول ؟

إن رواية ابن غازي تحمل نوعاً من التعميم، بحيث يبدو لأول وهلة أن حكمه ينسحب على العصر المرابطي برمته. لكن تأمل الرواية يثبت أنه كان يقصد المرحلة الأولى من حكم الدولة المرابطية. شفيعنا في هذا الاستنتاج تتمة الرواية التي يقول فيها عن المرابطين «وأخمد الله تعالى بسيوفهم نار الفتنة البربرية» مشيراً بذلك إلى الفترة الأولى من حكمهم. وبتتبع السياسة الزراعية التي نهجها الملثمون، يتأكد هذا الظن.

---

(13) : معيار الاختيار. طبعة المحمدية — فضالة (دون تاريخ) ص 165

(14) : صنف فيه بيت شعري حيث قال صاحب نزهة الناظم بعدما ذكر أصناف الأعناب الموجودة في مكناس :

لكنـــــــي أقـــــــول دون سوء　　　ما فـــاق الأعنـــاب سوى المرتـــوءي

انظر ابن غازي : م. س ص 4

(15) : الروض الهتون ص 5

ففي هذا العصر، ترد إشارات هامة إلى اعتناء المرابطين بوسائل الري، خاصة في مراكش حيث جلبوا الخبرة الأندلسية، وقام مهندس يدعى عبد الله بن يونس بجلب المياه إلى العاصمة واستخراجها بطريقة هندسية تمكنها من الارتفاع من أسفل الأرض إلى أعلاها بغير روافع[16]. إلا أن هذه العناية لم تستفد منها مكناس لسببين :

1) كان كل الاهتمام موجها نحو مراكش العاصمة الجديدة، ــ دون المدن الأخرى ــ وما ورد الروايات «المكثفة» حول الإصلاحات الزراعية التي قام بها المرابطون فيها، وانعدامها النسبي في المدن الأخرى سوى دليل على ذلك.

2) وحتى فترة الإصلاحات هاته لم يقدر لها أن تعمر طويلا. فمنذ عهد علي بن يوسف وبروز المشكلات الكبرى للدولة المرابطية، عرفت هذه الإصلاحات انتكاسات وتراجعات خطيرة انتهت بالتوقف تماماً في الفترة الانتقالية بين المرابطين والموحدين[17].

ولم يقدر للمرابطين اتباع السياسة الحازمة التي نهجوها في بداية حكمهم فيما يخص ملكية الأرض، واعتبارها ملكاً للدولة. بل تراجعوا عن هذا المكسب في أواخر دولتهم حيث أفلتت كثير من الأراضي من قبضتهم، وبدأوا يتبعون سياسة إقطاعها لكبار قادة الجيش[18]، وهي السياسة التي أضرت كثيرا بالمزارعين.

يضاف إلى ذلك السياسة الضرائبية المجحفة التي أثقلوا بها كاهل هؤلاء، ولا غرو فإن وظيفة الاشراف على الضرائب ظهرت منذ أواخر الحكم

---

(16) : عز الدين أحمد موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري. طبعة بيروت 1983. ص 180.

(17) : عز الدين أحمد موسى : م. س. ص 181

(18) : نفسه ص 131 ــ 132

المرابطي[19]. كما أن اكتراء الأرض أصبح «بمال جسيم» حسب تعبير ابن غازي[20]، وهو في اعتقادي يشير بذلك إلى ظاهرة القبالة التي انتشرت بشكل كبير في مجموع أراضي المغرب بما في ذلك مدينة مكناس؛ وحسبنا أن نوازل العصر المرابطي تؤكد هذا الزعم[21].

كما أن التزامات الدولة العسكرية أدت إلى أزمة مالية عنيفة انعكست على أوضاع الفلاحين، حيث اضطر علي بن يوسف إلى فرض ضرائب باهضة عليهم، مما أدى إلى توقفهم عن العمل تحت وطأة هذه الضرائب الجائرة[22].

ولا مراء في أن مشكلة الأمن كانت من أبرز القضايا التي كان يتطلع إليها المزارعون في مكناس. وقد تمكنت الدولة المرابطية من تحقيق هذا التطلع في بداية عهدها، حيث شيد أمراؤها مجموعة من الحصون لوقاية السهول الزراعية من غارات سكان الجبال وأهل البادية. إلا أن المشاكل التي عرفتها الدولة خاصة مع بداية الدعوة الموحدية، سرعان ما عصفت بهذه الجهود، وأرغمت المزارعين على الفرار من أراضيهم نظرا لانعدام الأمن[23].

أما طريقة الزراعة فقد تميزت ببدائيتها، إذ ظل العمل الزراعي في مكناس كغيرها من مدن المغرب، يعتمد على الدورة الزراعية الثلاثية، وعلى التزبيل وقلب الأرض، بينما ظلت وسائل الانتاج بدورها بدائية، حيث استمر الحرث بالثور والزوجة والمحراث، والسقي بمياه الأنهار أو الأراضي المائية، والعيون والسواقي.

---

(19) : هو بكنز : النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى. طبعة ليبيا — تونس 1980. ص : 107

(20) : الروض المتون ص 3.

(21) : عز الدين موسى : م. س. ص : 167

(22) : نفسه ص 166

(23) : نفسه ص 160

يقول صاحب الروض الهتون[24] في هذا الصدد : «وبني زياد أيضا عيون يسقون بها بعض أملاكهم، يسقون بعضها بالساقية المخرجة من وادي فلفل». وعن موضع يدعى حمام أبي الخيار يقول : «بإزائه عين كبيرة تنسب كذلك لأبي الخيار، ماؤها عذب معين صاف تسقى به طائفة كثيرة من أملاك تاورا ومن أملاك من تحتها[25]»

ولم تكن الفترة الانتقالية من المرابطين إلى الموحدين أكثر إيجابية بالنسبة للتطور الفلاحي في مكناس. وحسبنا أن هذه المرحلة كانت فترة اغتصابات. ومن يطالع نوازل الونشريسي يلحظ هذه الظاهرة بجلاء. ولاشك أن غياب سلطة مركزية قوية كان وراء ذلك، فكثر استغلال أراضي الغير، والتعدي على الأملاك المشاعة لصالح ذوي النفوذ[26].

نستنتج مما سبق، أنه رغم المؤهلات الطبيعية الهامة، فإن الفلاحة في مكناس إبان الحكم المرابطي. وإذا ما استثنينا عهد يوسف بن تاشفين ــ ظلت تعاني جملة من المشاكل، يأتي في مقدمتها السياسة الزراعية التي نهجها المرابطون، والمتمثلة في السياسة الضرائبية المجحفة، وانعدام الأمن، وبقاء وسائل الانتاج بدائية، وهي نفس القضايا التي عرضها ابن خلدون في مقدمته بشكل عام.

ماهو التطور الذي عرفته فلاحة مكناس في عصر الدولة الموحدية ؟ لم تكن مرحلة الثورة في الدعوة الموحدية مؤشراً إيجابيا لفلاحة مكناس؛ ذلك أن الغارات التي استأسد الموحدون في شنها على المرابطين، وعاملهم في مكناس وأحوازها، أثرت على الانتاج. وكان للحصار الطويل الذي ضُرب حولها، والذي

---

(24) : ابن غازي : م. س. ص 4
(25) : نفسه ص 5
(26) : عز الدين : م. س ص 149

بلغ سبع سنوات حسب بعض الروايات[27] ضرراً كبيراً على المزارعين، وكافة سكان مكناس الذين اضطروا إلى «أكل خسيس الحيوان حتى عدم ذلك وهلك الناس قتلا وجوعا»[28]

وبعد تمكن الموحدين من فتح المدينة، وانطلاقاً من القاعدة التي ارتكز عليها ابن تومرت بتكفير كل من خالفه، اعتبر سكان المدينة غنيمة وسبيا، فأحل دماءهم وسبا نساءهم وأطفالهم وخمّس أموالهم[29]. فكان من نتيجة ذلك أن «صار الناس عمّاراً في أملاكهم يؤخذ منهم نصف الفواكه الصيفية والخريفية وثلث غلة الزيتون... وكانت العادة إذا بدأ صلاح الغلات يباع حظ المخزن منها حارة بعد حارة. وكان المشترون لها قوما لاخلاق لهم يقال لهم القشاشون فتستطيل أيديهم على حظوظ الرعية، ويضيقون عليهم حتى يبيعوا منهم حظهم بثمن بخس أو يشتروا منهم حظ المخزن غاليا، فكان الناس من ذلك في جهد عظيم ومحنة شديدة لا يتجرأ أحدهم إلى أن يقطف من ملكه حبة واحدة»[30] وطبيعي أن هذه الوضعية تؤدي إلى فرار أغلب المزارعين، مما أسفر عن استنزاف الأرض وبوارها.

إلا أن انتقال الدعوة الموحدية من مرحلة الثورة إلى مرحلة الدولة تمخض عنها تحول حاسم في تطور فلاحة مكناس التي يبدو أنها بدأت تأخذ حيزاً هاما من اهتمامات الخلفاء الموحدين. فإذا كان اهتمام المرابطين بالزراع نادراً حتى في الظروف الصعبة، فالراجح ان الدولة الموحدية كانت أكثر حرصا على مساعدة الزراع في أوقات الشدة[31]. ولا يخامرنا شك في أن مكناسة استفادت من

---

(27) : ابن زرع : روض القرطاس. طبعة الرباط 1972 ص 191

(28) : ابن غازي : م. س ص 9

(29) : ابن أبي زرع : م. س ص 191

(30) : ابن غازي. م. س ص 9.

(31) : عز الدين : م. س ص 185

الاصلاح الزراعي الذي تبناه الجهاز الموحدي. وحسبنا أن يعقوب المنصور بنى فيها عدداً من الصهاريج والآبار[32]، وعمل على توفير المياه واستباطها من باطن الأرض إلى مناطق الزراعة. كما أن الخليفة الناصر أحدث فيها بحائر في نهاية من الاتساع، وجلب لها ماء النهر[33]. وعمّت المدينة في هذا العهد بساتين وغراسات جديدة[34]، خاصة الزيتون والكروم[35]، وانتشرت زراعة الكتان في بحيرة مكناسة كما استنتج ذلك أحد الدارسين[36]. ولا أدل على ما اكتسته الفلاحة من أهمية في هذه الفترة من كون بعض القضاة فضلوا الاشتغال بالفلاحة عن احتراف مهنة القضاء[37].

ومن القرائن على تقدم فلاحة مكناس في العصر الموحدي أن الزراعات الشجرية أصبحت من الوفرة ما يميزها عن عصرهاالسابق.

وزادت ظروف الأمن التي فرضتها الدولة الموحدية الوضع الزراعي تقدماً. فالخليفة الموحدي عبد المومن طلب من جميع المزارعين الهاربين من مجاشرهم الرجوع إلى أراضيهم للعمل فيها[38]، وجعل من مهمات جيشه قطع دابر كل من سولت له نفسه إفساد الزرع[39]، وسار خلفاؤه على هذا النهج.

وانعكست هذه السياسة على مزارعي حوائر مكناسة حيث خفف عليهم

(32) : **القلقشندي** : صبح الأعشى. ج 5 طبعة القاهرة 1913 ص 157

(33) : **مجهول** : **كتاب** الاستبصار ص 187.

(34) : **المنوني** : **العلوم** والآداب والفنون على عهد الموحدين. طبعة الرباط 1977 ص 241

(35) : مجهول : م. س ص 187

(36) : المنوني : **التخطيط** المعماري ص 34

(37) : ابن زيدان : إتحاف أعلام الناس. طبعة الرباط 1933 ص : 522

(38) : **ابن القطان** : نظم الجمان. طبعة تطوان (دون تاريخ) ص 175

(39) : نفسه ص 128

في شركة الزيتون و«صلحت بسبب المقاطعة أحوال الناس، ونمت أموالهم وامتدوا في الأحياء والغراسات»[40].

وينهض قرينة على هذه النهضة الزراعية التي شهدتها مكناس إبان عصر الموحدين ما ذكره ابن غازي[41] حين أكد أن زراعة الزيتون ازدهرت في عهد محمد بن عبد الله بن وجاج عامل الموحدين على مكناس حتى كان حب زيتون يباع على الحمل بخمسة وثلاثين ألف دينار ونحوها. أما الادريسي[42] الذي عاصر الدولة الموحدية فيزكي ذلك بإشارته إلى أن الفواكه كانت تباع بثمن زهيد.

وساهم شيوع الأمن في تطور زراعة مكناسة على غرار المناطق المغربية الأخرى. وفي هذا الصدد يقول المراكشي[43] : «لم تزل أيام أبي يعقوب هذا أعيادا وأعراسا ومواسم، كثرة خصب وانتشار أمن ودرور وأرزاق واتساع معايش». ومن مظاهر انتشار الأمن في عهده أن «الضعينة كانت تخرج من بلاد نول فتنتهي إلى برقة وحدها لا ترى من يعرض لها ولا من يسومها بسوء»[44]

وفضلا عن ترسيخ واستتباب الأمن، اتبع الموحدون الأوائل سياسة ضرائبية معتدلة، مستفيدين من أخطاء سابقيهم. وقد نفذ ابن تومرت برنامجه الاصلاحي بإلغاء الضرائب غير الشرعية[45]، ونحا منحاه الخلفاء الذين أعقبوه فعملوا على تنظيم الخراج. وتعزى بداية هذا المشروع الاصلاحي إلى عبد المومن بن علي الذي

(40) : ابن غازي : م. س ص : 10
(41) : نفسه ص 3
(42) : الادريسي : م. س ص 52
(43) : المعجب ص 371
(44) : الناصري : الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى ج 2 طبعة البيضاء 1954 ص 198
(45) : ابن أبي زرع : روض القرطاس ص 123

قام بتكسير كل بلاد المغرب، وشمل هذا التكسير إقليم مكناس بعد أن أسقط عنه الثلث في الجبال والغياض والأنهار والطرق[46].

ومن المعقول أن نقرر بأن الضرائب غير الشرعية لم تسد في هذه المرحلة الأولى من حكم الموحدين، وسبب ذلك يرجع إلى كثرة الخراج الذي كان يستغنى به عن الضرائب الأخرى؛ ولا غرو فإن خراج افريقية وحده كان في عهد أبي يوسف يعقوب المنصور يصل في كل سنة ما يبلغ حمله مائة وخمسين بغلا[47].

ومن مظاهر هذا التنظيم وانعكاساته على مكناس بناء القصبة الموحدية ودار الاشراف بها، وهي دار كانت بمثابة مقر للمشرف على استخلاص الجبايات يرجع الأستاذ المنوني أنها كانت من بناء الناصر الموحدي عام 600 هـ[48]، بينما يكتفي ''هو بكنز'' بالاشارة إلى أنها بنيت في عصر الموحدين دون تحديد دقيق[49].

ورافق هذا التنظيم مراقبة شديدة لعمال الجباية ومحاسبتهم، حيث تعود الخلفاء الموحدون على البطش بعمال الجباية المخالفين للقواعد المتبعة. وترد في هذا الشأن رواية لابن عذاري[50] مفادها أن سكان مكناس قدموا على الخليفة الناصر، وشكوا إليه جور عاملهم أبو الربيع بن أبي عمران، فنكل به، وصادر ممتلكاته وألقى به في السجن.

غير أن هذا الازدهار عرف انحسارا وتراجعا واضحا في المرحلة الأخيرة من عصر الدولة الموحدية. ويظهر أنه بدأ منذ هزيمة العقاب سنة 609 هـ، وذلك

(46) : **الناصري** : م. س ج 2 ص 139
(47) : **المراكشي** : م. س ص : 370
(48) : **التخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور** ص 34. مجلة الثقافة المغربية. م 7. سنة 1972
(49) : **هـ النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى** ص 107
(50) : البيان المغرب. القطعة الخاصة بالموحدين طبعة بيروت 1985 ص : 249

بسبب القلاقل السياسية التي ميزت هذا العهد، والخروج عن السياسة الضرائبية التي سار على سنتها الخلفاء الموحدون الأوائل. ويزودنا ابن غازي[51] برواية هامة تدعم هذا الرأي إذ يقول متحدثا عن مكناسة : «ونمت هذه البلاد وعمّرت، ولم تزل في نمو وقوة حتى انتهت مجابيها إلى مائتين من الآلاف، ثم اختلت بجور العمال، وأخذت في النقص منذ سنة كائنة العقاب، ثم تفاقم الأمر عند قيام بني مرين». وينقل صاحب الذخيرة السنية[52] رواية هامة مفادها أن محمد بن واندين ــ أحد قاده الجيش الموحدي ــ دخل سنة 638 هـ بمعية قادة آخرين إلى مكناسة «فأفنوها بالمغارم الثقيلة، وأفقروا أهلها»، ثم اتجه بعد ذلك إلى فاس ليعود إلى مكناسة ثانية، فنزل بمقربة من زرهون، الشيء الذي أجبر مزارعي المنطقة على الفرار «فأسلموا للنهب مواشيهم وزروعهم»[53]

كما أن ضغط المرينيين كان كارثة على الفلاحين في مكناس، وحسبنا أنهم أرغموا على دفع إتاوة لبني حمامة أنصار المرينيين[54]. ويذكر بعض المؤرخين أنهم ظلوا يؤدون هذه الاتاوة إلى أن داهمهم هجوم آخر من قبل بني عسكر الذين حاصروهم حتى ضاقوا ذرعا. فلما يتقنوا من هلاك أموال زروعهم، بعثوا الى المغيرين علماءهم وصلحاءهم راغبين في كف عاديتهم «فما قبلوا لهم رغبة ولا استشعروا من الله سبحانه فيهم مخافة ولا رهبة، بل ألزموهم أربعة آلاف دينارا خفارة»[55].

وبمجرد ما فتح الأمير المريني مكناسة، بادر إلى إقطاع ثلث جبايتها لأخيه

---

(51) : الروض الهتون ص 12

(52) : ابن أبي زرع : الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية طبعة الرباط 1972 ص 60

(53) : ابن عذاري : البيان المغرب. قسم الموحدين ص 357

(54) : الناصري : م. س ج 2 ص 246

(55) : ابن عذاري : م. س ص 357

يعقوب جزاءاً له على وساطة قام بها لتسهيل مأمورية الفتح[56]. بل ان المدينة برمتها أقطعها يعقوب بن عبد الحق لابن أخيه عمر مقابل التنازل له عن الأمر[57].

وزاد انعدام الأمن في هذه الفترة الحرجة وضعية الفلاحة المكناسية تفاقما حيث أصاب الوهن السلطة المركزية، وكثرت الفتن، واضطرب حبل الأمن منذ هزيمة العقاب. ويصور أحد المؤرخين[58] هذه الحالة في اختصار رائع حيث يقول : «وفي سنة 616 هـ كثرت الفتن بين قبائل المغرب، واشتد الخوف في الطرقات، ونبذ أكثر القبائل الطاعة، وفارقوا الجماعة، وقالوا لا سمع ولا طاعة، فأكل القوي الضعيف، واستوى الدنييء والشريف، فكان كل من قدر على شيء صنعه، ومن أراد منكرا أظهره وابتدعه، إذ ليس لهم مليك يحوطهم، ولا أمير يكفهم ويصدهم، فكانت قبائل فازاز من جاناته وقبائل غمارة وأوربة وصنهاجة والعرب يقطعون الطرقات، ويغيرون على القرى والمجاشر مع الأحيان والساعات» فكان من نتائج هذا التعدي على الفلاحين أن «انقطع الحرث واشتد الغلاء» ولا يساورنا شك في أن مكناس ــ وهي مدينة فلاحية كما سلف الذكر ــ كانت أكبر المناطق تضررا من هذا الابتزاز.

ولا تعوزنا القرائن التي تدعم هذا الزعم، فابن غازي[59] يذكر أن حب زيتون بحيرة مكناسة كان يباع عام الحمل بخمسة وثلاثين ألف دينار أو نحوها. إلا أن هذا السعر. حسب نفس المؤرخ ــ عرف انخفاضا بينا بسبب انهيار إنتاجه في أواخر عصر الموحدين.

---

(56) : الناصري : م. س ج 3 ص 12

(57) : نفسه ص 20

(58) : ابن أبي زرع : الذخيرة ص 36

(59) : الروض المتون ص 3

وجاءت غزوات بني رياح لتزيد الطين بلة، وحسبنا أن ابن عذاري اعتبرهم أشد ضررا بأحواز مكناسة لما قاموا به من عمليات الغصب والاعتداء على أراضي الغير[60].

وساهمت الظروف الطبيعية بدورها في تفاقم هذه الوضعية خاصة الجفاف وانتشار الجراد. مصداق ذلك ما أورده أحد المؤرخين[61] بقوله مشيرا إلى سنة 617 هـ : «وفيها ابتدأت المجاعة والغلاء، وكثرت الفتن، وعمّ الجراد جميع بلاد المغرب والأندلس». وبديهي أن تكون مكناسة قد عانت من ضراوة هذه الآفات الطبيعية.

من حصيلة ما سبق، يتأكد أن الفلاحة في مكناسة، عرفت تطورا إيجابيا إبان فترة ازدهار الدولة الموحدية، لكنها سرعان ما عرفت تراجعا في المرحلة الأخيرة من هذا العهد.

ومن المعلوم أن المرينيين جاؤوا بعد الموحدين لبناء مرحلة اقتصادية جديدة، غير أنهم في صراعهم مع بقايا هؤلاء في سبيل توطيد دعائم قوتهم الجديدة، اضطروا إلى خوض حروب ومناوشات أضرت بالأراضي الزراعية.

وبعد أن تحققت لهم الغلبة، كان أول عمل بدأ به الأمير المريني أبو بكر بن عبد الحق هو أنه جمع أشياخ بني مرين، وقسّم عليهم بلاد المغرب، فأنزل كل قبيلة في ناحية منه، وجعل لها ما نزلت فيه من الأرض، وما غلبت عليه بالسيف[62]. لكن الراجح هو أن مكناس لم تقع طعمة[63] في يد رجال بني مرين

(60) : ابن عذاري : م. س ص 351
(61) : ابن أبي زرع : م. س ص 54
(62) : ابن أبي زرع : روض القرطاس ص 291
(63) : المقصود بالطعمة هو أن يدفع شخص قطعة أرض إلى آخر ليعمرها ويؤدي عشرها، فإذا مات ارتجعت من ورثته

إذ يذكر ابن أبي زرع أن الاستيلاء عليها كان بعد هذا التقسيم. كما أن هذا الاستيلاء جرى عن طريق الصلح بواسطة شيخها أبي الحسن بن أبي العافية[64]. ويبدو أن هذا الصلح تضمن شرط أداء سكان مكناس وضمنهم المزارعون ـــ كل سنة «أموالا معلومة» مقابل ضمان سلامتهم وحريتهم[65].

لكن ما إن توطدت أركان الدولة المرينية، واستقرت الأمور، حتى بدأت الزراعة تعرف بعض الانتعاش، ساعد في نموه توفر الظروف الأمنية التي عادت من جديد، مما وفّر إنتاجا فلاحيا هاما خاصة زراعة الفواكه. كما انتشرت الزراعات السقوية انتشارا واسعا. مصداق ذلك قول ابن غازي[66] بأن «غراسات مكناسة كلها سقي إلا ما كان منها بحكم النادر» وعلى الرغم من أن وسائل السقي ظلت بدائية، فإن جهود الدولة في تنظيم الري لا ينكر، إذ اهتم المرينيون باستحداث النواعير التي تعددت في عهد السلطان المريني أبي عنان، وجربت في المغترسات المرينية الخاصة[67] : كما أن السياسة الضرائبية تميزت باعتدالها وبعدها عن كل ما هو غير شرعي. فيوسف المريني أسقط عن الناس المطالبة بزكاة الفطر، ووكلهم فيها إلى أمانتهم[68]. وقام السلطان أبي الحسن بإصلاح جبائي، وألغى كل الضرائب غير الشرعية خاصة نظام الضمان أو القتالة[69]، وعيّن لجباية الضرائب موظفين موثوق بهم[70]. كما زاد في السقايات والقناطر حتى «صلحت أحوال مدينة مكناس»، وكان تفقد المدينة من السنن التي سار على هديها[71].

---

(64) : ابن أبي زرع : م. س ص 292
(65) : نفسه ص 289
(66) : الروض الهتون : ص 3.
(67) : المنوني : ورقات عن الحضارة المرينية. طبعة الرباط (دون تاريخ) ص 111
(68) : نفسه ص 90
(69) : نفس المرجع والصفحة
(70) : نفس المرجع والصفحة
(71) : ابن غازي : م. س ص 14

وبالمثل، قام أبو عنان بإلغاء ضريبة التضييف التي كانت تأخذ من الرعية قهرا[72]. ولم يدخر السلاطين المرينيون الأوائل وسعا في اتباع سياسة لينة مع المزارعين ومساعدتهم بإعفائهم من ضريبة الخراج. وهكذا وزع أبو الحسن على الأيتام في سائر القبائل قطعا أرضية تقدر بحرث زوجين لكل فرد أي نحو 16 هكتارا لكل واحد[73]. كما نظم الجباية تنظيما محكما. وانعكس ذلك على مكناس فبلغت جبايتها حسب ما يمدنا به العمري ستون ألف مثقال[74].

وبديهي أن تثمر هذه المجهودات، فقد انتشرت المجاشر[75] في ربوع مكناسة حتى بلغت حسب ما نقله ابن غازي سماعا اثني عشر ألف مجشر، وكثرت زراعة الزيتون الذي اتصل بها وبكل حاراتها قبل أن يؤول إلى الخراب مع فتنة الشيخ اللحياني[76]. كما تقدم إنتاج الفواكه وتحسنت نوعيتها، وحسبنا أن ابن الخطيب لم يخف إعجابه بها خاصة الرمان الذي فاقت كمياته كل الفواكه[77] حتى أنه كان يباع بثمن بخس لوفرته[78]. ولعل كثرة الفواكه التي أصبحت تعج بها بساتين مكناسة كانت موضوع ما كتبه الحسن الوزان[79] الذي جاء في فترة متأخرة وكتب عن ماضي المدينة المجيد، فأشاد بعنبها وتينها وكرومها، وكثرة مشمشها وخوخها الذي كان يلقى دون أن يجد من يأخذه لكثرته.

---

(72) : المنوني م. س ص 91 وقد نقلها من تحفة النظار ج 2 ص 184
(73) : نفسه ص : 111
(74) : مسالك الأبصار. نقلا عن المنوني : ن. م. ص 90 ويمكن مقارنة هذا الرقم مع أرقام مدن أخرى : فاس : 150 ألف مثقال، سلا : 40 ألف مثقال، باديس 10 آلاف مثقال، تيط : 5 آلاف مثقال
(75) : المجشر هو الحقل أو الضيعة
(76) : ابن غازي : م. س. ص 15
(77) : ابن الخطيب : معيار الاختيار ص 165
(78) : الحسن الوزان : وصف افريقيا ج 1 طبعة الرباط 1980 ص 169
(79) : نفس المرجع والصفحة

إلا أن هذا الازدهار لم يقدر له أن يستمر طويلا. ذلك أن المشكلات السياسية والاقتصادية أخذت تنخر عظام الدولة المرينية بعد مقتل أبي عنان، فانقسمت البلاد بين قوى إقطاعية قزمية، واستبد الوزراء بالحكم.

وبديهي أن تنعكس هذه الحالة على الزراعة والعاملين فيها إذ وظفت على هؤلاء المغارم والاتاوات، مصداق ذلك ما ذكره ابن الخطيب[80] وهو يتحدث عن عهد السلطان المريني أبي سالم (760 ـــ 762 هـ) من أن « الرعايا استولت عليها المغارم ونزفها الحلب» كما أن بعض الضرائب الملغاة عادت للظهور من جديد. ونسوق في هذا الصدد مثال ضريبة الرتب التي أسقطها أبو يوسف يعقوب ثم عادت للظهور من جديد أيام عبد العزيز الأول حيث كانت موضوع حوار مكتوب بين هذا السلطان وخطيب جامع القرويين محمد بن إبراهيم النفزي الرندي الشهير بابن عباد[81].

وساهمت الشروط المناخية في هذا الانحطاط الذي عرفته الزراعة إذ تعاقبت على المغرب ـــ وضمنه مكناسة ـــ سنوات عجاف خاصة أعوام 679 هـ و 693 هـ و 723 هـ و 724 هـ التي كانت أخطر سنة من سنوات الجفاف حتى انعدمت فيها الاقوات[82]. وقد عمّ الجراد جل مدن المغرب في مجاعة سنة 679 هـ، «فلم يترك بها مخضرا»[83]. وسجّل الناصري[84] ريحا شديدة هبت على مكناس في سادس ذي القعدة من سنة 722 هـ استمر هبوبها يومين بليلتيهما، هدمت الديار وقلعت الأشجار... «وأقعرت من زيتون مكناسة المقرمدة شيئا كثيرا».

---

(80) : نقل ذلك محمد المنوني من نفاضة الجراب. انظر : ورقات عن الحضارة المرينية ص 92

(81) : نفسه ص 91

(82) : انظر ابن أبي زرع : روض القرطاس ص 405؛ 409؛ 413

(83) : نفسه ص 405

(84) : الاستقصاء : ج 3 ص 179

ومن الطبيعي أن تخلف هذه الظواهر نتائج وخيمة على المجال الزراعي، حيث خلت المجاشر، وفرّ عنها أهلها[85]، « وانقعر زيتونها قطعا وأحداقا»[86]. ويعلق ابن غازي[87] على ذلك متأسفا : «وقد باد زيتونها لهذا العهد إلا قليلا لما توالى عليها من الفتن والبقاء لله وحده».

خلاصة القول هو أن الفلاحة في مكناسة خلال العصر الوسيط لم تعرف تطورا تصاعديا إذ شهدت فترات ازدهار أعقبتها فترات انحطاط. ولم يكن ذلك سوى انعكاسا أمينا لقوة الدولة أو ضعفها، ومدى ما سخرته من إمكانيات لتطويرها. فلماذا هذا التطور البطيء ؟ ولماذا ظل تطورا لولبيا دون أن يتجه في خط تصاعدي ؟ وهل كان بإمكان الفلاحة كنشاط اقتصادي أن يدعم قوة مدينة مكناس ويجعلها مدينة ذات إشعاع اقتصادي في خارطة المدن المغربية ؟ هذا ما نطمح لتفسيره انطلاقا من بعض التنظيرات التي ضمنها ابن خلدون مصنفه الناجح «المقدمة». وذلك في بحث مستقل.

مكناس **ابراهيم القادري بوتشيش**

(85) : ابن غازي : م. س ص 15
(86) : نفسه ص 16
(87) : نفسه ص 3

ملحق يتعلق بثبت بأسماء العمال الذين تولوا شؤون مكناسة في العصر الوسيط

ثبت بأسماء بعض العمال الذين تولوا شؤون مكناسة خلال العصر الوسيط (على وجه التقريب)

اسم العامل	الفترة التي تولى فيها مهمته	المصدر المعتمد
1 ــ أحمد بن إدريس الثاني	أواخر عصر الأدارسة = حوالي 213 هـ كان يتولى شؤون مكناسة	روض القرطاس لابن أبي زرع ص 51 طبعة الرباط 1972
2 ــ حمزة بن علي بن عمر بن إدريس الثاني	كان عاملا على عوسجة (إحدى مدائن مكناسة) سنة 324 هـ	المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 131 ــ 132 طبعة الجزائر 1911
3 ــ يوسف الجزنائي	توفي عاملا على المدينة سنة 412 هـ	البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج 1 لابن عذاري ص 255 طبعة بيروت 1980
4 ــ المهدي بن يوسف الجزنائي	ابتداء من 412 هـ إلى 455 هـ حيث كان لازال عاملا عليها	روض القرطاس لابن أبي زرع ص 140
5 ــ الخير بن خزر الزناتي	كان عاملا على مكناسة إلى حدود سنة 466 هـ	البيان المغرب لابن عذاري ج 4 ص 27
6 ــ الأفضل اللمتوني	بداية عصر المرابطين : ابتداء من 466 هـ	البيان المغرب لابن عذاري ج 4 ص 27
7 ــ سيري بن أبي بكر	سنة 467 هـ	روض القرطاس لابن أبي زرع ص 142
8 ــ الحسن بن عشرة	أواخر عصر المرابطين : حوالي 510 هـ (عند عودة ابن تومرت من المشرق إلى المغرب)	أخبار المهدي بن تومرت لأبي بكر بن علي الصنهاجي (البيدق). طبعة الرباط 1971
9 ــ يدر بن وجوط	نهاية الدولة المرابطية : 543 هـ (حسب ما يذكره ابن أبي زرع ص 191)	الروض الهتون لابن غازي ص 6. طبعة الرباط 1952

10 ــ أبو الربيع بن أبي عمران	عهد الخليفة الموحدي الناصر	البيان المغرب لابن عذاري ــ القسم الموحدي ص 249 طبعة بيروت 1985
11 ــ موسى بن عبد الصمد	ولي سنة 618 هـ	الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ص 55 طبعة الرباط 1972
12 ــ أبو ابراهيم إسماعيل بن محمد	بداية الدولة الموحدية	الروض الهتون لابن غازي ص 12
13 ــ محمد بن عبد الله بن واجاج	بداية دولة الموحدين	الروض الهتون لابن غازي ص 3
14 ــ راجل السعيد	كان عاملا على مكناسة سنة 643 هـ	البيان المغرب ــ القسم الموحدي : ابن عذاري ص 373
15 ــ أبو الحسن بن أبي العافية	أواخر عصر الخليفة الموحدي السعيد (حوالي 643 ــ 645 هـ)	كتاب الاستقصاء للناصري ج 3 ص 12 طبعة البيضاء 1954
16 ــ ابن أبي حفص	حوالي سنة 645 هـ (لم يستمر طويلا)	نفس المصدر والصفحة
17 ــ عمر بن أبي بكر	بداية عصر المرينيين : حوالي سنة 656 هـ	الذخيرة السنية لابن أبي زرع ص 84
18 ــ أبو علي الأزرق	عهد يعقوب بن عبد الحق : ابتداء من سنة 656 هـ	نفس المصدر ص 162
19 ــ أبو محمد عبد الله بن محمد	كان عاملا على مكناسة في الفترة التي زارها فيها ابن الخطيب حوالي سنة 771 هـ	نفاضة الجراب في علالة الاغتراب لابن الخطيب. ص 143. طبعة البيضاء 1985
20 ــ أحمد اللحياني الورتجاني	ستقل بمكناسة ما بين 820 و840 هـ	الروض الهتون لابن غازي ص 6
21 ــ أبو زكريا الوطاسي	ما بعد سنة 840 هـ	نفس المصدر والصفحة

ملحوظة : هذا الجدول لا يعتبر نهائيا، وإنما جاء نتيجة استغلال المصادر المستعملة في البحث. ورجاؤنا هو أن يضيف إليه الباحثون المهتمون بتاريخ مكناسة في العصر الوسيط ما يمكن أن يكون قد بقي فيه من فجوات في حالة وجودها.

المصادر والمراجع المستعملة في البحث

أولا : المصادر

1 ــ ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (توفي عام 741 هـ في واقعة طريف) الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. طبعة الرباط 1972 (دار المنصور للطباعة والوراقة)

2 ــ الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية. طبعة الرباط 1972

3 ــ ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد (توفي في فاس 776 هـ) كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار
تحقيق الدكتور محمد كمال شبانة. طبعة المحمدية ــ فضالة (دون تاريخ)

4 ــ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (تونس 732 هـ القاهرة 808 هـ)
كتاب المقدمة
طبعة بيروت 1979

5 ــ ابن عذاري، أبو عبد الله محمد المراكشي (عاش بعد سنة 712 هـ)
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ــ قسم الموحدين ــ تحقيق الأساتذة : محمد ابراهيم الكتاني ــ محمد زنيبر ــ محمد بن تاويت ــ عبد القادر زمامة. طبعة بيروت ــ البيضاء 1985

6 ــ ابن غازي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد العثماني المكناسي (توفي عام 919 هـ)
الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون
طبعة الرباط 1952

7 ــ الادريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس (سبتة 493 ــ 560 هـ)
وصف افريقيا الشمالية والصحراوية. مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق..
نشر هنري بيريس. طبعة الجزائر 1957

8 ــ ابن القطان، علي بن محمد الكتامي (توفي سنة 628 هـ)
نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان. تحقيق محمود علي مكي
طبعة تطوان ــ المطبعة المهدية ــ (دون تاريخ)

9 ــ الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (توفي سنة 710 هـ)
الروض المعطار في خبر الأقطار
تحقيق إحسان عباس. طبعة بيروت 1975 ــ نشر دار القلم

10 ــ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (توفي سنة 821 هـ)
صبح الأعشى في صناعة الانشا. الجزء الخامس
طبعة القاهرة 1913 ــ 1919

11 ـــ مجهول (عاش في القرن السادس الهجري) :
كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار. وصف مكة والمدينة وبلاد المغرب
نشر وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد. البيضاء 1985
12 ـــ المراكشي، محيي الدين عبد الواحد محمد بن علي (مراكش 581 ـــ 647 هـ)
المعجب في تلخيص أخبار المغرب
تحقيق وتعليق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي. البيضاء 1978 (الطبعة السابعة)
13 ـــ الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد (سلا 1250 هـ ـــ سلا 26 جمادى الأولى 1315 هـ)
الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. الجزءان الثاني والثالث
طبعة البيضاء 1954
14 ـــ الوزان، الحسن بن محمد الفاسي. المعروف بجان ليون الافريقي (غرناطة 888 هـ 957 هـ ؟)
وصف افريقيا. الجزء الأول
ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر. طبعة الرباط 1980.

15 ـــ ياقوت الحمري، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (توفي في حلب في 20 رمضان 626 هـ)
معجم البلدان. الجزء الخامس
طبعة بيروت (دون تاريخ) نشر دار الكتاب العربي

ثالثا : المراجع والدراسات الحديثة :

16 ـــ **ابن زيدان : إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس. الجزء الخامس.**
طبعة الرباط 1933

17 ـــ **ابن سودة، عبد السلام عبد القادر المري : دليل مؤرخ المغرب الأقصى. الجزء الأول**
طبعة البيضاء 1960
18 ـــ **عبد العزيز بنعبد الله : معلمة المدن والقبائل (الملحق 2)**
طبعة المحمدية ـــ فضالة 1977
19 ـــ **عز الدين أحمد موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري**
طبعة بيروت 1983 (دار الشروق)
20 ـــ **المنوني، محمد عبد الهادي : التخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور**
مجلة الثقافة المغربية. المجلد السابع. سنة 1972
21 ـــ **العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين**
طبعة تطوان 1950
22 ـــ **ورقات عن الحضارة المرينية**
طبعة الرباط، مطابع الأطلس (دون تاريخ)

مراجع استغلت في مقدمة البحث :

23 **ـــ بل (ألفرد) : الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم ترجمة عبد الرحمن بدوي. بيروت 1981**

24 ـــ الجنحاني الحبيب : دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي، الاجتماعي للمغرب الاسلامي. طبعة بيروت 1980

25 ـــ المغرب الاسلامي : الحياة الاقتصادية والاجتماعية (القرن 3و 4 هـ). طبعة تونس ـــ ليبيا 1978

26 ـــ حركات، إبراهيم. المغرب عبر التاريخ. الجزء الأول. طبعة البيضاء 1965

27 ـــ شارل أندري جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية. الجزء الثاني. ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة. طبعة تونس 1978

28 ـــ هو بكنز : النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى ترجمة أمين توفيق الطيبي. طبعة ليبيا ـــ تونس 1980.

مراجع بالفرنسية استغلت في مقدمة البحث :

29 - Gambier (E.F): Le passe de l'Afrique du Nord : les siecles obscurs. Paris 1952

30 - LAROUI (A) : L'Histoire du Maghreb : un essai de synthese Tom I. Paris 1975.

31 - TERRASSE (A) : Histoire du Maroc des origines à l'établissement du— protectorat. Casablanca 1946.

(ز.ق.ب)

الزاوية الشرقاوية

خلال القرن 12هـ/18م

بعض جوانب نشاطها الاجتماعي والسياسي

أحمد بوكاري

تقديم :

عندما تولى السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي الحكم عام 1171 هـ/1775 م؛ كان قد مضى على تأسيس الزاوية الشرقاوية أكثر من قرنين من الزمن.. عاصرت خلالها أهم فترات الحكم السعدي، وتأثرت إلى حد بعيد بأزمات القرن 11 هـ/17 م؛ ذلك أن منطقة تادلة ـــ منطقة تواجد الزاوية ـــ تعتبر من الجهات المغربية التي ساهمت إلى حد بعيد في أحداث القرن من خلال الدور البارز الذي قامت به الزاوية الدلائية على المستوى العلمي والسياسي.

وعندما تسلم الاشراف العلويون عرش المغرب... ارتبط تدعيم نفوذ سلطانهم وحكمهم، باستعادة الزاوية لدورها ونشاطاتها في المنطقة... وهو ما تواصل تدعيمه وترسيخه طوال القرن 12 هـ/18 م.

وفي نهاية هذا القرن أي في حدود عام 1199 هـ أو 1200 هـ (1785

م) حدث ما يمكن وصفه بـ «الاصطدام بين الزاوية والمخزن» والذي تزامن مع أواخر حكم السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

لقد فرض على الزاوية إطارها الجغرافي والبشري، وربما حتى قناعات أشياخها الدينية والسياسية المنبثقة عن هذا الواقع؛ أن تنهج أسلوبا معينا يقوم على تزكية وتدعيم الحكم الشرعي المركزي سواء كان سعديا أو علويا؛ وهؤلاء الحكام لم يبخلوا عن الزاوية بمختلف مظاهر الاقرار والاعتراف لها بالخصوصية والتميز، في اطار تقييمهم وتعاملهم مع الخريطة الدينية جهويا ووطنيا.

من هنا يطرح السؤال، كيف وقع الاصطدام بين الزاوية والمخزن ؟ هل بسبب إخلال أحد الطرفين بما وقع التعارف عليه والاجتماع حوله من خلال الاختبارات وتجارب معاشة ؟ أم أن هناك ظروفا ما... دفعت بالزاوية والمخزن إلى التعارض الملموس والمباشر، دون أن يكون بإمكانهما ـــ أو بإمكان أحد منهما ـــ التحكم في هذه الدوافع واحتوائها ؟

للإحاطة بمختلف مجريات الحادث، والتي تترجم تطورا كيفيا وتحولا في علاقات المخزن العلوي المركزي بزاوية جهوية لها أهميتها؛ نقترح المحاور التالية كإطار لبحث هذه الاشكالية وتحليلها واستخلاص بعض النتائج الأولية المرتبطة بها.

أولا : موقع الزاوية الشرقاوية في الخريطة الدينية للمغرب خلال القرنين 10، 11 هـ/16، 17 م

أ ـــ ظروف التأسيس[1] :

يرجع تأسيس الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد (اقليم تادلة) إلى النصف الثاني

1 ـــ أحمد بوكاري : الزاوية الشرقاوية، زاوية أبي الجعد، اشعاعها الديني والعلمي، الدار البيضاء (1985) الباب الأول : ظروف التأسيس من ص 40 ـــ 91.

من القرن 10 هـ/16 م... ويرتبط ذلك بفترة حكم السلطان محمد الشيخ السعدي المؤسس الفعلي لحكم الأشراف الزيدانيين؛ وترجع أهمية تادلة في هذا الظرف، إلى أنها شهدت طوال نصف قرن اصطدامات عنيفة بين امارة مراكش السعدية وامارة فاس الوطاسية، إلى أن تمكن محمد الشيخ من دخول مكناس ومحاصرة فاس معقل الوطاسيين الأخير.

إن قيام الامارة السعدية بسوس، وتحولها إلى مراكش، إلى أن تم نشر نفوذها على كل البلاد؛ ساهمت فيه إلى حد بعيد الزوايا الصوفية الجزولية من خلال اضطلاع شيوخها ومريديها بدور التعبئة والدعاية للأسرة الجديدة التي أبانت عن مقدرة فائقة في الجهاد ضد المسيحيين وأن لها امكانيات قيادية لاتتوفر لغيرها بحكم موقعها الاجتماعي والديني، باعتبارهم من الأسر الشريفة ذات المكانة المتميزة في الوسط القبلي ببلاد درعة وسوس[2].

وتعتبر تادلا من المناطق الهامة التي شهدت خلال هذا الظرف حركة صوفية جد مكثفة، تتمثل في توافد العديد من الشخصيات الدينية اليها كتعبير عن حالة الاضطراب السياسي والاجتماعي، الذي ترتبت عن الغزو الجنبي للموانىء والسهول الساحلية؛ مما استلزم تظافر الجهود لتغيير هذا الوضع، من خلال الدعم القبلي والصوفي للأشراف السوسيين ضد خصومهم الوطاسيين الذين فشلوا في أعمالهم الجهادية.

في هذا الاطار يجب وضع تأسيس العديد من الزوايا بالمنطقة... والتي منها زاوية سيدي أبي القاسم بن محمد الزعري على ضفة أم الربيع قريبا من

2 – من الشخصيات الدينية والصوفية التي زكت مبايعة أسرة محمد بن عبد الرحمان القائم بأمر الله بالجنوب نذكر : الشيخ محمد بن امبارك «من أحواز رباط ماسة من قبائل المصامدة» وحسب ابن عسكر في الدوحة (تحقيق الاستاذ محمد حجي) ص 113، 114، فإن هذا الشيخ «هو الذي أمر قبائل سوس بالانقياد إلى السلطانين الشريفين أبي العباس أحمد وأخيه أبي عبد الله محمد الشيخ، وأمرهما بالعدل والجهاد في سبيل الله تعالى...».

موقع قصبة تادلة الحالية، وغير بعيد عن هذا الموقع، أنشأ ابنه محمد الشرقي زاويته الأولى بمنطقة الدير، قبل أن ينتقل منها إلى منخفض وادي أبي الجعد في اتجاه الداخل. و لم يمر إلا وقت قصير، حتى اكتست زاوية الشرقي أهمية تجاوزت الاطار الجهوي بارتباط مع تدعيم الحكم السعدي من عهد محمد الشيخ إلى حكم السلطان الكبير أحمد المنصور الذهبي... ذلك أن الشيخ محمد الشرقي توفي عام 1010 هـ/1600-1601 م.

ب ــ مظاهر نفوذ الزاوية الروحي والمادي :

اكتسبت الزاوية الشرقاوية خلال العهد السعدي مكانة هامة على المستوى الجهوي والوطني... ويرجع ذلك إلى :

ــ درر الشيخ محمد الشرقي كحلقة في أسرة صوفية لها أهميتها ومكانتها دينيا واجتماعيا وسلاليا (العمرية : نسبة إلى عمر بن الخطاب)؛ وترجع أهمية مشروع محمد الشرقي إلى كونه تزامن مع تدعيم نفوذ الأسرة السعدية التي كان لها تعامل خاص مع شيوخ الزوايا والتصوف[3].

ــ ترتب عن طول عمر الشيخ الشرقي؛ معاصرته لأهم ملوك الأسرة السعدية... مما سمح له باحتلال مكانة متميزة على المستوى السياسي والصوفي؛ إذ تتلمذ عليه العديد من المريدين الذين أنشأوا زوايا في أماكن مختلفة ومن بينهم ابناء الشيخ الشرقي.

---

3 – بدأ هذا التعامل في عهد السلطان محمد الشيخ السعدي من خلال فرضه ضريبة النائبة وتعميمها حتى على الاسر الصوفية كما طالب زوايا اخرى بودائع بني مرين... إلا أن هذا الموقف لم يكن عاما وشاملا وهذا على الأقل ما يوضحه علاقاته مع شيخ زاوية أبي الجعل وشيخ الزاوية الدلائية.
ــ الافراني : النزهة (هوداس) ص 38 وص 41.
ــ فصلنا الحديث له هذا الموضوع في الجزء الثاني من تاريخ الزاوية الشرقاوية الباب الخامس، الزاوية والمخزن السعدي. (طبع 1989).

ـ ساعد على هذا التميز اختفاء شخصيات دينية وعلمية وصوفية بتادلة سيما خلال النصف الثاني من القرن 16/10 م أمثال : الشيخ سعيد أمسناو والشيخ سيدي علي بن ابراهيم البوزيدي وكذلك والد الشرقي سيدي أبي القاسم ابن الزعري.

ـ تدعيم السلطة المركزية لنفوذ زاوية الشرقي في إطار سياسة التوازن الديني الموازية لسياسة التوازن القبلي خاصة في المناطق التي تشكل مجالات تكامل بين نمطين من السكن والعيش؛ ذلك أن موقع الزاوية لايسمح لها بالتردد في تدعيم الحكم المركزي، عكس زوايا أخرى توجد بالجبل أو بالدير مثل زاوية الصومعة... وهذا ما تأكد خلال أحداث سياسية خطيرة مثل ثورة الناصر عام 1003 هـ/1594 م في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي.

يمكن ملامسة مظاهر هذا النفوذ في أبعاده المادية والمعنوية من خلال بعض المعطيات والاشارات التاريخية البالغة الدلالة.

ـ خطاب أبي المحاسن الفاسي إلى الشيخ محمد الشرقي... مستفسرا من خلاله وبصيغة الدهشة والاستغراب التي تخفي نوعا من الانكار المؤذب، عن حقيقة ما وصلت إليه الزاوية من جاه وثروة[4].

ـ استشهاد زيدان بن أحمد المنصور في رسالته إلى أبي زكرياء الحاحي بنخبته من أعلام عصر السلطان عبد الله الغالب؛ ومن بينهم محمد الشرقي إلى جانب أحمد بن موسى السملالي، وابن حسين أمغار، وأبو عمرو القسطلي ومحمد بن ابراهيم التمتارتي وأبو القاسم بن علي الشطيبي[5].

ـ ما احتفظت به الذاكرة الشعبية من قداسة لشخصيته محمد الشرقي فوصفته بـ «قنديل تادلة» و«سلطان الصالحين» وهو ما نجد صداه في كتابات

4 – الزاوية الشرقاوية ج 1، ص 170 وما بعدها تحت عنوان : علاقة الزاوية الشرقاوية بالزاوية الفاسية.
5 – الافراني : النزهة، 47.

الزاوية التي تدافع وتؤكد على قطبانية الشيخ المؤسس... وهو ما وجد امتدادا له في العصور اللاحقة من خلال الكلمة المأثورة «بعد أحمد لا سلطان وبعد محمد لافقر» والاشارة هنا لأحمد المنصور الذهبي ولعصره ولمحمد الشرقي ولمكانته التي تجاوز صداها تادلة إلى الشاوية ودكالة وبلاد الغرب.

ج ــ امتحان الزاوية من طرف زاوية أخرى :

ترتب عن ضعف السلطة السعدية بعد وفاة أحمد المنصور؛ ظهور زعامات سياسية جهوية ومحلية... إلا أن الجديد في الأمر، يتمثل في تحول العديد من شيوخ الزوايا من العمل الديني الصرف أو الدنيوي المحدود إلى ممارسات سياسية في أتم صورها... وهو تحول نوعي له أهميته ودلالته في تاريخ المغرب الاجتماعي والديني؛ ذلك أن شخصية رجل الدين أصبحت إطارا ملائما ومناسبا لتوحيد كيانات قبلية لاترقى إلى مستوى العصبيات الكبرى.

من أهم هاته الامارات الصوفية نذكر الزاوية ــ الامارة الدلائية التي نزعت إلى الحكم والرياسة زمن محمد الحاج الدلائي متخذة من تادلة قاعدة جغرافية وبشرية لانطلاق مشروعها السياسي. إلا أن منطقة تادلة تترجم العديد من التناقضات القبلية ذات الجذور الاقتصادية، والتي تم التعبير عنها من خلال مواقف التعارض والتنافس بين الاسر الصوفية بالمنطقة، كما هو الشأن بين الزاوية الشرقاوية وزاوية الصومعة، ثم بينها وبين الزاوية الدلائية في مرحلة لاحقة.

كان من نتائج هذا الوضع الجديد؛ خفوت لذكر الزاوية الشرقاوية لصالح الزاوية الدلائية؛ مما دفع بالعديد من ابنائها وتلامذتها إلى الهجرة نحو مناطق خارج نفوذ الامارة الدلائية في اتجاه الشمال (الغرب) والجنوب (مراكش).

د ــ الزاوية الشرقاوية كزاوية مخزنية في عهد مولاي اسماعيل :

ارتبط تأسيس وتدعيم حكم أسرة الأشراف العلويين، بعودة الزاوية إلى سابق أدوارها، بل وترسيخ مختلف انشطتها الدينية والثقافية والاجتماعية في صورة أشبه بواقع الزاوية في عهد أشهر ملوك الاسرة السعدية... إنما هذه المرة في غياب لمنافسة من حجم منافسة الزاوية الدلائية. وبذلك أصبحت الزاوية الشرقاوية في هذا الظرف من أهم المراكز الدينية والعلمية، مستفيدة من هذا الوضع لتعزيز مكانتها بالنسبة للمخزن والقبائل..؛ مثلها في ذلك مثل الزاوية الناصرية التي كانت ترتبط بالزاوية الشرقاوية في شخص شيخها الفقيه والاديب الصوفي محمد الصالح الشرقاوي بروابط الأخوة الصوفية والقناعات السياسية المتشابهة؛ مما دفع بالزاوية الشرقاوية إلى الانضواء والانخراط في مسلك الطريقة الناصرية كتعبير عن الرؤيا الوحدوية التي تبنتها الزوايا المغربية في عهد السلطان مولاي اسماعيل العلوي[6].

ثانيا : الشروط الجديدة لقوة نفوذ الزاوية :

حاولنا توضيح بعض مقومات وأسس زاوية من زوايا المغرب كمؤسسة تتحدد أهميتها من خلال مجموعة من الشروط :

ــ زمن التأسيس وخط الصيرورة والاستمرارية.

ــ أهميتها من خلال ما تنتجه من ثقافة يمكن نعتها بالرسمية أو الشرعية أو الوحدوية.

ــ من خلال ما ينتجه المجتمع من تقاليد وأعراف دينية اتجاه الزاوية

---

6 - حول علاقات الزاوية الشرقاوية بالزاوية الناصرية انظر :
ــ الزاوية الشرقاوية، ج 1، ص : 166 وما بعدها.

وشيخها وابنائها، كرمز يستقطب كلية أو جزئيا اهتمامات «الرعية» الدينية.

ـ من خلال ما تثبته الزاوية من نجاعة بالنسبة للسلطة القائمة والمجتمع؛ على اعتبار أن الزاوية يجب أن تكون بالضرورة عنصر ربط بين الحكام والمحكومين أي مناصرة للشرع والمشروعية وليس العكس.

ـ بيد أن جانبا آخر لهذه الصورة، والذي يمثل المحك بالنسبة لسلوك زاوية ما... يتمثل في مواقف الزاوية في حالة انحصار السلطة المركزية وضعفها.

أ ـ مساهمات الزاوية الاجتماعية :

يمكن التمييز داخل الكتابات التي أرخت للزاوية من خلال الترجمة لأشياخها، بين مضمونين أو موقفين مرتبطين بشروط متباينة :

الأول : يتعلق بممارسات شيخ الزاوية في ظل حكم مركزي قوي كما هو الشأن في عهد السلطان مولاي اسماعيل والشيخ الشرقاوي محمد الصالح...
إذ أن ادوار هذا الأخير ومهامه الاجتماعية تتمحور حول :

ـ التخفيف عن الرعية مما يعتبر جورا واستبدادا من طرف موظفي المخزن على المستوى الجهوي. (العمال، الجباة ...).

ـ امتصاص الغضب «الشعبي» أو امتعاض بعض الخاصة من سياسة القسوة والاغتصاب (في مجال الثروة)... من خلال تأكيد حلول وعيد وعقاب سريع يتكفل الشيخ بابلاغ نداءات الاستغاثة بسبب قربه من السماء أو السلطان الحاكم كما يكون الضامن لحلولها إن عاجلا أو آجلا.

ـ تبرير بعض سلوك المخزن من خلال تبرير منطقي ملموس لضرورات هذا النهج... على اعتبار أن ما تفسده الرعية إذا سابت وفي ظرف وجيز لايمكن مقارنته بتعسفات سلطوية مهما بلغت أو طالت... لأن المقارنة بينهما تعني المقارنة بين ما هو مشروع وما هو غير مشروع، بين ما هو مؤطر ومنظم ومقنن

وما هو غير ذلك. وهو المنطق الذي جعل من العالم أو الصوفي أحد أركان وشروط البيعة باعتبارهم من القنوات الأساسية التي يجب أن تمر عبرها مختلف مظاهر الاحتجاج... وبواسطتها يجب اقناع الرعية، لما فيه صلاحهم الديني والدنيوي.

الثاني : يتعلق بممارسات شيخ الزاوية في فترة تقلص الحكم المركزي أو تدهوره... كما هو الشأن بالنسبة للفترة المضطربة والحرجة التي اعقبت وفاة السلطان مولاي اسماعيل، والتي استمرت زهاء ثلاثين سنة (1727-1757)/1140-1171 هـ.

خلال هذا الظرف تبرز كثافة أدوار الزاوية واتساع تدخلاتها ومهامها؛ بحيث يصعب التمييز داخل تلك الممارسات بين ما هو ديني ودنيوي، بين ما هو اجتماعي وسياسي، بينما ما هو من اختصاص الزاوية وبين ما هو من اختصاص المخزن. ويظهر ذلك من خلال المهام والتدخلات التي قام بها الشيخ محمد المعطي المعاصر لهذه الحقبة الحرجة، (ذلك أنه تولى شؤون الزاوية عام 1139 هـ/1727 م وتوفي عام 1180 هـ/1766 م، ويتمثل ذلك فيما يلي :

ـ الصلح والمهادنة بين القبائل المتصارعة على مواطن العيش والاستقرار.
ـ وضع أوفاق للتعايش والتعامل بين القبائل في إطار ما يعرف بـ «طاطا».
ـ الحد من عواقب الانسياح القبلي من الجبل إلى السهل.
ـ تدعيم سلطة بعض العمال الجهويين في إطار خلق نواة مخزنية جهوية تضمن أقل ما يمكن من شروط الأمن والاستقرار.
ـ مساندة بعض المطالبين بالسلطة في اطار الحد من التمزق السياسي؛ ذلك أن هذه الفترة شهدت العديد من الادعياء والمتنافسين... إلا أنهم جميعهم من ابناء البيت الحاكم(7).

7 - فصلنا الحديد في هذه المواضيع في الجزء الثاني من البحث حول الزاوية الشرقاوية.

إن مختلف تدخلات الزاوية على المستوى الفردي أو الجماعي، وفي اطار ظرفية حكم مركزي قوي أو في حالة انحصاره، تشرح لنا مدى فاعلية مؤسسة الزاوية وضرورة حضورها في علاقات المجتمع الأفقية أو العمودية... ذلك أن توسط هؤلاء الصلحاء على المستوى الديني والروحي يجد امتداده واستمراريته من خلال توسطهم داخل تراتبية الهرم الاجتماعي والسياسي. وهو ما تترجمه مظاهر الولاء والاعتراف والتقرب من طرف المخزن والرعية على السواء في شكل «زيارات» أو «فتوحات» أو «انعامات مخزنية» مختلفة تزيد من حجم الزاوية وأهميتها على المستوى الاقتصادي. لكن إلى أي حد يمكن التحكم في هذا التوازن المثالي في علاقات أطراف المعادلة الثلاثة : الرعية، الزاوية، المخزن ؟

ب ـ قوة الزاوية من خلال موقعها داخل النسيج القبلي :

إن المصادر المختصة بتاريخ الزاوية قد أكدت بالفعل على المكانة العلمية والروحية التي أصبحت للزاوية خلال القرن 12 هـ/18 م. كما أنها أكدت على دورها البارز في الحياة الاجتماعية والسياسية... وهو ما ترجمته القوة الاقتصادية للزاوية في نهاية القرن في عهد الشيخ محمد العربي (المتوفى 1234 هـ/1818 م).

فكيف يمكن تفسير هذا التراكم المادي الذي أخذ يطفو على الرأسمال المعنوي ؟ وهل يمكن الفصل بينهما ؟

لقد شرحنا آنفا جوانب هامة وعميقة لممارسات الزاوية الاجتماعية والسياسية... ذلك أن أهم ما تكشفت عنه أزمة منتصف القرن 12 هـ/18 م التي أعقبت وفاة مولاي اسماعيل على المستوى الجهوي (تادلة)، هو احتلال الزاوية لمركز جد معقد داخل البناء القبلي، ومن تم تحول الزاوية من مستوى مؤسسة شبه محايدة أو فوقية... إلى عنصر رئيسي داخل الخريطة القبلية من خلال

دورها الحاسم في هيكلة وتصميم هذه الخريطة على المستوى البشري والاقتصادي، في وضعية كهاته... كيف يمكن الفصل بين الزاوية وبين اطارها القبلي من خلال مشروع السلطة المركزية الطموحة إلى استعادة المبادرة في منطقة جد حساسة مثل منطقة تادلة، ذلك أن تعطيل دور القصبات الاسماعيلية في مواجهة قبائل الجبال، لايعني غظ الطرف عما يحدث وراءها في اتجاه السهل...

كيف يمكن الاقدام على حل ما... في اتجاه تدعيم السلطة الشرعية، دون المس بما يعتبر من «مكتسبات» الزاوية ؟

ثالثا : الاصطدام بين الزاوية والمخزن كوسيلة لحل التناقض

إن تبلور موقف المخزن المركزي من الزاوية الشرقاوية في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، لايمكن فصله عن طموحات السياسة المخزنية التي تسعى إلى تدعيم تواجدها من خلال الحد من نفوذ وسلطة القوى المحلية والجهوية كانت مخزنية أو قبلية أو دينية...

لقد شهدت فترات الضعف السياسي حدوث تقارب إلى درجة التحالف بين القائد أو العامل وبين الزاوية... لكن هل من مصلحة المخزن المركزي في ظروف مغايرة أن يبقى على هذا التحالف المصلحي والهش في نفس الوقت ؟ ذلك أن سلطة شيخ الزاوية تلتقي وتتعارض مع سلطة المخزن جهويا ومركزيا؛ من حيث أنهما يستمدان معا قوتهما المادية والاقتصادية من قاعدة مشتركة هي القاعدة البشرية التي تكونها القبائل المتواجدة تحت نفوذهما.

أ ـــ واقع الزاوية ازاء السياسة المخزنية الجديدة :

تدرج الموقف المخزني عبر مستويات :

ــ عندما تولى السلطان سيدي محمد عام 1171 هـ (1757 م)، كان على رأس الزاوية الشيخ والعالم سيدي محمد المعطي مؤلف «الذخيرة»... وقد كان السلطان بقدر ما يقر لهذا الشيخ بالعلم والتقوى والصدارة بقدر ما كان في حاجة لنفوذه وسمعته لبناء أسس دولته وتدعيم سلطته وطنيا وجهويا. «ما كان آباؤك إلا رحمة لتلك البلاد، لاينقمون على الحكام بمجرد الخلاف والعناد، حسبهم الوقوف عندما حد لهم، وأرجو أن يزكي الله بذلك عملهم...»[8].

إلا أنه منذ وفاة الشيخ محمد المعطي عام 1180 هـ (1766 م) وتولي ابنه محمد العربي، وهو لايزال شابا في مقتبل العمر... ظهرت فرصة الاهتمام الجدي بالمنطقة من خلال تدعيم مركز النفوذ المخزني بواسطة القواد والعمال.

ــ استغل السلطان سيدي محمد الامكانيات المادية المتوفرة من سياسته المتفتحة على الخارج لاعاد ضبط ما يمكن ضبطه داخل الخريطة السياسية والبشرية؛ والتي تمثل فيها قبائل الجبل المطلة على الدير المتغير الرئيسي... سيما إذا كانت هذه المناطق لها تأثير مباشر على خطوط المواصلات الداخلية الهامة، التي تربط بالضرورة بين عواصم المملكة (مراكش، فاس) من جهة وبين منافذ التجارة الخارجية من جهة اخرى. من هنا نفهم تركيز السلطان على المنطقة التادلية من خلال عمليات عسكرية متوالية منها تحركه عام 1183 هـ (1769 م) ضد قبائل الدير، وعام 1186 هـ (1772 م) ضد قبائل آيت أومالو الجبلية.

ــ إن خصوصيات هذه المناطق على المستوى البشري والاقتصادي هو

---

8 - من رسالة بعث بها السلطان مولاي سليمان العلوي إلى الشيخ محمد العربي الشرقاوي... وهي تذكر من خلال هذا المقتطف بنوعية العلاقات الودية والمثالية المرغوب فيها من طرف المخزن والتي جمعت بين والد الشيخ؛ محمد المعطي والسلطان محمد بن عبد الله، وبين الشيخ الجد محمد الصالح والسلطان مولاي اسماعيل، وهو ما أشرنا إليه سالفا.
ــ الكناشة رقم 1264 ك بالخزانة العامة بالرباط من الصفحة 361 إلى الصفحة 365، وقد قمنا بادراجها والتعليق عليها بالجزء الثاني من كتاب الزاوية الشرقاوية.

الذي جعل التركيز عليها أمر حيويا، من خلال دور القصبات العسكرية أو تموضع قبائل الكيش وترحيل القبائل المتنطعة... بيد أن دور «القصبات الروحية» التي تمثلها الزوايا يكون أبعد أثرا وأكثر جدوى، وقلما يتأثر بمستجدات وطوارىء الخريطة السياسية... من هنا نفهم الحفاظ على هاته المؤسسات الاجتماعية حتى في حالة أقصى توسع السلطة المخزنية بالرغم من أن هاته المراكز الدينية تتضمن من خلال مقوماتها الايديولوجية والعملية؛ كثيرا من العناصر المكونة لسلطة ومشروعية الحكم داخل النسق السياسي الشرفاوي.

إن الابقاء على هاته المؤسسات، لايعني الاقرار الكلي لها بمجموعة من الممارسات التي اتخذت حجما يتجاوز الاطار الذي كان لها؛ وهذا على الأقل ما يوضحه القرار الجديد والفريد والمتمثل في تعيين مسؤول مخزني ـــ لأول مرة ـــ للاشراف على شؤون المدينة ـــ الزاوية، بلد الشيخ أو من ينوب عنه من أفراد أسرته... بل ان الأمر لم يقف عند هذا الحد، إذ نجد الموظف المذكور «انشغل بنهب أموال أهل الزاوية، وبهتك حرمة الله، وبإذاية أولاد الشيخ سيدي محمد الشرقي...»(9).

ـــ وبانقشاع أزمة الجفاف والقحط التي استمرت لسبع سنوات من 1190 هـ (1776 م) إلى 1196 هـ (1781 م)، شرع السلطان سيدي محمد بن عبد الله في «تمهيد البلاد ثانية» مستهدفا من وراء ذلك ضبط أوضاع المناطق القبلية، ومن بينها منطقة تادلة، فبدأ في ترحيل عدة قبائل تعتبر صلة وصل بين قبائل الزاوية المحيطة والقريبة وبين قبائل الجبل والدير وهي كَطيوة، سمكت، مجاط؛ وفي مرحلة ثانية كان الايقاع بقبائل «بني زمور» المجاورة للزاوية؛ إلا أن هذا الاجراء الزجري تجاوز القبائل إلى الزاوية نفسها على اعتبار أنها اصبحت ملاذا

9 – المكي بن المعطي الشرقاوي : اختصار اليتيمة، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ج 509 دون ترقيم.

وملجأ للعديد من العصاة والخارجين عن «طاعة المخزن» والممتنعين عن القيام بفروض هذه الطاعة (الضرائب).

ــ حادث الايقاع بالزاوية : إن حادث الهجوم على الزاوية ــ حسب رواية تاريخ الضعيف ــ وقع بتاريخ يوم الأحد 12 ربيع الثاني عام 1200 هـ (1785 م) وترتب عنه دخول المدينة ــ الزاوية واستباحتها من طرف الجنود، وترحيل شيخها وعدد من أفراد أسرته إلى مراكش.

وإذا كان المجال هنا لايسمح بالتوسع في حيثيات وممهدات الحادث وظروفه وما ترتب عنه[10]... فإن هذا لايمنع من ابداء بعض الملاحظات والتساؤلات...

هل يمكن ارجاع اقدام السلطان على هذا الاجراء، من باب ركوب أخف الضررين بسبب ما أصبحت تمثله الزاوية من خلال موقعها داخل النسيج القبلي المتعامل معها، من خطورة على نفوذ المخزن، قد يترتب عنها توسيع دائرة الخروج عن الطاعة وما يرتبط بها من فروض ؟

أم أن هذا الاجراء جاء في خضم صراع مفتوح بين السلطة المخزنية الجهوية وبين واقع السلطة الفعلية التي أصبحت تمثلها وتجسدها الزاوية في منطقة بإمكان قوة المخزن أن تصلها بسهولة عكس مناطق أخرى ؟

إن خروج شيخ الزاوية من أبي الجعد لم يكن يعني القطيعة النهائية بين السلطان والشيخ أو بين هذا الأخير وزاويته وأتباعه... بقدر ما كان خروجا مؤقتا حتى يعاد تنظيم المجال التادلي وفقد تصور جديد ينسجم مع تصورات ومتطلبات المخزن.

وبوفاة سيدي محمد بن عبد الله بعد الحادث بحوالي ثلاث سنوات

10- يمكن الرجوع إلى الجزء الثاني المتعلق بدراسة الجانب الاجتماعي والسياسي.

(1204ـ1790) سيوضع الطموح المخزني أمام امتحان جديد؛ ذلك أن دخول البلاد في أزمة سياسية جديدة مرتبطة بالصراع حول ولاية العهد بين أبناء السلطان ستدفع بالزاوية وشيخها من جديد إلى واجهة الاحداث..؛ سيما عندما يتحول التنافس إلى صراع بين «ملك مراكش» و«ملك فاس» عندها تصبح تادلا وزاويتها نقطة وصل وفصل لها أهميتها وخطورتها في ترجيح كفة أحد المتنافسين.(*)

مراكش　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　أحمد بوكاري

---

* - شاركت بهذا العرض ضمن الملتقى الثقافي الذي نضمته كلية الاداب والعلوم الانسانية بالجديدة حول موضوع « المغرب في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله» أيام 8،9،10 مارس 1988.

رسائل نادرة وتراجم أندلسية

لمؤلف من العصر الموحدي

عرض وتقديم: إدريس العلوي البلغيثي

مدخل

تعترض طريق الباحث التراثى صعوبات جمة في التعامل مع المخطوطات الفرائد، التي تنعدم نظائرها للمعارضة والمقابلة، فيتردد في تحقيقها ونشرها، خشية الوقوع في هنات من شأنها أن تنال من قيمتها العلمية والتراثية، وخصوصا إذا كانت مجهولة المؤلفين والناسخين، عارية من التواريخ، تعتريها بتور وخروم، مكتوبة بخط ردىء مستعصى القراءة.

ولن تمنع هذه الصعوبات ــ برغم تعددها وتعقدها ــ الباحثين من التعامل مع هذه المخطوطات والعناية بها، ولاسيما المهددة منها بال[illegible] والانقراض.

والحق إن إنقاد هذه المخطوطات من الضياع والاندثار واجب وطنى وقومي، يقع العبء الأكبر منه على عاتق الباحثين التراثين؛ فهم الذين يستطيعون

بصبرهم وأناتهم الاضطلاع بمهمة ترميمها وإصلاحها لتصبح صالحة للاستعمال.

وقد يبلغ حرص بعض الأمم على إحياء تراثها التليد إلى درجة الاهتمام بالورقة اليتيمة، فتعمد إلى نشرها ودراستها حفاظا عليها من كل ضياع، وإسهاما بها فى إنارة طريق البحث التراثى، وتنمية دراساته.

وتوجد ببلادنا مخطوطات ووثائق فرائد عديدة، قابعة في رفوف خزاناتنا العامة والخاصة، تنتظر من يزيح عنها غبار السنون المتراكم، ويكشف عن مكنوناتها وخباياها.

وقد قيض الله تعالى لي منذ سنوات خلت الاطلاع على مخطوط نفيس في ملك المؤرخ الكبير البحاثة سيدي محمد المنونى ــ حفظه الله ــ تفضل وكعادته بإعارته إلى قصد استغلاله في دراساتى الأدبية العليا.

ولأهمية المخطوط التراثية والأدبية ارتأيت من الفائدة أن أعرضه في هذه الخطوط العامة، آملا أن يتاح لى متسع من الوقت لدراسة محتوياته القيمة.

وصف الكتاب :

والكتاب من حجم متوسط، مبتور الطرفين، خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ، مكتوب بخط مغربي جيد، دقيق، ملون بالأسود والأحمر، يقع في ستين ومائة صفحة. مقياسه : 15/21، ومسطرته : 24. سالم من الخروم في وسطه، لم تعبث الأرضة إلا بجوانبه؛ وهو ما يكشف لنا عن تطور أساليب الكتابة باستعمال المواد الكيماوية الواقية من آفة هذه الحشرة الوبيلة فى الحبر الذى كتب به الناسخ.

وبذلك يكون هذا الكتاب قد نجا من التشويه والتلاشي، باستثناء البتر الذى أصاب أوله وآخره.

ويبتدى من صفحة : 202، وينتهى عند صفحة 362، وبهذا يكون قد بتر من أوله اثنان ومائتا صفحة، ويعلم الله عدد الصفحات المبتورة من آخره.

ويستنتج من هذا التقدير أن حجم الكتاب ضخم، تربو صفحاته على الستين وثلاثمائة.

دوافع تأليف الكتاب :

إن عاهة البتر التى أصابت الكتاب، جعلته من المقدمة التى غالبا ما يذكر فيها المؤلف الدوافع التي حفزته لتأليف الكتاب، ولاتوجد في ثناياه أية إشارة إلى هذه الدوافع.

وبعملية الاستقراء يمكن ترجيح الدافع الفنى للمؤلف؛ فالكتاب لايخرج عن عرض نمادج نثرية فى فنى الترسيل والترجمة لمشاهير الكتاب المشارقة والمغاربة ممن نالوا قصب السبق في ميدان الكتابة.

وعلى هذا الأساس يكون المعيار الذي راعاه المؤلف في انتقاء نماذج الكتاب فنياً. غير مكترث بالحدود الزمانية أو المكانية التى تفصل بين أبناء الأمة العربية الاسلامية؛ فالأديب الرفيع المجيد للنثر الفنى موجود في الشرق والغرب، مادامت اللغة التى يبدع بها واحدة، هى العربية الفصيحة مصدر هذا الابداع.

منهجية الكتاب :

يخلو المجموع من ذكر الكتاب للخطة التى سلكها فى عملية التأليف. ولا نعلم إن كان ذلك مذكورا في القسم المبتور. وقد يستعصى على الباحث، في البداية، تكوين رؤية واضحة المعالم عن موضوع الكتاب، وخطوطه العامة.

وبتحليلنا للكتاب نستنتج أنه مجموع رسائل ديوانية وإخوانية لكتاب مشارقة ومغاربة، تتخللها تراجم فنية لكبار أعلام الأدب والكتابة فى عصري المرابطين والموحدين بالغرب الاسلامى.

فالكتاب يبتدىء بذكر المكتوب إليه. وهو الأمير مؤيد الدولة : «مؤيد الدولة ــ أطال الله بقاءه ــ سلكت فيه سبيل اللائذ بمولاه. والخديم المحتاج إلى نداه»[1].

وينتهى بثلاثة أسطر لنمودج من رسالة ديوانية : «فما لبث مجلكم أن بث هذه البشرى في كافة الجهات والنواحى، وأنفذ إليها نسخ الكتاب الكريم خفاقة القوادم والخوافى، حتى اشترك في السرور بها الدانى والقاصى، وتبسمت ثغور الثغور، ودعت النصرانية بالويل والثبور»[2]إنه لايخضع للتبويب، ولاتنتظم فيه الموضوعات التى تتضمنها النماذج النثرية التى انتقاها المؤلف، والمتعلقة بفن الرسائل، بل تبرز هذه الموضوعات إلا في عشرة نماذج، وهى : «ومن إنشاء الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق جوابا بشكر»[3]»، و «و من إنشاء عمر ابن على بن محمد المطوعى يصف أبا الفضل الميكالى»[4]،و«و من إنشاء أبي عبد الرحمان بن طاهر مراجعا ذا المجد بن ذى النون»[5] و«و من إنشاء أبي محمد بن قاسم مراجعا ابن عياض»[6] و«و من إنشاء أبي عمر الباجى عن ابن هود إلى ابن ذى النون

1 ص : 209
2 - ص : 362
3 - ص : 203
4 - ص : 209
5 ص : 280
6 ص : 283

يشكره[7]»، و «و من إنشاء الكاتب أبي محمد ابن عبدون إلى الفتح بن عبيد الله مراجعا[8].

و«ومن إنشاء قاضى الجماعة إلى أبي عبد الله بن حمدين فصل راجع بن ابن الشماخ[9] و«و من إنشاء كشاحم مؤلف كنز الكتاب للشكر»[10] و«له في الطلب[11]»، و«من إنشاء الفقيه الأديب المحتوى من الآداب على كل عجيب أبي القاسم ابن بدرون مجيبا للفقيه الأديب أبي الحسن أدانس المذكور[12]».

ففى هذه العناوين تتجلى بوضوع الموضوعات التى تناولتها هذه الاخوانيات العشر، وهي : الوصف والشكر والطلب والمراجعة.

وقد نجم عن المنهج المتبع فى هذا المجموع، اضطراب في الترتيب وخلط بين الرسائل والتراجم.

ولعل اختيار الكاتب للمعيار الفنى في جميع النصوص وعرضها هو الذى أوقعه فى هذا الخلل. برغم اتباعه الخط التاريخي.

والحق إن عملية تنظيم الكتاب بالصورة التى نبتغى صعبة، تحتاج إلى صبر وأناة، لكثرة النصوص التى جمع بين دفتيه، وتداخلها فيما بينها، وتعدد كتابها، والمترجم لهم، وهذا طبعاً في غياب النصوص الأخرى التى يحتوى عليهما القسمان المبتوران من الكتاب.

---

7 - ص : 283
8 - ص : 289
9 - ص : 292
10 - ص : 295
11 - ص : 297
12 - ص : 301

محتوياته :

يحتوى الكتاب علي واحد وثلاثين علماً فى فن الترسيل من الشرق والغرب الاسلاميين، ينتمون إلى العصور الأدبية الزاهرة : العباسى، والمرابطى، والموحدى. إثنان منهم مجهولان. وهما : الأول والأخير، أما الآخرون فمذكرون حسب الترتيب التالي :

الحسن بن وهب، وأبو الحسن أحمد به سعيد الأصبهانى، وأبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني، وأبو الفضل الميكالى، وعمر بن على بن محمد المطوعى، وأبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعري، وأبو الحسين بن القدم، وأبو الحسن بن بسام، وأبو نصر الفتح بن عبيد الله القيسى الاشبيلى، وأبو عمرو عثمان بن على بن عثمان بن الامام الاستجى، وأبو عبد الرحمان بن طاهر، وأبو محمد ابن القاسم، وأبو حفص بن برد الأصغر، وأبو مروان بن حيان، وأبو الوليد محمد بن عبد العزيز بن المعلم، وأبو عمر الباجى، وأبو عمر أحمد بن محمد بن حجاج، وابن عياض، وأبو محمد بن سفيان، وأبو محمد بن عبدون، وأبو محمد بن سماك، وأبو محمد البطليوسى، وأبو عبد الله بن حمدين، وأبو الفضل بن شرف، وأبو العباس بن رشيق، وكشاجم، وأبو القاسم بن بدرون، وأبو القاسم بن عذرة، وأبو الحسن ابن وضاح.

ويضم المجموع في دفتيه عشرين ومائتى نموذج نثريى : إثنان وثمانون في فن الترسيل، وثمانية وثلاثون ومائة في فن التراجم وهى موزعة على الشكل التالي :

نموذجان في الترسيل للكاتب الأول المجهول كتبهما إلى مؤيد الدولة[13]، ونموذجان للكاتب الحسن بن وهب؛ أولهما كتبه إلى مالك ابن طوق[14]، وأربعة

13 - ص : 202 — 203
14 - ص : 203 — 204

نماذج لأبى الحسين أحمد بن سعيد الأصبهانى[15]، ونموذج لأبى الفضل أحمد بن الحسين الهمذانى بديع الزمان، كتبه إلى أبى جعفر أحمد بن على الميكالى الأمير[16]، و خمسة نماذج لأبى الفضل الميكالى[17]، ونموذج لعمر بن على بن محمد المطوعى يصف فيه أبا الفضل الميكالى[18]، و ثلاثة نماذج لأبى العلاء المعرى؛ ثانيهما كتبه إلى أبى القاسم بن المغربى، وثالثهما رسالته المعروفة برسالة المنيح[19]، و نموذج لأبى الحسين بن القدم[20]، و ثلاثة نماذج نثرية لابن بسام، الأول فى وصف الأدب[21]، والثانى فى وصف حضرة قرطبة[22]، والثالث فى وصف حضرة إشبيلية[23]، وله أيضاً ثمانية وعشرون نموذجاً فى فن الترجمة لأعلام الأدب والكتابة، وهم :[24] الكاتب أبو جعفر بن بُرد الأكبر، والكاتب أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم، والأديب أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد، وذو الوزارتين الكاتب أبو الوليد ابن زيدون، والأديب أبو عبد الله محمد بن سليمان بن الحناط المكفوف، والأديب أبو بكر بن عبادة بن ماء السماء، والأديب أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطُّبْنِى، والكاتب أبو حفص بن برد الأصغر، والكاتب أبو جعفر بن الثماى، والقاضى أبو الوليد الباجى، والوزير أبو عامر محمد بن عبد الله بن مسلمة، والأديب أبو الوليد اسماعيل ابن محمد الملقب بحبيب، والأديب أبو الحسن على بن حطو الاشبيلى، والوزير أبو العلاء بن زهر والوزير

---

15 - ص : 204 — 205
16 - ص : 206 — 207
17 - ص : 207 — 209
18 - ص : 209 — 210
19 - ص : 210 — 227
20 - ص : 227 — 232
21 ص : 232
22 - ص : 232 — 233
23 - ص : 235

أبو عمر أحمد ابن محمد بن حجاج، والأديب أبو عبيد البكرى، وذو الوزارتين الكاتب أبو بكر بن القصيرة، والكاتب أبو القاسم محمد بن عبد الله بن الجد. وذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار، والكاتب أبو بكر ابن الملح، والأديب أبو محمد عبد الجليل ابن وهبون المرسى، والوزير أبو بكر الخولانى المنجم، والأديب أبو الحسن البكرى، والوزير أبو الحكم عمرو بن مدحج بن حزم، والكاتب أبو عبد الله محمد بن أيمن، وأبو محمد بن عبد الحميد بن ميمون، والكاتب أبو بكر بن عبد العزيز بن سعيد البطليوسي، والاديب أبو محمد بن صارة الشنتريني.

وخمسون نموذجاً في فن الترجمة للكاتب أبى نصر الفتح، وهى للأعلام الآتية أسماؤهم :[25] المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن عباد، وابنه الراضى بالله أبو خالد يزيد بن محمد، والمتوكل على الله أبو محمد عمر بن المظفر. والمعتصم بالله أبو يحيى معن بن محمد بن صمادح، والحاجب ذو الرياستين أبو مروان عبد الملك بن وزير، والرئيس أبو عبد الرحمان بن محمد بن طاهر، وذو الوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون، وذو الوزارتين أبو بكر بن عمار، وذو الوزاراتين القائد أبو عيسى بن لبون، والكاتب أبو عمر الباجى، وأبو بكر بن القصيرة، والكاتب أبو القاسم بن الجد، وذو الوزارتين المشرف أبو بكر محمد بن أحمد بن رحيم، والكاتب أبو محمد بن القاسم، وذو الوزارتين أبو محمد بن سفيان، وذو الوزارتين أبو الحسن بن الحاج، والكاتب أبو محمد ابن عبدون، والوزراء بنو القبطرنة، والكاتب أبو محمد ابن الجبير، والكاتب أبو بكر بن عبد العزيز، والكاتب أبو القاسم بن السقاط، والكاتب أبو محمد بن عبد البرّ، والكاتب أبو الفضل بن حسْداى، والوزير أبو عامر بن يَنّق، والوزير أبو بكر بن قزمان،

---

24 - ص : 233 ــ 342
25 - ص : 242 ــ 259

وأبو بكر بن الملح، والقاضى أبو الوليد سليمان بن خلف الباجى، وأبو مروان بن سراج، وقاضى الجماعة أبو عبد الله بن حمدين، وذو الوزارتين أبو عبيد البكرى، والفقيه أبو الحسين بن سراج، والمشرف أبو محمد ابن مالك، وذو الوزارتين قاضي القضاة أبو أمية بن عصام، وأبو محمد بن سماك، والقاضى أبو الحسن ابن أضحي، والقاضى أبو محمد بن عطية، وأبو عبد الله ابن اللوشى، والفقيه أبو الفضل بن عياض، والقاضى أبو الحسن بن بيَّاع، والأديب أبو إسحاق ابن خفاجة، وابن وهبون المرسي، وأبو بكر بن اللّبانة، والأديب الحكيم أبو الفضل بن شرف، وأبو محمد بن صارة، وأبو العباس الأعمى التطيلى، وأبو جعفر ابن البنّى، وأبو العلاء بن صهيب، والكاتب أبو الحسن علام البكرى، وأبو عامر بن المرابط، والأديب أبو محمد باقى بن أحمد. وثلاثة نماذج فى الترسيل للأديب أبى عمرو عثمان بن على ابن عثمان بن الامام الاستجى[26]، و ثمانية وخمسون نموذجاً فى الترجمة للأعلام أيضاً وهم[27] : أبو بكر بن الملح، وأبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان الجارود، وأبو الحجاج بن عيسى الأعلم، والاستاذ أبو بكر بن القوطية، وأبو بكر بن القبطرنة، والوزير أبو الحسن ابن أيمن البطليوسى، وأبو بحر سفيان بن عبد الصمد، وأبو بكر ابن اللبانة الدانى، وأبو الفضل بن شرف، وأبو بكر بن عبد العزيز وأبو عبد الله بن أبي الخصال الغافقى، والكاتب أبو مروان بن أبي الخصال، وأبو محمد بن الحاج اللورقى، وأبو جعفر بن أرزاق، والكاتب أبو عامر بن أرقم، والكاتب أبو الحسن بن الامام، وأبو بكر ابن مسعود الجيانى المعروف بأبي ركب، والكاتب أبو عبد الله بن عائشة البلنسى، وأبو الطاهر يوسف بن محمد الأشتركى، والقاضى أبو الفضل جعفر ابن محمد ابن يوسف الأعلم، والقاضى الامام أبو بكر بن محمد بن عبد الله ابن العربي، والفقيه المحدث

26 - ص : 279 ــ 280
27 - ص : 259 ــ 280

أبو عبد الله جعفر بن مكى، والفيلسوف الطبيب أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة، والكاتب أبو القاسم محمد بن عبد الغفور، وأبو عامر ين ينّق، والقاضى أبو الحسن الأبرى، والكاتب أبو الحسن القرشي العامرى، والكاتب أبو عبد الله المجريطى، والكاتب أبو عامر بن دريد، والكاتب الطبيب أبو بكر بن الجراوى، والكاتب أبو جعفر بن البنى، وأبو عامر محمد بن أبي الفضل بن شرف، والأستاذ أبو بكر بن الصيرفى، والكاتب أبو الحسن جود بن جودى، وأبو جعفر بن وضاح، وأبو عامر بن الحمارة، والأديب أبو الحسن بن الحاج المشهور بابن الزقاق البَلنسى، وأبو الوليد يونس ابن محمد المرسى، وأبو العباس أحمد بن على بن نامى الابدى، والأديب أبو بكر المكى، والأديب أبو القاسم الحضرمى المنتجى، وأبو بكر بن الورد، والأديب أبو الحسن بن سلام، وأبو القاسم بن أبي بكر الملح. وأبو الوليد بن سيد أمير، وأبو بكر المنخل الشلبى، والكاتب أبو الحسين ابن فنولة الحلف، والأديب أبو بكر بن افتتاح، وأبو عامر أحمد بن عبد الله الجد، والأستاذ أبو العباس بن سيد، وأبو الحسن بن المنذر الأشبوقى، والاستاذ أحمد بن محمد المعروف بالسبتى، والأديب المنجم أبو خالد يزيد بن محمد الطحان الأستجى، والكاتب أبو بكر محمد بن يحى المعروف بابن القابلة، والأديب أبو الوليد عبد الملك بن أبي حبيب، والأديب أبو القاسم بن عبد القادر الشنتمرى، والكاتب الطبيب أبو الحكم بن علقدة، والأديب أبو بكر بن الرصافى المالقى.

ونموذج في الترسيل لأبى عبد الرحمان بن طاهر مراجعاً فيه ذا المجد بن ذى النون[28]، ونموذجان[29] فى الترجمة أيضاً لأبى بكر بن عبد العزيز، وحاجب نظام الدولة. وثلاثة نماذج فى الترسيل لأبى محمد بن القاسم[30]، يراجع في ثالثها

28 - ص : 280 ـ 281
29 - ص : 281
30 - ص 281 ـ 284

ابن عياض[31]. ونموذج فى فن الترسيل لأبى حفص بن برد الأصغر، مكّون من خمسة فصول[32]. ونموذج فى الترسيل لأبى مروان بن حيان[33]. ونموذج فى الترسيل لأبى الوليد محمد بن عبد العزيز بن المعلم[34]. وثلاثة نماذج فى الترسيل لأبى عمر الباجى[35]؛ أولها كتبه إلى ابن هود بعد خروجه عنه[36]، وثالثها كتبه عن ابن هود إلى ابن ذى النون يشكره بإطلاق ابن غصن من السجن[37]. ونموذج فى الترسيل لكل من أبي عمر أحمد بن محمد بن حجاج[38]، وابن عياض وأبي محمد بن سفيان[40]، و أبي محمد بن عبدون إلى الفتح بن عبيد الله مراجعاً[41]، وأبي محمد بن سماك إلى الفتح بن عبيد الله[42] وأبي محمد البطليوسى[43]، وقاضى الجماعة أبى عبد الله بن حمدين فصل راجع بن ابن شماخ[44] وأبى الفضل بن شرف إلى بعض الوزراء[45]، وأبي العباس بن رشيق[46]. وأربعة نماذج فى الترسيل لكشاجم[47] مؤلف «كنز الكتاب»؛ الأول

31 - ص : 283 ـ 284
32 - ص : 284 ـ 285
33 - ص : 285
34 - ص : 285 ـ 286
35 - ص : 286 ـ 288
36 - ص : 286
37 - ص : 287 ـ 288
38 - ص : 288
39 - ص : 288 ـ 289
40 - ص : 289
41 - ص : 289 ـ 291
42 - ص : 291
43 - ص : 292
44 - ص : 292
45 - ص : 293
46 - ص : 293 ـ 295
47 - ص : 295 ـ 301

في الشكر[48]، والثاني في الطلب[49] ونموذج في الترسيل لكل من الفقيه الأديب المحتوى من الآداب على كل عجيب أبي القاسم بن بدرون مجيباً للفقيه الأديب أبي الحسن بن أدانس[50]، والشيخ الفقيه القاضي أبي القاسم ابن عذرة كتبه من الجزيرة الخضراء إلى الأمير الموحد أبي عمران ابن أبي موسى بتاريخ 9 رمضان المعظم سنة ثنتين وستمائة[51]، والكاتب أبي الحسن بن وضاح كتبه إلى حضرة الامام الخليفة الناصر الموحد عن الطلبة الذين بإشبيلية والكافة من أهلها[52].

وواحد وثلاثون نموذجاً في الترسيل للكاتب الأخير المجهول[53]؛ النموذجان الأولان جاءا تحت هذين العنوانين :«ومن إنشاء شاعر هذا الزمان وكاتبه»[54] و«و له فصل» [55]، كتب الأول إلى الشيخ الفقيه أبي العباس بن جعفر[56]. أما النماذج الباقية وهي تسعة وعشرون فقد عنونت بما يأتي : «وكتب أيضاً»؛ و «كتبت»، و «كتبت أيضاً من أخرى»، و«كتبت من أخرى»، وقد صدرت الرسالة الأولى عن الأمير الموحد إبراهيم إلى حضرة الخلافة، ومطلعها[57]: «الحضرة العلية الامامية المعظمة المكرمة القدسية، المؤيدة المنصورة الزكية. مطلع الأنوار السامية، ومنشأ الخيرات النامية، ومثابة البركة الهامية، أدام الله تأييدها وحرس جلالها.»

---

48 - ص : 295 — 297
49 - ص : 297 — 298
50 - ص : 301 — 303
51 - ص : 303 — 305
52 - ص : 305 — 308
53 - ص : 308 — 362
54 - ص : 308
55 - ص : 310
56 - ص : 308 — 310
57 - ص : 310 — 312

وصدرت الرسالة الثانية[58]، عن الأمير ابراهيم، ومطلعها : «الحضرة الامامية القدسية المؤيدة المنصورة العَلِيَّة، خلد الله أيامها، ونصر أنصارها وأعلى أعلامها، ووصل أعلاءها وإظهارها وإعزازها وإعظَامَها، وأمد بمواد التمكين والفتح المبين مقامها، وأجرى على ما يُقر عيون البَشر، ويقضي بالمسراتِ والبُشَر، أمورها كلها وأحكامها».

وصدرت الرسالة الثالثة[59]، عن الأمير إبراهيم، ومطلعها : «مطلع الأنوار الهَادِية، ومنشأ البركات المتضاعفة المتمادِيَة ومصاب الرحمة الهَامِعَة، ومثابة الخيرات الجَامعة، أدام الله تأييدها وخلد أيامها، ونصر أنصارها وأعلى أعلامها، وقرب بمطاوعة الأقدار، ويمن الايراد والاصدار، مَرَامَها. كما وهب للبلاد اعتناءها الكريم واهتمامها، وكما أسبغ على العباد إحسانها العميم وإنعامها».

وصدرت الرسالة الرابعة[60]، عن المكنى عنه ب« عبدها اللائذ»، وتتضمن الاشارة الكريمة فى حق رعى السلم مع صاحب قشتالة ومطلعها : «أمضى الله حدودها، وأدَامَ تأييدها، وظاهر سُعودها والى سُمُوّها فى ذرى العز والتمكين صعودها، وضاعف بهجتها وسرورها كما ضاعف كرمها وجُودَها، وأجرى لها من قرة العيون، وصدق الآمال والظنون، معتادها ومعهودها».

وصدرت الرسالة الخامسة[61] عن «عبد فضلها». وفيها الاشارة إلى ما تضمنه كتاب الحضرة الامامية من الانعام على عبدها ابن عبدها بالأمر بتقديمه فى بَطَلْيوس وسائر ثغرها الجوفى، ومطلعها :«مطلع الأنوار الهادية، ومنشأ البركات الرائحة الغادية، ومجمع الرحمة الهامعة، ومثابة الخيرات الجامعة خلد الله

---

58 - ص : 312 ـ 315

59 - ص : 315 ـ 318

60 - ص : 319 ـ 320

61 - ص : 320 ـ 322

بقاءها دَائماً وتأييدها، متضاعفة سُعودها، منصورة على عداها، كما شرفها بالسعد المستبين، ولحفها برداء الفضل المبين، ورداها».

وصدرت الرسالة السادسة[62] عن الأمير إبراهيم إلى حضرة الخلافة، وفيها الرضى عن الامام المعصوم، المهدى المعلوم، بعد الحمدلة والتصلية، والدعاء للخليفة الامام أمير المؤمنين أبي يعقوب. والاطناب في حمد الحضرة وشكرها على فضلها العظيم الذى كان يعم أقطار الأندلس، ومنها تقديم عبد الحضرة العلية ابن عبدها على بنى رياح وقرة مناف، وإلزامه سُكنى شريش. ومطلعها :«حضرة الخلافة العلية، والامامة السعيدة السنية، مطلع الأنوار العاكفة، ومنبع البركات الدارة الواكفة، وصل الله تأييدها، وخلد أيامها وضاعق سعودها، وأعلى أعلامها، وشكر إحسانها المترادف المتضاعف وإنعامها، وأبقى بركتها العظيمة الجسيمة وأدامها».

وصدرت الرسالة السابعة[63] عن الأمير إبراهيم، وفيها الرضى عن الامام المعصوم، والمهدى المعلوم، وعن الخلفاء الراشدين، والدعاء للخليفة الامام أمير المؤمنين ابن الخلفاء الراشدين، وتتضمن ذكر ما تضمنه الكتاب الكريم الوارد من الحضرة الامامية. من الأغراض العلية، والاشارات الكريمة الجلية، فى حفظ المهادنة والاعلام بالأنباء وتأمير الرعية، فضلا عن الاعتناء بمصالح العباد والبلاد. ويحمل فى طيه بشائر مقتل الشقى الذى نجم بالقبلة. ومطلعها :«مطلع الأنوار الهادية، ومنشأ البركات الرائحة والغادية، ومثابة البشر المتوالية المتمادية. أدام الله تأييدها وإعزاز نصرها».

62 - ص : 322 ـ 325

63 - ص : 325 ـ 327

وصدرت الرسالة الثامنة[64] عن الأمير إبراهيم إلى الحضرة العلية وفيها الرضى عن الامام المعصوم، المهدى المعلوم، والدعاء للخليفة الامام أمير المؤمنين ابن الخلفاء الراشدين. وتضمنت الاشعار بوصول كتاب الحضرة المعظمة إلى عبد جلالها، وما تضمنه من الوصايا الجامعة لضروب المنافع فى الدارين، والاشارات الموصلة إلى نيل الحسنيين. كما تضمنت التذكير بما تقدم من الاعلام بأحوال الثغور غير مرة، وما مسَّها من الضيق والضعف وغلاء السعر وعدم الطعام. وهذا مطلعها :«الحضرة العلِيَّة المقام، القدسية التمجيد والاعظام، السعيدة الليالى والأيام، المحفوفة بالتأييد الدائم الاستمرار والتسديد المستمر الدَّوَام، الطيبة بذكرها أنفَاس الرياح والخافقة بنصرها عذب الاعلام، والمفتوح لها فى كل مرمى والميسر لها في كل مرام، والميمونة المطالع على أهل الاسلام، والمقضى بها على كل عدو فى كل رواح أو غدو، بالاصطلام».

وصدرت الرسالة التَّاسعة[65]عن الأمير إبراهيم فى إشبيلية، وفيها الترضية عن الامام المعصوم، المهدى المعلوم، والدعاء للخليفة الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ابن الخلفاء الراشدين المرشدين، وتتضمن إعلام الحضرة الامامية بأحوال جهاتهم، الجارية على الصلاح المتصل، والهدنة المستمرة والخير المشتمل، وامتداد ظل الأمان عليها، واشتغال الناس بضم زرعهم، واغتباط الروم بسلمهم ومطلعها :«وبعد حمد الله معلى كلمة التوحيد، الفاتح لها الفتح القريب فى المكان البعيد، ذلك فضل الله يُوتيه من يشاء. والله ذو الفضل العظيم. والصلاة على محمد رسوله بالوعد والوعيد، والمؤدى فى تبيين الشريعة والمعيد، والهَادِى بإذن الله إلى صراط مستقيم».

---

64 - ص : 327 ـ 330

65 - ص : 330 ـ 332

وصدرت الرسالة العاشرة[66] عن الأمير إبراهيم، وتتضمن الاشعار بوصول الكتاب الامامى، وإظهار السرور الذى عم الأمير، وشكر الحضرة الامامية عليه، ومطلعها :«وبعد وصل الله للحضرة الامامية ما عوَّدها من نصر أعلامها، وإعلاء مقامها، وأوزع شكر إحسانها العميم وإنعامها».

وصدرت الرسالة الحادية عشرة[67] عن الأمير إبراهيم، وفيها ذكر وصوله إلى الموضع المكرم مستبشراً بالقرب من رحمة الحضرة الامامية. ومطلعها :«وبعد وصل الله للحضرة الامامية أسباب السعود، ويسَّر لها إنجاز الفتح الموعود».

وكتبت الرسالة الثانية عشر[68] إلى الحضرة الامامية تعلمها بظهور ناكث غادر ومجرم فاجر بالديار الأندلسية، أصاب ضرره العباد والبلاد، وقد أخذه الله بذنوبه أخذاً وبيلاً. ومطلعها : «وإلى هذا وصل الله للحضرة القدسية ما عودها من نصر أعلامها الخوافق، وإمضاء سيُوفها البَوارق، وفتح لها الفتح الموعود فى المغارب والمشارق».

و الرسالة الثالثة عشرة[69] صادرة عن الأمير إبراهيم من إشبيلية إلى الحضرة الامامية فى الموفى عشرين لصفر سنة إحدى عشرة وستمائة. وفيها الرضى عن الامام المعصوم والمهدى المعلوم، وموالاة الدعاء للخليفة أمير المؤمنين ابن الخلفاء الراشدين، والاشارة إلى ما أصاب الناس فى العام من شدة ظاهرة؛ بما كان من غلاء السعر وعدم الطعام، ثم تدارك الله ببركة كفالة الحضرة الامامية، المسلمين فعمهم الرخاء، ومطلعها : «الحضرة الامامية القدسية، المؤيدة المنصورة العَلِيَّة، الطاهرة الزاكيَّة، حضرة سيدنا الخليفة المهدى الامام المبارك الأزكى أمير

66 - ص : 332
67 - ص : 332 ـ 333
68 - ص : 333 ـ 334
69 - ص : 334 ـ 337

المؤمنين ابن الأئمة الهادين، الخلفاء الراشدين، ساداتنا أمراء المؤمنين، رضى الله عنهم أجمعين، وأدام تأييد أمرها، وإعزاز نصرها، ووصل تمكين عزها وإسعاد عصرها. ووَالَى عُلوَّها وظهورها، وضاعف بهجتها وسُرورَها. وأجرى ما يقر العيون. ويصدق الآمال فيها والظنون، أحْوَالها كلها وأمورَها».

والرسالة الرابعة عشرة[70]صادرة عن الأمير إبراهيم من إشبيلية إلى الحضرة الامامية حضرة الخليفة الامام أمير المؤمنين ابن الخلفاء الراشدين. وتتضمن الاعلام بورود الظهير الكريم. وبأحوال هذه الجهة وما يعمها من الخيرات الوافية والهدنة المستمرة، وكثرة الزرع وطيبه وصلاحه، واستيفائه من الغيث فى وقته منتهى أمل الآمل. هذا فضلاً عن الانباء المبشرة بتفريق شمل الكفار، وما جعل الله بينهم من الفتنة المضطرمة النار، ومطلعها : «الحضرة الامامية القدسية المعظمة المكرمة المباركة العليَّة، المؤيدة المنصورة الطاهرة الزكية. مطلع الأنوار والاضواء، وينبوع الخيرات المنسَكبة الأنواء».

والرسالة الخامسة عشرة[71] صادرة عن عبد الحضرة الامامية، وتتضمن الاشعار بوصول الكتاب الامامى الكريم، المتضمن من منافع البلاد، ومصالح العباد ما يسر الجمهور، ويثير السرور، ويصلح الأحوال كلها بفضل الله والأمور. ومطلعها : «فكتب عبد الحضرة الامامية كتب الله لها ما عدَّدها من الظهور. وإفاضة النور. وبركات الحضرة الامامية أيَّدَها الله تعم البلاد بأضوائها، وتروى العباد بصادق بروقها وهامع أنوائها. وتحفظ الجمهور فى ظل لوائها».

والرسالة السادسة عشرة[72] صادرة عن عبد علاء الحضرة الامامية وهو الأمير إبراهيم. وتتضمن الاشعار بورود الكتاب المعظم الكريم من الحضرة الامامية،

70 - ص : 337 ــ 339

71 - ص : 339 ــ 340

72 - ص : 340 ــ 342

والاخبار بما يسود البلاد من الهدنة والسكون، والخير بفضل بركتها، ومطلعها :«وبركات الحضرة الامامية أيدها الله تغدُو كما عرفت في حُلةِ الجَمَالِ وتروح، وتبدو على ماأُلفت من الكمال وتلوح. ولله على ذلك الحمد الذى يتضاعف الخير الممنوح».

والرسالة السابعة عشرة[73] صادرة عن عبد الحضرة الامامية ويتضمن الاشعار بوُرود كتابها الكريم الذى أدخل البهجة والسرور على النفوس، لما يحمله من البشارات العظيمة، والاشارات الكريمة، وعلى ما اقتضاه من الاعتناء الكريم، والانعام العميم، والفضل الدائم المقيم، وتيسير أسباب رحلة الموحدين إلى أوطانهم، ومطلعها :«وإنه ورد على عبد الحضرة الامامية العَلِيَّة أيدها الله كتابها المعظم المكرم فياله من وارد سَرَّ وأبهج، وهدى السبيل وأوضح المنهج، وبسط الأمل وفسح الرجاء، وبشر بالصلاح التام والخير المستقبل العام هذه النواحى والأرجاء».

والرسالة الثامنة عشرة[74] عن الأمير إبراهيم المكنى عنه بالعبد، وفيها الاخبار بجموح الشقى فى شأو الغرور، وتقريب بعض القبائل رأسه قرباناً. فعمت البشرى أرجاء هذه البلاد كلها ونواحيها، وأعلم العبد الخاصة والعامة بأن الذى تضمنته هذه البشرى من النعم لايحصى لها عدد، ولا يستطيع أن يوفى حقه من الشكر أحد، فلو استمد البليغ القوافى كلها والأسجاع، واجتلب الاجناس من البلاغة والأنواع، لم يكن ذلك لقدرها كفاء، ولا لشكرها وفاء ومطلعها : «وأحوال هذه الجهات ببركة الحضرة الامامية أَيَّدَها الله صالحة، ونعم الله بحسن التفاتها غادية عليها ورائحة».

والرسالة التاسعة عشرة[75] صادرة عن عبد الحضرة الامامية إبراهيم إلى

73 - ص : 342 — 343
74 - ص : 343 — 345
75 - ص : 345 — 347

الخليفة الامام أمير المؤمنين ابن الخلفاء الراشدين الائمة الهادين المرشدين. وتتضمن الاخبار بما ترتع به هذه الجهات من الخيرات والمسرات، وتنعم به من الأمئة والهدنة، كما تتضمن إعلام الحضرة الامامية بالكتاب الذى ورد على العبد من بَطَلْيَوس، متضمناً المسرة التى ساقتها سعادة الخلافة العلية وهى أن كلمة الكفر توذن بزيال، وتقضى عليها بالهون والاذعان ومطلعها : «الحضرة الامامية القدسية المؤيدة المنصورة العلية، المباركة الطاهرة الزكية، مطلع الانوار الباهرة للبشر، ومنشأ السعود الضامنة لأنواع البشر».

والرسالة العشرون[76] صادرة عن عبد علاء الحضرة الامامية وتتضمن الاشعار بوصول كتاب الحضرة الامامية، والابتهاج بما تضمنه من الالتفات إلى أرجاء هذه البلاد، المصلح للاحوال والأمور المهتم بمصالح الرعية، ونقل العرب إلى الأماكن الخالية القصية، وفى الرسالة إعلاء الحضرة الامامية بإنفاذ العبد مخاطبته إلى الشيخ أبى العباس ابن الشيخ امتثالاً لأوامرها. ومطلعها :«وبركاتها ــ أيدها الله ــ تشرف أنوارها، وتبرق ابتسام الأيام السعيدة عنها وافترارها، ونعمها ينكسب مدرارها، ويفوت الحد والعد مقدارها، والحمد لله رب العالمين حمد استزادة النعم، واستكثارها، وصلاح هذه الجهات ببركتها والحمد لله جديد فجديد، وظل الالتفات الكريم على أرجائها مزيد، وزمان خلافتها الميمومة ــ والحمد لله ــ زمان سعيد، فكل يوم من أيامه كأنه عيد».

الرسالة الواحدة والعشرون[77] مكتوبة إلى وزراء الخلافة المعظمين، وتتضمن الاخبار بأحوال هذه الجهات، وما تنعم به من الأمنة والدعة، فالبلاد ساكنة والرعية هادئة هادفة، والمصالح منتظمة متناسقة، والزرع قد بسط الله الآمال بكثرته وصلاحه فى هذا العام بسطاً، وأعطى هذه الجهات منه حظاً وافراً

76 - ص : 347 ــ 348
77 - ص : 348 ــ 349

وقسطاً، واعتنى أهل الثغور أيضاً بالازدراع اعتناء الغير، وتنافسوا فى الاكثار منه تنافس الواثقين. ومطلعها : «وبركات الحضرة الامامية العلية أيدها الله تنسكب انسكاب الغمام، وسعادتها تتكفل لمصالح العباد بالكمال والتمام».

والرسالة الثانية والعشرون[78] صادرة عن إبراهيم بن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين، من إشبيلية، إلى الشيخ أبي سعيد ابن الشيخ أبي محمد ابن الشيخ أبي إسحاق. وفيها الترضية عن الامام المعصوم المهدى المجتبى. والدعاء للخليفة الامام أمير المؤمنين أبي يعقوب بن الخلفاء الراشدين. وتتضمن الاشعار بوصول المخاطبة الأثيرة من الحضرة الامامية، متضمنة الأوامر العلية، والأغراض الكريمة، والاشارة إلى استحسان ما بين الشيخ أبي عبد.الله بن عبد الله بن عبد الرحمان وبين المجل من المساعدة والمعاضدة، والاعلام بتعيين القاضى أبي الحسن بن الفقيه أبي القاسم ابن المالقى لشريش، والاشارة إلى تقديم ابن عبد المقام الامامى على بنى رياح وقرة مناف وإلزامه سكنى شريش، إلى غير ذلك مما تضمته الكتاب الامامى من الوصايا المنيرة والأغراض المحمودة المشكورة. ومطلعها :«الشيخ الأجل الأعز الأكرم الأسنى الولى الأثير الأود الأخلص الأزكى الأفضل أبو سعيد».

والرسالة الثالثة والعشرون[79] صادرت عن الأمير إبراهيم إلى الحضرة الامامية، وتتضمن الاشعار بوصول الأرسال الصادرين من الحضرة الامامية العلية، رافلين فى برود إحسانها، ونافلين بجديد امتنانها شاكرين لآلائها، وأخذهم فى الانفصال من إشبيلية إلى صاحبهم على الوجه الذى اقتضاه النظر الكريم. ومطلعها :» الحضرة الامامية، القدسية العالية، التى أنوارها مبسوطة ونعمها متوالية، والأيام لآيات سعدها وسور شكرها وحمدها تالية. حضرة الهداية المأثورة، والبركات المبثوثة المنثورة، قرن الله سعودها بالدّوام والاتصال، وضاعف

78 - ص : 349 — 352

79 - ص : 352 — 353

من النصر مزيدها مدى البكر والآصال، وعرفها عوارف التمكين ثَرَّةَ الغمامَ وقاد لها نَجَائبَ الفتح المبين سمحة الزمام».

وصدرت الرسالة الرابعة والعشرون(80) عن عبد الحضرة الامامية وتتضمن ذكر صفات أحوال هذه الجهات من اقتبال الصلاح، وانثيال النجاح، وتمهد القرار، واستسلام الكفار، وامتداد ظل الأمان، والاستبشار بسعد الزمان، والانبساط فى الرجاء بحسن مواقع الغيث المتتابع الغناء المؤذن فى الزرع والضرع بالبركة والنَّماء. كما تتضمن الاشعار بوصول كتاب الوزير، المكتوب إليه، صحبة الكتاب الامامى الكريم، وما تضمن من إنعام المقام الامامى على عبده ابن عبده بالأمر بتقديمه فى بَطَلْيَوْس وسائر ثغرها الجوفى ومطلعها :«وبركات الحضرة الاءمامية أيدها الله(81) بتوالى إلمامها، ونعمها يسح على العباد والبلاد غمامُها. والحمد لله رب العالمين حمداً يستديمها ويستزيدها، وينمى به مزيدها».

وصدرت الرسالة الخامسة والعشرون(82) عن مجل الوزراء الموحدين، وتتضمن الاخبار بطلوع شمس البشرى التى توذن بانتثار كواكب الكفر، وتبدد شمله وتفرق جموعه، واجتثاث أصوله الخبيثة وفروعه، كما توذن بنصر لواء الاسلام، واعتزاز أوليائه على أعدائه وتمكن الأمن فى ثبوته واستوائه، كما تتضمن الاخبار بموت طاغية الكفار صاحب قشتالة ومطلعها :« وإلى هذا وصل الله سراءكم وضاعف نعماءكم، فإنه قد أفصح لسان الزمان، ونطقت شواهد البرهان، فإن الله تعالى بأمره العزيز أدامه الله عناية تعلق بها مقاماته، وتبدو فى كل زمان كراماته، وتتضح بنتائج مقدماتها دلائل سعده وعلاماته».

---

80 - ص : 353 ـــ 355

81 - ص : خرم حرف اللام الثانية

82 - ص : 355 ـــ 357

وصدرت الرسالة السادسة والعشرون[83] عن محب الوزراء الموحدين. مخبرٌ فيها الوزير بوصول الكتاب الامامى المعظم الكريم متضمناً من التشريف والتنويه والالتفات الكريم النبيه. ما لم يزل المقام الامامى يوليه للمرسل. كما يخبره بوصول كتابه الأثير المبهج الخطير صحبة الكتاب الامامى الذى سر بوصوله. وشكر جملة فصوله. أما عن أحوال هذه الجهات فقال عنها : إنها جارية على ما اقتضته سعادة الخلافة المباركة من عموم المسرات والأفراح، وانشراح الصدور وتنعم الأرواح. ومطلعها :« وبركات الحضرة الاءمامية ــ أيدها الله ــ ضافية البرود، دائمة الوُرُود، جارية من الترادف والتضاعف على أكرم معهود، كفيلة للعباد والبلاد بالتأمين والتمهيد».

وصدرت الرسالة السابعة والعشرون[84] عن عبد الحضرة الامامية إلى وزير الخلافة الموحدية، يخبره فيها بما يجب مطالعة الحضرة الامامية المنصورة؛ وهو وصول نصرانى أخبره بكذا وكذا مما تجدد عنده من أخبار الاعداء. ومطلعها :«وإلى هذا أورد الله على المقام الامامى من البشائر أصدقها بياناً، وأوضحها للأبصار والبصائر عياناً، وأعودها بما يكون على سعد الخلافة المباركة برهانا».

وصدرت الرسالة الثامنة والعشرون[85] عن الأمير إبراهيم من إشبيلية إلى وزير الخلافة العالية، وفيها الترضية عن الامام المعصوم والمهدى المعلوم. والدعاء للخليفة الأمام أمير المؤمنين ابن الخلفاء الراشدين. وتتضمن الاخبار بما طلع فى هذا الافق من فجر البشرى بأخبار قتل الشقى الذى كان نجم بجزولة، فعم الفرح الخاصة والعامة، واحتفلوا فى حقها احتفال ذوى الاهتمام، وزلزلت لها أرض

83 - ص : 357 ــ 358
84 - ص : 358 ــ 359
85 - ص : 359 ــ 362

النصرانية زلزالها، وآذنت بذلها وصغارها، ومطلعها :«وبعد حمد الله معود أمره العزيز كل فتح جليل، المجدد له كل كل صنع جميل، المقيم ما وهب الله من التيسير فى كل مرام والتسهيل. مقام البرهان على سعده والدليل».

أما الرسالة التاسعة والعشرون(86) والتى لم يسلم منها إلا ثلاثة سطور بسبب البتر الذى أصاب المجموع، كما سبق ذكره فتبدو أنها مكتوبة إلى وزير الخلافة الموحدية أيضاً حسب ما جاء فى صيغة فاتحتها :«فما لبث مجلكم أن بث هذه البشرى فى كافة الجهات والنواحى».

وتفضى بنا عملية التحليل إلى تصنيف كتاب هذا المجموع إلى ثلاثة أصناف وهي :

الأول : يختص بفن الترسيل وحده، ويمثله : الكاتب الأول المجهول والحسن بن وهب، وأبو الحسين الأصبهاني، وأبو الفضل الهمذاني، وأبو الفضل الميكالى، وعمر بن على المطوعى، وأبو العلاء المعرى، وأبو الحسين ابن القدم، وابن عياض، وأبو محمد بن سفيان، وأبو محمد بن عبدون، وأبو محمد بن سماك، وأبو محمد البطليوسى، وأبو عبد الله بن حمدين، وأبو الفضل بن شرف، وأبو العباس بن رشيق، وكشاجم، وأبو القاسم بن بدرون، وأبو القاسم بن عذرة، وأبو الحسن بن وضاح، والكاتب الأخير المجهول.

الثانى : يختص بفن التراجم وحده، ويمثله أبو نصر الفتح ابن عبد الله القيسى.

والثالث : يجمع بين فنى الترسيل والترجمة، وأصحابه : أبو الحسن ابن بسام، وأبو عمرو عثمان بن على الاستجى، وأبو عبد الرحمان بن طاهر، وأبو محمد بن القاسم، وأبو مروان بن حيان، وأبو عمر الباجى. والملاحظ فى هذا التصنيف

86 - ص : 362

أن جانب الترجمة يغلب على جانب الترسيل، وأن الكاتب أبا عمرو عثمان أكثر الكتاب تراجم، عددها ثمان وخمسون، ويليه أبو نصر الفتح بخمسين ترجمة، وابن بسام بثمان وعشرون ترجمة.

أما فى فن الترسيل فإن الكاتب الأخير المجهول هو صاحب النصيب الأوفر، حيث بلغ المثبت من نماذجه فى المجموع واحداً وثلاثين، يليه أبو الفضل الميكالى فى خمسة نماذج، وأبو الحسين أحمد الأصبهانى وكشاجم فى أربعة، وأبو العلاء المعرى، وأبو نصر الفتح، وأبو عمرو عثمان، وأبو محمد بن القاسم، وأبو عمر أحمد حجاج فى ثلاثة نماذج.

والملاحظ فى الاعلام المترجم لهم، أن بعضهم جاء مكرراً، إذ ترجم له أكثر من كاتب، مثل أبى بكر بن عبد العزيز الذى ترجم له أربعة كتاب وهم : ابن بسام، وأبو نصر الفتح، وأبو عمرو بن عثمان، وأبو عبد الرحمان بن طاهر، ومثل أبى بكر بن الملح، وأبى بكر البطليوسى اللذين وردت ترجمتها ثلاث مرات عند الكتاب الثلاث الأوائل. ومثل أبى مروان الطنبى، وأبى الوليد الباجى، وأبى عبيد البكرى، وأبى بكر بن القصيرة، وأبى القاسم محمد بن الجد، وأبى بكر بن عمار، وأبى محمد بن وهبون، وأبى الحسن البكرى، وأبى محمد الشنتريني، وأبى الوليد ابن زيدون، وردت ترجمتهم مرتين عند الكاتبين الأولين أما أبو عامر ابن ينق، وأبو الفضل بن شرف فوردت مرتين عند الكاتبين أبى نصر الفتح وأبى عمر وعثمان.

ونصادف تراجم بعض كتاب المؤلف عند ابن بسام، مثل أبى حفص ابن برد الأصغر، وأبى عمر أحمد بن حجاج. وعند أبى نصر الفتح، مثل أبى عبد الرحمان بن طاهر، وأبى عمر الباجى، وأبى محمد بن سفيان، وأبي محمد بن عبدون،

وأبي محمد بن سماك وأبي محمد البطليوسى، وأبي عبد الله بن حمدين، وأبي الفضل بن شرف. وعند أبى عمرو بن عثمان مثل أبى الفضل بن شرف.

وقد جاءت التراجم مقتضبة، تتميز بتعداد محاسن المترجم لهم. وبخاصة فى مجال الابداع وفن الترسيل. وهم يمثلون عدة طبقات : الأمراء، والوزراء، والقضاة، والكتاب والتراجم مستاقاة من المصادر التالية.

1 ـــ الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لأبى الحسن على بن بسام الشنتريني.

2 ـــ «قلائد العقيان فى محاسن الأعيان» لأبى نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله المعروف بابن خاقان.

3 ـــ «سمط الجمان وسفط اللآلىء وسقط المرجان» لأبى عمرو عثمان بن على بن عثمان بن الامام.

والمصدران الأولان موجودان ومطبوعان، أما الثالث فهو مفقود.

وتميل نماذج الترسيل فى المؤلف إلى الطول، وخصوصا نماذج الكاتب الأخير المجهول، التى جاء عدد منها رسائل تامة.

صاحب الكتاب :

وسيسأل سائل، بعد عملية التحليل، بل وقبلها، وأثناءها، من جامع هذه الرسائل والنصوص النثرية الفنية القيمة ؟، أليس هو الكاتب الأخير ؟ بلى. والدليل على ذلك هو هاتان الاشارتان المضيئتان اللتان استهلت بهما مساهمته، وهما : الأولى : « ومن إنشاء شاعر هذا الزمان وكاتبه[87]» وهى عنوان الرسالة التى كتبها من إشبيلية إلى الشيخ الفقيه أبى العباس بن جعفر، والثانية : « وكتبت أيضاً»[88]

87 - ص : 308

88 - ص : 310

وهي عنوان الرسالة الديوانية التي كتبها عن الأمير إبراهيم من إشبيلية إلى الحضرة الامامية. وبتمعننا في الاشارتين نستشف منها هوية الرجل : فهو شاعر وكاتب وجامع للرسائل والنصوص الأدبية.

وبتحليل رسائله المثبتة في الكتاب يتبين لنا أنه كاتب ماهر، له باع طويل في إنشاء الرسائل الديوانية وتدبيجها بألوان البيان وضروب البديع. حظي بالمنزلة الرفيعة لدى أمير إشبيلية إبراهيم الموحد، الذي قلده وظيفة الكتابة في دواوينه. فمن هو ياترى هذا الكاتب الجهبذ ؟

لعله أبو القاسم أحمد البلوى[89]، الذي تألق نجمه في سماء الأدب، ونال قصب السبق في فن الترسيل، واشتغل بلاءنشاء في ديوان الأمير بإشبيلية، وكان ولوعاً بفن الرسائل؛ يجمع مأثوراتها لمشاهير الأدباء المشارقة والمغاربة، وبالأخص الذين كانوا يزاولون الكتابة في بلاطات الخلفاء ودواوين الأمراء والوزراء.

وتتضح ملامح صورة الكاتب المؤلف في خاتمة مجموعه الضخم :« العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل» حيث يقول : «ومعظم المجموع فيه إنما جمعته في الثمانية عشر شهراً التي استخدم مني فيها برسم الكتابة في إشبيلية ــ حرسها الله ــ مولاي السيد الأجل المعظم الفاضل»،[90] صحيح أن أبا القاسم البلوى لم يكن يكتب وحده للأمير المذكور، بل كان يشاركه في ذلك كتاب آخرون، كان لهم صيت ذائع وشهرة فائقة في عالم الكتابة الديوانية. بيد أن طريقته في الكتابة تجعله متميزاً عنهم، هذا فضلاً عن كثرة ما كتبه عن الأمير إبراهيم في إشبيلية، والمنزلة الرفيعة التي كان يحتلها عنده.

89 – ص : توجد ترجمته الضافية في البحث الذي قدمته عن مجموعة «العطاء الجزيل» في مجلة «دعوة الحق»،
العدد : 266، السنة 1408 هـ ــ 1987.

90 – مخطوط بالخزانة الحسنية، ص : 171

وبمقارنة بعض فواتح رسائله المثبتة فى مجموعه «العطاء الجزيل» بفواتح رسائله فى هذا المجموع، يتبين لنا بوضوح التشابه الموجود بينهما. ومن أمثلة ذلك؛ ما جاء فى «العطاء الجزيل» : «وإلى هذا وصل الله عزكم»[91]، ويناظره فى «المجموع» : وإلى هذا وصل الله سراءكم»[92].

ومن أمثلته أيضاً : ذكر إسم المرسل الأمير، والسلام بنفس الصيغة؛ ففى «العطاء» : إبراهيم بن سيدنا أمير المؤمنين بن سيدنا أمير المؤمنين»، ثم السلام : «سلام كريم»[93]، وفى «المجموع» : «إبراهيم ابن سيدنا أمير المؤمنين بن سيدنا أمير المؤمنين، سلام كريم»[94] وفى ذكر مصدر الرسالة، والدعاء، نجد فى «العطاء» : «من إشبيلية حرسها الله ــ وبركات الحضرة الامامية ــ أيدها الله ــ واضحة»[95]، و فى المجموع» : : «ومن إشبيلية ــ حرسها الله ــ وبركات الحضرة الامامية أيدها الله ــ يبهر الألباب ظهورها[96]».

وتتشابه خواتم بعض رسائل «العطاء» و «المجموع» فى الصياغة والأسلوب، فمثلا نجد فى المصدر الأول :«والسلام الكريم الحفى العميم يخص حضرة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين كثيرنً أثيرنً ورحمة الله تعالى وبركاته[97]». وفى التانى : «وسلام الله العميم الأحفل الأحفى على الحضرة الامامية القدسية كثيرةً أتيرةً ورحمة الله تعالى وبركاته»[98].

---

91 - ص : 170
92 - ص : 355
93 - ص : 167
94 - ص : 349
95 - ص : 167
96 - ص : 330
97 - ص : 171
98 - ص : 336

ويتقارب التاريخ المذكور فى احدى رسائل «المجموع» وهو : «كتب فى الموفى عشرين لصفر سنة إحدى عشرة وستمائة»[99]، مع تواريخ بعض رسائل «العطاء الجزيل».

ولعل الرؤية قد اتضحت بهذه المقارنات التى عقدناها، وانكشف الغطاء عن صاحب هذا العطاء الجديد والجزيل أيضاً، وهو : أبو القاسم أحمد البلوى الاشبيلى، وليس ابن الخطيب كما ظن سهواً. ويؤكد لنا تلميذ البلوى ابن عبد الملك المراكشى ولوعه بتأليف المجاميع الأدبية ومشاركته الفعالية فيها، وذلك فى الترجمة التى خصه بها :«وله تصانيف أدبية منها الكتاب المسمى : «تشبيب الابريز» حافل فى فنه، جمع فيه رسائل كتاب عصره، وضمنه جملة وافرة من نظمه ونثره»[100]».

وذكر أبو الحسن ابن سعيد فى ترجمة البلوى أنه :«صنف كتاباً فى رسائل كتاب عصره. ترجم فيه خبره عن خُبره»[101] بقى أن نتساءل عن هذا المجموع المكتشف لأبى القاسم البلوى هل هو إحدى الحلقات المفقودة للعطاء الجزيل، الذى لم يكشف منه إلا المجلد الأخير ؟.

نستبعد أن يكون المجموع أحد مجلدات «العطاء الجزيل» لخلوه من التبويب الذى اتبعه الجامع فى المجلد الأخير، ولجمعه بين فنى الترسيل والتراجم.

ويحتمل أن يكون من مظان مجاميعه الأدبية التى كان يعتمد عليها فى عملية التصنيف.

ونأمل صادقين أن يتم العثور على القسمين المبتورين منه، لتكتمل بهما

---

99 - ص : 337

100 - الذيل والتكملة، السفر : 8، القسم : 1، ص : 120

101 - اختصار القدح، ص : 120

الصورة التى حاولنا ــ بعون الله ــ رسمها عنه فى هذه الخطوط العامة، وتتضح حقيقته أكثر، فينتفع به الباحثون والدارسون تاريخياً وأدبياً وتراثياً، والله ولى التوفيق.

مختارات من نماذج المؤلف :

ومن مختارات المؤلف، ماكتبه بعض أعلام الترسيل فى الشرق ومنها هذه النماذج الثلاثة : الأول لأبى الحسين أحمد بن سعيد الأصبهانى يزجى فيه الشكر إلى المنعم عليه، ملتزماً السجع فى فقراته، ومنوعاً حروف روية : «كل غاية ينتهى إليها وصفك، ويبلغها ذكرك، ففوقها فضلك، وأوفى منها قدرك، فالمثنى عليك، وإن اجتهد مع ترادف محاسنك، مقصر، والطامع فى بلوغ شأوك حسير متأخر، جعلك الله للفضل معادن، وللمجد خزائن»[102] والثانى : من إنشاء أبى الفضل بن الحسين الهمدانى بديع الزمان إلى أبى جعفر أحمد بن على الميكالى، وقد جمع فيه بين النثر والشعر، وعاب على الأمير الرئيس ركاكة قوافى شعره، ونقتطف منه هذا الجزء الذى يذكر فيه بعض شروط الشعر، فى سجعات قصيرة، متنوعة حروف الروى، وأسلوب بيانى : «والشعر إذا لم تتقدمه رويَّة، ولم تصبحه نيَّة، لم يفتح له السمع بابه ولم يرفع له حجابه[103]».

والثالث، من رسالة لأبى العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعرى إلى أبي القاسم الحسين بن على المغربى، والمعروفة برسالة المنيح :[104] وهى رسالة طويلة النفس، تتميز بنزعتها البلاغية. واستعمال غريب اللغة :«إن كان للأدب[105] ــ أطال الله بقاء سيدنا ــ نسيم يتضوع، وللذكاء نار تشرق

102 - ص : 205

103 - ص : 207

104 - توجد ضمن رسائل أبي العلاء المعرى، ص : 5 ــ 35، ط : 3، س 1404 ــ 1984.

105 - في الرسالة المطبوعة «للآداب».

وتلمع، فلقد فقمها[106] على بعد الدار أرجُ أدبه، ومحا الليل عناً ذكاءه بتلهبه، وخول الأسماع ثنبوقاً[107] غير ذاهبة، وأطلع فى سويدات القلوب كواكب ليست بغاربة، وذلك أنا معشر أهل هذه البلدة وهب لها[108] شرف عظيم، وألقى إلينا كتاب كريم، صدر عن حضرة السيد الخير[109]، ومالك أعنة النظم والنثر، قراءته نسك، وختامه بل سائره مسك، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون»[110]».

ومن نماذج الكتاب المرابطين والموحدين فى الغرب الاسلامى، ماكتبه أبو الحسن بن بسام[111]فى موضوع الآداب بأسلوب أدبى أنيق، يعتمد على التصوير الفنى، الذى يستمد مادته من مفاتن الطبيعة الساكنة والحية «إن ثمرة الأدب، العالى الرتب، رسالة تُنثر وترسل، وأبيات تنظم وتفصل، كنثال القطار، على صفحات الأزهار وتتصل هذه باتصال القلائد، على نحور الخرائد»[112]».

ومما كتبه فى فن التراجم هذه الترجمة للكاتب أبى حفص بن برد الأكبر[113] أحد شيوخ فن الترسيل فى الغرب والشرق الاسلاميين : «كان أبو

---

106 – «ففمنا» فى المطبوعة، بمعنى ملأ خياشيمنا.

107 – «شنوفا» فى المطبوعة، وهو الحلى الذى يعلق فى الآذان.

108 – «لنا» في المطبوعة.

109 – «الحبر» في المطبوعة.

110 – ص : 217

111 – هو أبو الحسن على بن بسام التغلبي الشنتريني صاحب «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة»، توفي عام 342 هـ، ترجم له ابن سعيد فى المغرب، ج/1، ص/417، والرايات/16، والمقرى فى النفح 500/2، وياقوت في معجم الأدباء : 275/12.

112 – ص : 232، يوجد في المطبوعة بالقسم/1، المجلد/1، ص : 11.

113 – هو أبو حفص بن برد، المعروف بالاكبر تمييزا له عن حفيده ابن برد الأصغر، توفي عام 418 بسرقسطة. توجد ترجمته فى الذخيرة القسم 1، المجلد 1 ص : 103، والصلة 40، والمغرب، ج 204/1، والجذوة/111، وبغية الملتمس/161.

حفص فى ذلك الزمان واسطة السلك، وقطب رحى الملك؛ استقل ببهائه وجلاله، ورفل فى بكره وآصاله، وبرز على نظرائه وأشكاله. وبنوه ينتمون بالولاء لبنى شهيد. وقُلد أبو حفص هذا بعد الجزيرى ديوان الانشاء، وكتب فى تلك الفتنة عن عدة من الأمراء، فأسمع الصم بياناً، وأنزل العصم إبداعاً واحساناً(114)».

وكتب فى ترجمة ذى الوزارتين الكاتب أبى الوليد بن زيدون(115)، بأسلوب بديع يتسم بتناسق ألفاظه، وتزاوج أسجاعه :«كان أبو الوليد صاحب منثور ومنظوم، وخاتمة شعراء مخزوم، أحد من جدَّ الايام جراً، وفات الانام طُراً، وصرف السلطان نفعاً وضراً، ووسع الانام نظماً ونثراً، إلى أدب ليس للبحر تدفقه، ولا للبدر تألقه، وشعر ليس للعجز بيانه، ولا للنجوم الزهر اقترانه، وخط من اللفظ غريب المبانى، شعرى الألفاظ والمعانى».(116) وكتب فى ترجمة الأديب أبى عبيد البكرى، مبرزاً ملامح من شخصيته الأدبية بإيجاز، وفى تأنق بديعى، يميل فى سجعه إلى التكلف : «وكان بأفقنا آخر علماء الجزيرة بالزمان، وأولهم بالبراعة والاحسان، وأبعدهم فى العلوم طلقا، وأنصعهم فى المنثور والمنظوم أفقاً، كأن العرب استخلفته على لسانها، والأنام وَلَّتْه زمام حدثانها، ولولا تأخر ولادته، وعهده فى زيارته، لأنسى ذكره كتبه المتقدم الأوان، ذربَ لسان، وأبدع أتقان، لايجمع الزمان حبه،

114 - ص : 233. يوجد بالقسم 1، المجلد 1، ص 103 مع بعض الاختلاف.
115 - انظر ترجمته فى الذخيرة ق/1 مج : 336/1، والقلائد/79، والمعجب/154، والمغرب : 63/1، والنفح : 627/1، والجذوة : 121، والبغية : 426، والمطرب : 164، والخريدة : 48/2، ووفيات الاعيان : 139/1، والوافي : 87/7.
116 - ص : 233 ـ 234. يوجد بالمطبوع في ق/1، مج : 336/1 مع اختلاف فى آخره.
117 - هو عبد الله بن عبد العزيز، ترجمته فى الذخيرة ق/2، مج/232/1، والقلائد/191 والصلة/282، ؟البغية/285، والمغرب : 347/1، والطبقات : 52/2، والخريدة : 152/2، والمسالك : 422/11

إلا كما يؤلف كتبه، ولا يهز الميدان حسامه، إلا كما يروق نظامه ونثره، وله تقدم سبق، وسلف صدقٍ»[118].

ونختم نماذج ابن بسام بما كتبه فى ترجمة الكاتب أبى عبد الله محمد ابن أيمن[119] بأسلوب مسجوع، يعتمد على التصوير البيانى : «كان بأفقنا أعجوبة الدهر، وفريد العصر، وفارس ميدانى النظم والنثر، اشتهر فى حملة الأقلام اشتهار البدر فى السماء، وتلاعب بغرائب الكلام تلاعب الأفعال بالأسماء ومن كلامه ما يأخذ من البلاغة باليمين. ويشهد له بالمكان المكين»[120].

ومن النماذج الجيدة التى وقع عليها اختيار المؤلف للكاتب أبى نصر الفتح بن عبيد الله القيسى الاشبيلى[121]، ما كتبه فى ترجمة المعتمد على الله أبى القاسم محمد بن عباد[122]، معدداً خصاله وشيمه الأصيلة، متفنناً بديعياً، وبخاصة فى السجع الذى نوع حروف روية، والتزم فيه مالايلزم :«ملك قمع العدى، وجمع بين البأس والنَّدى، وطلع على الدنيا بدر هدى، لم يتعطل كفُّه،

---

118 - ص : 238، يوجد فى المطبوع : ق/مج 232/1، مع بعض الاختلاف

119 - هو محمد بن عبد الملك بن أيمن بن فرج القرطبي. ترجمته فى الذخيرة، ق/2 مج : 652/2، ؟المغرب : 366/1، والنفخ : 237/2، والمسالك : 332/8، والجذوة/63

120 — ص : 241، في المطبوع : ق/ 2، مج : 652/2 — 653 مع تصرف كبير

121 — هو المعروف بابن خاقان، صاحب «قلائد العقبان في محاسن الأعيان» والمطمح» توفي بمراكش عام 529، توجد ترجمته في معجم ابن الابار : 300، والمغرب : 254/1، وأزهار الرياض : 5/ 97، والنفح : 19/4، وشذرات الذهب : 107/4، وإرشاد الأريب : 124/6، ووفيات الأعيان : 1/ 407، والذيل والتكملة : السفر : 5، ق 529/2، ومعجم الأدباء : 186/16.

122 — صاحب إشبيلية (431 هـ — 488 هـ)، انظر ترجمته في الذخيرة : ق/2، مج : 41/1، والقلائد 641 والحلة السيراء : 52/2، والمعجب/ 149، والبيان المغرب : 3/ 244، ووفيات الأعيان : 4/ 112، والوافي بالوفيات : 3/ 3.

ولا بنانه، آونة يراعه، وآونة سنانه، وكانت أيامه مواسم، وثغور بره بواسم، ولياليه كلها درراً، وللزمان أحجالاً وغرراً، لم يغفلها من سمات عوارف، ولم يضحها من ظل إيناس وارف، ولاعطلها من مأثره بقى أثرها بادياً، ولقى معتفيه منها إلى الفضل هادياً»[123].

وكتب فى ترجمة أبى القاسم بن الجد[124] بأسلوب رائق، يتميز بنزعتيه البيانية والبديعية :«راضع ثدى المعالى المتواضع العالى، آية الاعجاز، وأقطع استعارته جانبى الحقيقة والمجاز فأبداها شمساً، وأهداها لأجساد معانيه نفساً إذا كتب ملأ المهارق بياناً، وأرى السحر عيانا وله أدب لو تصور شخصاً، لكان بالقلوب مختصاً، ولو كان نوراً، لكان له السماك نجداً وغوراً، إلى الاتسام بالوقار والحلم، والافتنان فى أنواع العلم، أقام زماناً معتكفاً على دواوينه كلفاً بالعلم وأفانينه، مشتغلا بالدراسة، معتزلاً للرياسة، والملك يضم ضلوعه على علائه، ويرقب طلوعه فى سمائه، إلى أن استدعاه أمير المسلمين، فأجاب بحكم الطاعة وأناب، وأراه الغناء المستعظم والمناب، بكتب تهزم الكتائب بأغراضها، وتروق العيون بإيماضها. ومن نظمه البارع، ونثره العذب المشارع، ما هو أفتن للأسماع، من مطرب السماع، وألذ فى الألباب، من مناجاة الأحباب[125]».

---

123 ــ ص : 242 ــ 243. في المطبوع ق/ 2 ج : 1/ 41.

124 ــ هو محمد بن عبد الله، توفي عام 515 هـ ترجمته في الذخيرة ق/ 2، ج : 285/1، والقلائد/ 109، والصلة/ 15، والمعجب/237، والذيل والتكملة : 6/ 326، والمغرب 341/1، والمطرب/109، والخريدة : 3/ 393.

125 ــ ص 247. في المطبوع ص : 123 ــ 124

وكتب فى ترجمة الفقيه أبي الفضل بن عياض[126] بأسلوب فنى، متبعاً فى سجعاته طريقة المزاوجة، عامداً إلى التضمين القرآنى، ومستعملا أساليب البيان فى التصوير الحسنى وبخاصة أسلوب الاستعارة :«جاء على قدر، وسبق إلى نيل المعالى وابتدَرَ، فاستيقظ لها والناس نيام، وورد ماءها وهم حيام، وتلى من المعارف ما أشكل، وأقدم على ما أحجم عنه سواه ونكل، فتحلت به للعلوم نحور، وتجلت منها حور، كأنهن الياقوت والمرجان، لم يظمثهن إنس قبله ولاجان، قد ألحفته الأصالة رداءها، وسقته أنداءَها، وألقت إليه أقاليدها، وملكته طريفها وتليدها، وهو على اعتنائه بعلوم الشريعة، واختصاصه بهذه الرتبة الرفيعة، يعتنى بإقامة أود الأدب، وينسل إليه من كل حدب. وقد أثبت من كلامه البديع الألفاظ والأغراض، ماهو أسحر من العيون النجل والحدق المراض، [127].»

وكتب فى ترجمة القاضى أبي الحسن بن بياع معرفاً بشخصيته القدة فى شتى المجالات الأدبية والعلمية، وذلك بأسلوب بليغ يتميز بجمال التصوير، والتفنن في البديع : «ملىء حياء، وقنىء استحياء، طود سكون ووقار، وروضة نباهة يانعة الأزهار. وسمت صفحات المهارق وغرره، وانتظمت بلَبَّات المغارب والمشارق دُرَرُه، إن نطق رأيت البيان منسرباً من لسانه، والاحسان منتسبا لاحسانه، حوى العلوم وحازها، وعرف حقائق العرب ومجازها، وروى قصائدها وأرجازها، وعلم إطالتها وإيجازها وهو فى الطب موفق العلاج، واضح المنهاج. وله نظم تزهُو به

126 — ض : هو عياض بن موسى اليحصبي السبتي (476 — 544 هـ)، انظر : التعريف بالقاضي عياض لابنه أبي عبد الله محمد، وأزهار الرياض للمقرى والصلة لابن بشكوال، ج 2/ 229.
وبغية الملتمس/ 437، وتاريخ قضاة الأندلس/ 101، وكتاب الوفيات لابن قنفد/ 280.

127 — ص : 255. [illegible]، مع بعض التصرف، ص : 225.

نحور الكعاب، ويستسهل إلى سماعه سلوك الصِّعاب، وقد أثبت منه ما تجتليه، فتستحليه، وتمقله، فتنقله[128].»

ومن نماذج أبي عمرو عثمان بن الامام[129] فى فن التراجم، ماكتبه فى ترجمة أبى مروان بن أبى الخصال[130] واصفاً خلقه الدمث بأسلوب يسيل رقة، ويتلون بالصور البيانية، والمحسنات البديعية؛ اللفظية والمعنوية : «ذو الخلق الأرج، والرُّواء البهج، والسَّنَن القويم، والصدر السليم، والعهد الذى ليس بذميم، لاتتلقاه إلا باسملاً، ولاترود روضه إلا يانعاً ناسماً، لم يزده تواضعه إلا اعتلاء، ولا أولاه انقباضه إلا استحواذاً على المآثر واستيلاء، السكينة ملء أبراده، والتقوى ملد إصداره وإيراده، ومظان الحكمة بين لسانه وفؤاده. ذو المشاهد الطيبة، والخواطر الصيبة، والبدائع المشرقة المغربة. صدرت عنه عن على بن يوسف كتب إيعاده تزعزع الأطواد. وإبدار بهزم الرآمى الجرار، وعتاب كأسواط عذاب. ومن كلامه الرائع ما يزرى على الروض اليانع، وتود الجوارح أن تكون بدل المسامع[131]».

وله فى ترجمة أبى الطاهر يوسف بن محمد الأشتكركى[132] صور فنية رائعة تعتمد على الأسلوب البيانى، والزخرف البديعى المتأنق :«روض الأدب العاطر، وغمامه المنهمر الماطر. ذو الفكر المستوسقة، والدور المتسقة، والغرر تحت

128 ـــ ص ص : 256 في القلائد ورد اسمه هكذا : «ابن زنباع» ص : 259، وبه اشتهر في وسطنا الأدبي، وهو تحريف ضبطه. د. محمد بن شريفة في البحث الذي نشره بمجلة المناهل، ع : 22، س : 9.

129 ـــ هو عثمان بن علي بن عثمان بن الامام انظر المغرب : 60/1، والنفح : 183/3.

130 ـــ توجد ترجمته : في التكملة/ 609، والمغرب : 2/ 68، والبغية/ 369.

131 ـــ ص : 264

132 ـــ ورد هذا النسب في المغرب : «الأشكركى» بدان تاء، نسبة إلى قرية : «أشكركه» : ج 2/ 447.

الطرر المشرقة، الذى ألف الترصيع والترصيف، وكلف بالتصنيع المحكم والتفويف، والتزم ما لا يلزم فجاء بالبديع المنيف، يسرد النبذ والشذور، وأطلع الأنجم والبدور، وأكثر من رد أعجاز الكلام على الصدور. وإنى لأعجب من ابن بسام حين ذكره من جملة المقلين، ونثره من سمط المكثرين المستقلين، وحِكَمُه قد أنجدت وغارت، وكلمه قد حومت وطارت، وطبقت الخافقين واستطارت. وأما لزومياته الموضوعة، ومقاماته المجموعة فقد انفردت بالغريب والمعنى البديع، وغبرت فى وجه الحريرى والبديع. وقد أثبت من نظمه المحكم المعاقد، وكلامه المنزه عن غمز الغامز ونقد الناقد[133]».

وكتب فى ترجمة أبى القاسم محمد بن إبراهيم المواعينى[134]، بأسلوب موجز يتميز بنزعتى البيان والبديع :«روض رواء عن المحاسن يشف، ولو ذعية تبادر القلوب إليها وتجف، وأريحية يضطرب إليها يلملم ويستخف، وخلائق، كالحدائق، ومخايل، كالمخايل، وود لا يستراب به ولا يرتاب، وكرم عهد لا يطرقه الغدر ولا ينتاب، مه ذهن يلتهب بالذكاء أحشاؤه، وأدب يصرفه طبعه المعيد وإنشاؤه، ومن نظمه ونثره مايدلان على طبعه البارع، وأدبه اليانع[135]».

ومن نماذج الكاتب أبى عبد الرحمان بن طاهر[136] فى فن الترسيل ما

133 ـــ ص : 267

134 ـــ صاحب كتاب : «ريحان الباب وريعان الشباب في مراتب الآداب» وهو من مخطوطات الخزانة الحسنية بالرباط رقمه : 2647. انظر : التكملة لابن الأبار : 233، والذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي السفر : 6/ 91، والمغرب : 1/ 247، والنفخ : 3/ 266.

135 ـــ ص : 277

136 ـــ هو محمد بن أحمد بن اسحاق توجد ترجمته في الذخيرة، ق : ج 1/ 24 والقلائد/ 58، والمغرب : 2/ 247، والذيل والتكملة : 5/ 590، الحلة : 2/ 116 والخريدة : 2/ 313، والمعجب/ 180.

كتبه مراجعاً ذا المجد بن ذى النون، فى تصوير فنى جيد، وتأنق بديعى رفيع : «الآن عاد الشباب خير معاده، وابيضَّ الرجاء بعد سواده، وترك الزمان فصل عنانه، فلله الشكر المردد بإحسانه. ووافانى لك ـــ أيدك الله ـــ كتاب كريم كما طرز البدر النهر، أوكما بلل الغيث الزهر. طوقنى طوق الحمامة، وألبسنى ظل الغمامة. وأثبت لى فوق النجوم منزلة، وأرانى الخطوب نائية عنى ومعتزلة، فوضعته على رأسى إجلالا، ولثمت كل سُطوره احتفاء واحتفالاً، وناولنيه الكاتب الوزير أبو الحسن عبدك ونصيحك ـــ أعزه الله ـــ وبشر بدنو الدار، وأشار إلى مالديك كما يشار إلى النهار، وأخبر عن ذلك المحفل بغلبة الأمل. ويعلم الله أنى ماأعدنى لك إلا شيعة، ولاأرى ودك إلا دينا وشريعة، فإنك الموثوق بوفائه وشرفه، المسكون إلى برد أهله ولطفه، الذى لاتوجد الأيام الفضل منهما إلا لديه، ولايعقد الأحرار الأصفان إلا عليه، ولن أزال العالم بحقك ومقدارك، الناظم فى سلكك واختيارك إن شاء الله تعالى[137]».

ومن نماذج أبى محمد بن القاسم[138] فى الترسيل، ما كتبه إلى ابن عياض مراجعاً. مصوراً فيه ملامح شخصيته الأدبية والعلمية، التى تبذ بعض أعلام الشرق الاسلامى، وذلك فى أسلوب مسجوع، يتميز بالتعدد والتنوع والمزاوجة : «بمثل نباهتك سارت الأخبار، وفيك وفى براعتك اعتبار، لقد نلت فيها كل طائل، وقلت فلم تترك مقالاً لقائل، وعززت. بثالث هو الجميع، وبرزت فأين من شأوك الصاحب والبديع، جلاء بيان، فى خفاء معان هذا أثبت للسُّهى جلالاً، وأشاد فيها لذوى النهى أمثالاً، وذاك رفع للأقمار لواء، وألقى على شمس النهار بهجة وضياء، أقسم بسبقك ومقدم حقك، لئن أفحمت بما نطقت، لقد أغربت عن

137 ـــ ص : 280 ـــ 281

138 ـــ انظر القلائد : 127 ـــ 131؛ وأزهار الرياض،. : 162/5

أى صبوح رقرقت، ومهما أبهمت تفسيرا، فدونك منها شيئاً يسيراً، لما اعتمدنا نحن ذلك المظهر، فما أبعدها هنالك الأثر. بل اقتصدنا فى الاصعاد، وقدنا من تلك النيران كل سلس القياد[139]».

واختار الجامع لابن عياض نموذجاً فى الترسيل، نقتطف منه هذا الفصل الذى جاء مرصعاً بالمحسنات الديعية كالسجع والجناس والطباق : «وقد وقفت ــ أعز كما الله ــ على بدائعكما الغريبة، ومنازعكما البعيدة القريبة، ورأيت ترقيكما من الزَّهر إلى الزُّهر. وتنقلكما إلى الدِّرارى بعد الدرّ، فأبحتما حمى النجوم، وقذفتما من ثواقب ألبابكما بالرجوم، وتركتماها يالطلاقة ذات وجوم، فحللتما بسيطها غارة شعواء، لها ما عوت أكلب العواء[140]».

ومن رسائل أبى العباس بن رشيق[141] هذا النص الذى يتميز بالتأنق البيانى، والزخرف البديعى الذى يتحكم فيه سلطان السجع :«أطال الله بقاء أمير الأمراء شرف الدولة وعضدها سيدى الأعلى وسندى، ويدى الطولى على الأيام وعضدى، راغباً لحقوق الولاية، سالكاً سبل الهداية، قائماً بالعهد الموجب له على الحسنى، وافياً بالعقد المقتضى له الزلفى. كتابى هذا إلى أمير الأمراء سيدى وولي ولى فى تأميله قدمُ صدق، وفى تفضيله لسان حق، وفى مُوَالاته يد لا تسفُل، وفى مراعاته عين لاتغفل، وتحت كل شَعَرة منى محافظة عليه، ومناداة إليه. وذلك كله قليل فى جنب كثير إلىَّ، وصغيره إذا اقترن بكبيره علىَّ، فكل نعمة عندى هو من ولاتها، وكل حرمة هو من رعاتها، فالذى أسْدَاه مشهور والذى أولاه

---

139 ــ ص : 280 ــ 283

140 ــ ص : 288

141 ــ وهو أحمد بن رشيق الكاتب. ترجمته في : المعجم : 3/ 33، والفهرست/ 212، والحلة السيراء 128/2، بغية الملتمس/ 178، وجذوة المقتبس/ 144.

مذكور، والذى قام به غير منسى، والذى وصل عنه غير مخفى، والأيَادِى عند أهل المعرفة لاتزال زاكية، والمِنَن لديهم لاتنفك نامية[142]».

وكتب الشيخ الفقيه القاضى أبو القاسم بن عذرة رسالة شكر وشوق إلى الأمير أبى عمران الموحد من الجزيرة الخضراء، متبعاً فيها قواعد الرسائل الديوانية التى انفرد بها الكتاب الموحدون؛ من استهلال بذكر المرسل إليه، وتعداد نعوته، والدعاء له، وذكر إسم المرسل، والسلام على حضرة الأمير، والحمدلة إلى آخر الصدر، وذكر مصدر الرسالة، والختم بالدعاء مع ذكر التاريخ، هذا فضلا عن تدبيجها بألوان البيان، وضروب البديع، وهذا نصها :

«حضرة السيد الأجل المكرم الأسْنَى الهمام الأوحد الأمجَد المجَارَك الميمون الموفق الاسدى أبو عمران بن السيد الأجَل المعظم الأرفع الأزهد الأطهر المؤيد الأسعد الازكى أبو موسى بن سيدنا ومولانا الامام الخليفة أمير المؤمنين مكن الله سعدَها، وخلد شرَفَها البَاهِر ومجْدَها، وشكر عن الكل مذهبها الجميل وقصْدَها. عبدها المستند إلى علائها، الشاكر لنعمائها، المستظل بظل لوائها، الراغب فى بركة دُعائها، عبد الرحمن بن عمر بن عذرة، سلام كريم مبرور على حضرة سيدنا ورحمة الله وبركاته، وبعد حمد الله تعَالَى إلى آخر الصدر المعهود. فكتب العبْدُ من الجزيرة الخضراء — حرسها الله — وبركات الأمر العزيز — أدامه الله — متوالِيَة. وبشائره مع الأيام رَائِحة غادية. والحمد الله على السَّنَن الذى أسْلكه يا سَيدنا الامجَد فى طاعتكم وخدمتكم، والمقصد الذى أتوخَّاه وأعتمده من شكر نعمتكم السابغة ومنَّتِكم، والشوق الشديد الذى أجده إلى لِقائكم الاسعد ورُؤْيَتِكم، والدعاء الذى أرده إلى الله تعالى فى أن يزيد فى سُمُو درجَتِكم، وأن يتفضل على وعلى أهل المكان بتقريب أوْبَتِكم، فقد كان بأنسكم معموراً، وبحلول

142 — ص ض 293

يُمنكم وبركتكم فيه مشهُوراً مذكورا. وكان أهله كافَّة يمسون ويصبحون من هديكم ، وكرم سعيكم، فى حرم آمن، ويشربون من حسن معتقدكم وجميل مقصدكم ماء غير آسن. وكان طلبته يشتملون برداء إحسانكم، ويَردُون المورِد العذبَ من بشرِكم وامتنانكم. وإنّى لأتذكر معهم بَهَاءَ مجلسكم الكريم، ضِيَاء نوركم الذى سرى إليكم من المنصب العظيم، والهدى المستقيم، فيزداد الشوقُ أضعافاً، ويهز من الجميع جوانب وأعطافا، ويوقد من الحنين ما نرتشفه ارتشافا، ونعتكِفُ على تَجرُّعِ وجْدِه اعتكافا. فلو تخيل مجدكم ــ أيّد الله أمركم ــ قدر مَا بعبيده من الاستيحاش لمغيبكم عنهم ساعة، لا عمل فى تلافيهم بالاياب المأمول أو فى الجهد والاستطاعة، فما لهم أنس إلا بحضرتكم، ولا بشر إلا فى رؤيتكم، ولاحياة إلا فى محاورتكم ومذاكرتكم. وأنهم لتلك الأيام المعظمة لحامدون، وبقدر نعمة الله تعالى عليهم فيها لعارفون. هذا فى حق الجميع على العموم فكيف ياسيدنا فى حق عبدكم وإخوته على الخصوص الذين رزقوا من المعرفة بقدر تلك الحقوق المكرمة ما رزقوا، وارتزقوا من ثمارها العذبة الجَنَا ما ارتزقوا. إنهم لهم الذين ذهب بهم الشوق كل مذهب. وارتقى بهم كل مرقب. فهم المتشوقون لايابكم الأكرم ورحمة الله تعالى وفضله، والمستعطفون مع السَّاعات والاوقات جُودَه العظيم وطَوْله، ولو كان القدر بالاختيار ما غاب العبيد عن ذلك النور طرفه عين. ولكانوا منه فى كل مكان يحله رأى العين. والله ينطم بذلك السودد شملهم، ويصل به حبلهم، ويديم ببركته إنسهم وظلهم، ويصنع لكم ياسيدنا فى كل مقام ومرام أفضل من الصنع واسْنَاه، وأتمه وأعمه وأكرمه وأوفاه. والسلام الأطيب الأحفل الأوْفَى، المعاد الردد الموصول المستوفى، من عبدكم، وإخوته المنقطعين إلى مقامكم، المتجملين بأوقاتكم السعيدة، وأيامكم على حضرتكم السنية الزكية، ورحمة الله تعالى وبركاته، فى التاسع من رمضان المعظم سنة ثنتين وستمائة[143]».

143 ــ ص : 305

وكتب أبو الحسن بن وضاح[144] رسالة جيدة عن الطلبة الذين بإشبيلية والكافة من العلية إلى حضرة الخليفة المنصور الموحد من أجل تقديم فروض الطاعة والولاء، وشكر عوارف الحضرة الامامية المتوالية، وقد افتتحها بالمقدمات الفنية للرسالة الديوانية، بما فى ذلك الترضية عن الامام المعصوم، المهدى المعلوم، والدعاء للامام الخليفة، وللأمير أبى عبد الله. وختمها بالدعاء والسلام دونما ذكر للتاريخ.

ويتفنن الكاتب فى أسلوب الرسالة، مستعملاً أساليب البيان فى التصوير؛ الذى أبدع فى بعض مظاهره الحسية، ومتأنقاً فى محسنات البديع اللفظية والمعنوية، وخصوصاً فى السجع الذى التزم به فى الرسالة كلها، وهذا نصها : «الحضرة الامامية، المعظمة المقدسة العليّة، حضرة سيدنا ومولانا الامام الخليفة المنصور الناصر لدين الله، أمير المؤمنين ابن سيدنا الامام الخليفة أمير المؤمنين ابن سيدنا الامام الخليفة أمير المؤنين وَصَل الله دوام نصرها، وإعزاز أمرها. عبيدها الشاكرون لجزيل نعمائها المتقلبون فى مِنَنِها الجمة وآلائها. الطلبة الذين بإشبيلية والكافة من أهلها. سلام طيب كريم، مبارك عميم، على مقام الحضرة الامامية المعظمة المقدّسَة العَلِيّة ورحمة الله تعالى وبركاته. وبعد حمد الله على جزيل مامنح من نعمه وآلائه. والصلاة على محمد نبيه ورسوله خاتم رسله وأنبيائه. والرضى عن الامام المعصوم المهدى المعلوم. محى رسم الدين بعد دُرُوسِه وامحائه. وعن خليفته الامام أمير المؤمنين الجارى على سننه الكريم، ونهجه القويم، فى هديه واهتدائه. وعن الخليفة الامام أمير المؤمنين ابن سيدنا الامام الخليفة أمير المؤمنين متقبل شرفه الصميم ومجده وسنائه. وموالاة الدعاء والاسترضاء لسيدنا ومولانا الامام الخليفة المنصور الناصر لدين الله أمير المؤمنين ابن سيدنا الامام الخليفة أمير المؤمنين ابن سيدنا الامام الخليفة أمير المؤمنين ابن سيدنا الامام الخليفة أمير المؤمنين بالنصر الأعز والفتح الأكمل

---

144 ـــ هو عمر بن موسى. انظر الذيل والتكملة : 5/ 2. ص : 471.

الأعم على كافة أعدائه، ومواصلة الدعاء بدوام ذلك للأمير الأجل أبي عبد الله فرعه الأزكى الأتقى الأطيب راعى عهده ونجله الأيمن الأسعد الانجب، واستمرار أجمل الصنع وتماديه واستيلائه. فكتبه عبيد الحضرة العلية الامامية المعظمة المقدسة كتب الله لها اتصال ما عودها من طلوع عميم البُشائر عليها والمسرات، وانثيال جزيل الفتوحات لديها والخيرات. من مدينة إشبيلية ــ حرسها الله ــ عن ما يجب على العبيد ويتعين من التزام طاعة أوامرها العالية، وشكر عوارفها المترادفة المتوالية. والرب سبحانه يحمل العبيد من شكر هذه النعم الجسيمة التى الغائب بالحاضر من عبيد الحضرة الامامية أعلى الله مقامها وخلد أيامها، فى أخذهم منها بالحظ الأوفر لها قبلهم بمنه وكرمه. وإن العبيد أدام الله للحضرة الامامية المعظمة المقدسة العلية اعتلاء مقامها، وتخليد أيامها ــ لم يزالوا أبداً متشوقين إلى ما يصدر عن مقامها الأعلى خلده الله مما عهدوا أن يعتمدهم من الخير ويتوخاهم، مترقبين لما ألِفُوا أن يرد عليهم من النظر الجامع لصلاح أحوالهم فى دنياهم وأخراهم. موقنين بأنه الهادى المرشد لهم بالوصايا النافعة والحكم البالغة والمواعظ الناجعة إلى ما يزلف عند الله تعالى فى مماتهم ومحياهم، واثقين بأن نظر المقام الأعلى ــ خلده الله لهم ــ لا يزال يلتفهم ويتعهدهم بكل أمنية من الحفظ والرعاية، ولا ينفك يتحراهم ويتفقدهم بكل رغبة عن الاحتياط والحماية، وكيف لايكون التشوف من العبيد نحو إرشاد المقام الأعلى دائما والترقب له متصلا والثقة بجميل نظر سيدهم ومولاهم ــ خلد الله ملكه ــ متمكنة دائمة مستمرة وهو ظل الله الظليل عليهم ورحمته الواسعة فيهم وأمنة وأمانة المتصلان منه في قاصيهم ودانيهم، والله يخلد أمرهم العزيز تخليد تعاقب الليالي والايام، ويجمع على طاعتهم في المشارق والمغارب قلوب كافة الأنام، بقدرته وعزته. وإن ما جمع للعبيد أمر دينهم ودنياهم وحواه، وقرن لهم بين عاجل الخير وآجله في ذلك واستوفاه الكتاب الكريم العزيز الواصل إليهم من مقر العلم ومعدن تقيل أنوار الهداية ومحل الامامة والخلاقة حيث لا تقتبس الأنوار إلا منها،

ولا تهدى الافكار إلا بما تأخذ عنها، لقد أشرفت بما تضمنه من الأنوار الساطعة والآثار البينة الواضحة الأبصار والبصائر، وخلصت له بضرورة العقل من مسلم مومن موحد المعتقدت والضمائر، واستوى في معرفة صدق ما ألقاه من البراهين القاطعة للشك البادى والحاضر. والله تبارك وتعالى يوزع العبد شكر المنة العظمى فيه، وحمد النعمة السابغة فيما اقتضته ألفاظه الصادعة بالحق ومعانيه بمنه، ولما وصل — وصل الله للحضرة الامامية المعظمة المقدسة العلية دوام نصرها، وإعزاز أمرها — وانتهى إلى العبيد خبر وروده ووصوله، ألقى في روع كل منهم قبل سماعه أن خير الدنيا والآخرة حصل لهم في مضمنه ومحصوله، وأن البغية التي يبتغونها من طاعة الله ورسوله، إنما يتوصلون إليها ويحوزونها بقبول ما يلقيه المقام الأعلى — خلده الله — عليهم، وينهيه اليهم، تبادروا نحو سماعه للحين، ملبين مهطعين، تطير بهم أجنحة السرور وتسعى بهم أقدام الابتهاج ويحدودهم حادى الحرص الذي عندهم على الطاعة المتعينة، ثم لما استوعبوا سماع جميع ما تضمنه من الفصول التي لا يكون الفوز في الدارين والسعادة فيهما إلا بمن اهتدى بأنوارها، واقتدى بمعالها النيرة الواضحة وآثارها؛ تلقوها بالتعظيم والتبجيل، وتقبلوها شرحها الله لقلوب الخير ببركة ورودها عليهم أحسن قبول، وعلموا وتيقنوا أن أنوار المقام الأعلى — خلده الله — هي الهداية لهم بالاملاء الكريم إلى معرفة حقيقة دينهم من كتاب الله وسنة الرسول، ولم يجعلوا الأحد ممن بلغ التكليف أو ناهزه في غير الاشتغال بدراسته من سبيل، وأخذوا بتحصيله كافة نسائهم وصبيانهم وإمائهم دون تقصير في وقت ولا تعطيل، فهو يتدارس بالأبدية والأننية، ويتلى حق تلاوته ابتهاجا به في وهدة أو ثنية، قد عمرت بدراسته المساجد والمحاضر وأعملت في انتساخ نسخته إلا مدة والأقلام والمحابر، وتساوى في ذلك كله القريب والبعيد والبادي والحاضر. والله تبارك وتعالى يوفق العبيد لما فيه رضاه ورضى سيدنا ومولانا الامام الخليفة أمير المؤمنين. ويحسن عونهم على شكر هذه النعمة الجسيمة

التي أنعموا بها على عبيدهم وعن سائر نعمهم الجزيلة أفضل جزاء الأئمة المنعمين المحسنين، ويمنحهم على ذلك خير منح الخلفاء الراشدين المرشدين، ويخلد أمرهم العزيز العالى إلى يوم الدين. بكرمه وعزته لارب سواه والسلام الكريم، الطيب العميم، على مقام الحضرة الامامية، المعظمة المقدسة العلية، ورحمة الله تعالى وبركاته[145]».

ونختم هذه المختارات الرفيعة بالرسالة الديوانية الجيدة التي أنشأها مؤلف هذا الكتاب الكاتب البارع أبو القاسم أحمد البلوى، وهي إحدى درره المبثوتة في المجموع، كتبها عن أمير إشبيلية إبراهيم الموحد إلى الحضرة الامامية لشكر نعمها النعماء، وإطلاعها على أحوال بلاد الأندلس، والأحداث الكبرى التي وقعت في ساحتها.

وقد اقتفى البلوى فيها الطريقة الجديدة للكتاب الموحدين، مع التفنن في صياغتها، وتدبيجها بالأساليب البيانية، والمحسنات البديعية، وبخاصة السجع الذي أمعن فيه، وأتى منه بالطريف. وهذا نصها : «الحضرة العلية الامامية المعظمة المكرمة القدسية المؤيدة المنصورة الزكية. مطلع الأنوار السامية، ومنشأ الخيرات النامية، ومثابة البركة الهامية، أدام الله تأييدها وحرس جلالها، كما مد على العباد والبلاد طلالها، ووصل لها ما عودها من علو المقام، ونصرالأعلام، كما أعلى بها كلمة الاسلام، وعرفها في كل حال واستقبال عوارف المسرات والبشر، كما أفاض أنوار عدلها وإحسانها على البشر. عبد مقامها؛ ومملوك إنعامها، المحافظ على ما أوجب الله من حقوق أعطافها، الداعي بمضاعفة سعودها ودوام أيامها. إبراهيم سلام كريم طيب مبارك عميم، يخص مقامها الأسنى، المخصوص بالحسنى، ورحمته الله وبركاته. وبعد حمد الله إلى اضخر الصدر. فكتب عبد إحسانها كتب الله

لو علو المقدار، ومطاوعة الأقدار، ونجاح الايراد في كل مقصود والاصدار. وبركات الحضرة الامامية ــ أيدها الله ــ عميمة على العباد بأنسكاب غمامها، وسعادتها كفيلة لمصالح البلاد بكمالها وتمامها، وأيامها العيدة تروق الأمة بافترارها عن ثغور السرور وابتسامها، ونعمها المتوالية ــ شكرها الله ــ تستغرق حمد الحامدين شكر الشاكرين بترادفها وتضاعف أقسامها، ولله على ذلك الحمد[146]الذي[147]يقضى بمزيد النعم ودوامها. وأحوال هذه الجهات ــ وصل الله تأييد الحضرة القدسية ــ جارية من الصلاح الشامل على ما اقتضته البركة الامامية؛ فالبلاد[148]ــ والحمد لله ــ في تمهيد وسكون، الرعية في استبشار وهدون، والمصالح منتظمة الانواع والفنون، وسعادة الخلافة المباركة قد اتضح دليلها واستبان جليلها للقلوب والعيون، فسحاب النعم بها على البلاد تصوب، وثمرات المصالح بها للعباد تطيب، وشمس البهجة والمسرة في كل مكان تشرق ولا تغيب. وأما الزرع فالآمال بكثرته وصلاحه في هذا العام مبسوطة، وهذه الجهات بماأعطاها الله منه مغبوطة؛ فإن الناس كانوا قد بذلوا في الاكثار من الازدراع في الثغور وغيرها جهدهم، وأنفقوا فيه متنافسين ما عز وهان عندهم، ووثقوا من السعادة الامامية بما يسوغهم بفضل الله أمنهم وينجح لهم قصدهم. فامثلأ به البسط غورا ونجدا، واتسع الأمل فيه للمسلمين جدا، ودرت عليه أخلاف السحاب، بجميل صنع العزيز الوهاب، فقرت العيون بحسر صفاته، وامتدت الأيدي ضارعة إلى الله في ن يخلصه للمسلمين من جميع آفاته، وذلك كله ــ والحمد لله ــ ببركة الخلافة الميمونة ــ أدام الله أيامها، وحرس مقامها ــ فببركتها

146 ــ امحاء حرفي الميم والدال

147 ــ سقوط ألف التعريف.

148 ــ امحاء الألف والذال من آخر الكلمة.

يؤمن الله البرية ويصلح نظامها، وبسعادتها يسعد الله الرعية وييسر مرامها. وبعد، وصل الله للحضرة الامامية ما عودها من النصر والتمكين، وأنجز لها ما وعدها من الفتح المبين، فإن الله سبحانه بما له بها من العناية المطردة العادة، الجارية على وفق السعادة، لايزال يسبب لها أسباب المسرة تسبيبا، ويشبب لها حلى النصر تشبيبا، ويسمعها من غرائب التكييف وبدائع الصنع اللطف عجيبا فعجيبا. ومن ذلك وصل الله إعلاء أمرها وإعزاز نصرها، كما باهى العصور بسعادة عصرها، إن الواردين من الثغور في هذه الأيام قد كانوا يتقولون بارتباط صلح بين النصرانيين ـــ خانهما الله ـــ صاحب قشتالة وصاحب ليون وأمر الله في نقص عزائمهما الخبيثة بين الكاف، والنون «إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون».

وورد الآن على العبد كتاب المقدم بماردة يذكر أن ابن صاحب ليون وابن صاحب قشتالة اجتمعا وقعدا فى موضع واحد منهما الشفوف لنفسه ولأبيه على الثانى، ثم آل بهما التفاخر إلى أن تلاطما، وارتفع بينهما عُبُاب الشقاقَ وطما، وانتصر لكل واحد منهما فريقه الحاضرون، فاقتتل الفريقان للحَين والحِين، وعجل الله من أرواحهم إلى النار بنحو خمسين، وهذهُ مسرة كبيرة وداعية مبيدة لجمعها الذميم بفضل الله ومبُيرة، تنتج بفضل الله مسرات كثيرة، والمسرات ـــ والحمد لله ـــ ببركة الحضرة الامامية ـــ أيدها الله ـــ تنساق فى أحسن نظام، وتنقاد فى أسمح زمام. والله يوالى منها ما يقضى بذلة الكفر وعزة الاسلام، ويطلع من أنبائها المبشرات ماتتهلل به أسرة الليلى والايام، وتخطب به على منابر الانامل ألسنة الاقلام، ويطيل بقاء الحضرة الامامية منصورة الاعلام مصنوعاً لها الصنع الجميل فى كل مرام، ويجعل دعوتها راقية، وكلمتها باقية إلى يوم الدين إنه ولى الاحسان والاءنعام[149]».

149 ـــ ص : 210 ـــ312

هذه بعض الشذرات النثرية من فنى الترسيل والترجمة، التى أمكن عرضها فى خاتمة هذا البحث التراثى المتواضع، وهى غيض من فيض، مما تضمنه هذا المؤلف الجليل. وإذا لم أبالغ فإن جميع ما انتقاه الجامع أبو القاسم البلوى يعد من روائع النثر الفنى فى عصور الأدب العربى والاسلامى الزاهرة.

وتنضح نصوص هذه المجموع بعدة معطيات، أهمها :

1 ـــ استمرار التواصل الثقافى بين الغرب الاسلامى فى عصرى المرابطين والموحدين، والشرق العربى الاسلامى، وبالخصوص فى مجال النثر الفنى، الذى برز فيه أعلام أفذاذ كان لهم رسوخ فى الأدب، وعطاء جزيل فى فن الترسيل. وقد ساعد على هذا التواصل، وتوطيد آصرته، تبادل المكاتبات بين الكتاب المغاربة والمشارقة، والرحلات العلمية.

2 ـــ تبادل عاملى التأثر والتأثير بين أعلام الكتابة في الغرب والشرق الاسلاميين فى شتى فنون النثر، وبالأخص فى فنى الرسائل والتراجم، اللذين أبدع فيهما الكتاب المغاربة أيما إبداع.

3 ـــ ازدهار فنى الترسيل والتراجم فى عصرى المرابطين والموحدين بمغرب الوحدة، حيث نبغ فيهما عدد كبير من الأعلام الذين ذاع صيتهم، وخلفوا لنا آثاراً جليلة، تحتفظ خزاناتنا المغربية بالكثير منها المخطوط.

4 ـــ براعة الكتاب المغاربة فى فنى الرسائل والتراجم، حتى بذوا الكثير من الكتاب المشارقة، وتفننهم فى جانب الصياغة، وجنوحهم إلى الصنعة البديعية، شأنهم فى ذلك شأن إخوانهم المشارقة الذين كانوا أكثر إمعان فيها إلى حد التكلف والاسفاق.

وقد كان الكتاب المغاربة يصدرون في الزخارف البديعية التي يدبجون بها

كتاباتهم، عن ألمام بعلوم اللسان العربي، وخصوصا علمى البيان والبديع اللذين كان لهم بهما تمرس كبير.

5 ــ التزام الكتاب المشارقة والمغاربة بالسجع في كتاباتهم الفنية، وتحكيم سلطانه فى الرسائل بنوعيها : الاخوانية والديوانية، وكان حرص الكتاب المغاربة شديدا على التفنن فى ألوانه، والاتيان بالطريف منه، مع الميل أحيانا إلى التكلف.

6 ــ تفرد المجموع بعدد كبير من الرسائل الديوانية الموحدية الجديدة، التى لم يسبق نشرها، وهى ترسم صورا حية عن ملابسات العصر الموحدى وتحولاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية، هذا فضلا عن صورة الحياة الثقافية التى بلغت أوج ازدهارها، ولاسيما في ميدان الأدب.
وتفرده أيضا بعدد من التراجم الأندلسية الجديدة المستاقاة من مصدر كان يعتبر مفقودا.

7 ــ تميز المجموع بقيمته التراثية التليدة، والادبية الرفيعة، إذ يحتفظ لنا بآثار كتاب مشارقة ومغاربة، ابتداء من عصر العباسيين ودولة البويهيين بالمشرق، وملوك الطوائف بالاندلس، ومرورا بعصر المرابطين، وانتهاء بعصر الموحدين فى مغرب الفتوح، وهى عصور ذهبية للاسلام كان فيها الشرق والغرب الاسلاميات منارين للاشعاع الروحى والحضارى في العالم الذى كانت تنتاي الكثير من أرجائه موجات من الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء.

8 ــ بروز ملامح شخصية المؤلف الأدبية، سواء على مستوى انتقاء النصوص النثرية فى فنى الرسائل والتراجم، أو مستوى المساهمة برسائله الديوانية، فهو أديب بارع له إلمام بقواعد فن الترسيل، ومهارة في الصنعة البديعية دونما أغراق أو ابتذال.

9 ــ إتاحة «المجموع» الفرصة الذهبية للمؤرخين، وخصوصا مؤرخى الأدب، كى يطلعوا على الجوانب الخفية والغامضة في تاريخ مغرب الوحدة. والحق إن الكتاب يعتبر من أنفس المصادر الأدبية والتاريخية، فمجال الدارسة فيه خصيب. وإنِ مؤلفه أحمد البلوى أحد رواد الكتابة، وتصنيف المجاميع الأدبية بالغرب الاسلامى في عصر الموحدين الزاهر.

مكناس

إدريس العلوي البلغيثى

الوجود المغربي في المشرق
من خلال كتب التراجم المشرقية

حسن الصادقي

تواجد المغاربة بشكل أو بآخر في عدد من أقطار العالم الاسلامي، ومثل ذلك أحد وجوه العلاقات بين المغرب الأقصى وباقي الأقطار الاسلامية الأخرى بصفة عامة والمشرقية منها بصفة خاصة، وكان لهذا التواجد أسباب ونتائج.

وطبيعي أن يتجه الباحث أولا، نحو المصادر التي ترشده إلى هذا التواجد وتوضح بعض صوره ودوافعه وما ترتب عنه، وتعطيه بعض الاجابات عن تساؤلاته.

وكما هو معلوم فالمصادر متنوعة ومتعددة خاصة كتب الحوليات والرحلات، لكن خروجا عن التقليد المتبع في استخدام مثل هاته المصادر، ارتأيت أن أعتمد بالأساس على نوع آخر من المصادر ويتمثل في كتب التراجم المؤلفة خارج المغرب، المشرقية منها بالخصوص، وهذا ليس من مبدأ خالف تعرف، ولكن محاولة مني لفت انتباه الباحثين والمثقفين إلى ضرورة الاهتمام بكتب التراجم وقراءتها من جديد. فعلى أي أساس تم اختياري لهذا النوع من المصادر ؟

التراجم والتاريخ :

قبل محاورة هذا السؤال، لابد من الاشارة أولا إلى مدى الارتباط الموجود بين التراجم والتاريخ، وهذا ماجعل من التراجم نوعا آخر من التاريخ أطلق عليه اسم 'كتب تواريخ الرجال'. وساهمت بصفة خاصة في كتابة التاريخ الاسلامي منذ بدايته «وبذلك أصبح التاريخ في أذهان كثير من المسلمين مرادفا تقريبا للتراجم وسير الرجال»[1].

ولايجب إغفال ما لكتب التراجم من أهمية في مجال البحث التاريخي. إذ أنها تشكل وثائق حية لعصر ما لما تتضمنه من معلومات متنوعة. ودراستها تعطينا قابلية معرفة التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي والديني لمنطقة من المناطق أو بلد من البلدان «لأن كتب التراجم لاتخلو من استطرادات تتعلق بجوانب من حياة البلاد الداخلية»[2]، وهذا ما جعل البعض يقول : «ان الترجمة قد تلخص فترة كاملة»[3].

وليس بمقدور المثقف عامة والمؤرخ خاصة، الاستغناء عن كتب التراجم بأية حال من الأحوال، إذ أن الوثائق والنصوص لايخلو منها ذكر علم من الاعلام، ومفتاح حل بعض الغموض الذي تتضمنه النصوص يتمثل في كتب التراجم «لأن الكشف عن الاعلام التي يكثر ورودها في النصوص والوثائق يزيد هذه النصوص والوثائق وضوحا ويقربها من الأفهام»[4].

1 – ف.روزنتال علم التاريخ عند المسلمين/ترجمه صالح أحمد العلي بغداد 1963 ص. 142.
2 – بروفنسال، مؤرخو الشرفاء/ت عبد القادر الخلادي الرباط 1397–1977، ص. 55.
3 – Reinhard M. : L'Enseignement de l'histoire. Paris 1967. Page 144.
4 – أمجد الطرابلسي، نظرية تاريخية في حركة التاليف عند العرب ج. 1 ص. 118.

وبعد فعلى أي أساس جاء هذا التبني لكتب التراجم وما هو الدافع الذي جعلني أعتمد عليها بالذات ؟

للاجابة على ذلك يجب التذكير بالمكانة والأهمية التي تكتسبها كتب التراجم المشرقية في الدراسات التاريخية.

أهمية كتب التراجم المشرقية بالنسبة لتاريخ المغرب :

بعد الاطلاع على كتب التراجم المشرقية وقراءتها وجدنا أن أهميتها تتجلى في النقط التالية :

1 ـ انها تعتبر من المصادر الدفينة لتاريخ المغرب لأنها ألفت خارجه.

2 ـ

أنها تمكن الباحث المغربي من استخراج تراجم مغربية دفينة وشبه مجهولة خاصة تراجم الذين وجدوا بالمشرق واستقروا به وعاصروا مؤلفي كتب التراجم.

3 ـ

انها تضم افادات وتمدنا بمعلومات عن الجانب الثقافي والاجتماعي والديني والاقتصادي والعمراني ... إلخ. فهي تحتفظ لنا بأسماء الكتب التي ألفها المغاربة في المشرق والعلوم والآداب التي درسوها أو درّسوها وأسماء الشيوخ والتلاميذ والمدارس والزوايا والمدن التي استقروا بها وزاروها والطرق التي سلكوها.

4 ـ

انها تعطينا بعض الاجابات عن العلاقات بين المغرب والمشرق بل والعالم الاسلامي ككل، نوعيتها، دوافعها، نتائجها. وهذا على سبيل المثال لا الحصر إذ ان كل باحث يجد ما ينشده في نصوص هاته التراجم.

وانطلاقا من هاته الأهمية وجهت اهتمامي إلى هذا النوع من المصادر وتمكنت من الخروج بنصوص تراجم تهم المغرب الأقصى[5].

ماذا يمكن الخروج به من خلال قراءة نصوص التراجم المغربية ؟

ان القاريء لنصوص هاته التراجم ليخرج بانطباع أولي، هو أن اهتمام كتاب التراجم المشارقة بالترجمة للاعلام المغربية، ناتج عن الوجود الفعلي والواضح لهؤلاء المغاربة في عدة اقطار من العالم الاسلامي عامة، والمشرق خاصة.

والحديث عن هذا الوجود يدعو بالضرورة إلى التساؤل عن أسبابه ودوافعه. إذ لايذكر وجود مغاربة في المشرق وغيره من البلاد الاسلامية، دون أن يتبادر إلى الذهن البحث عن أسباب ذلك.

وقبل طرح هاته الاسباب والدوافع، يجب ملاحظة ان الحدود الطبيعية والسياسية، لم تمنع حركة التنقل بين مختلف اقطار العالم الاسلامي سواء بالقوافل البرية أو بالمراكب البحرية، رغم طول مدة الرحلة ومخاطرها.

ومن الملاحظ أن الوجود المغربي، لم يقتصر على البلاد الاسلامية فقط، بل تعداه إلى البلاد المسيحية بحكم عدة عوامل، وهذا ما يدفع بالضرورة إلى توسيع مجال البحث عن أسباب هذا التواجد في البلاد الاسلامية والبلاد المسيحية على حد سواء.

أسباب ودوافع التواجد المغربي في الاقطار الأخرى :

يمكن استنتاج هاته الاسباب والدوافع انطلاقا من نصوص التراجم، وبعض نصوص كتب الرحلات والحوليات.

---

5 – انظر مدا خلتنا عن «أعلام مكناس في المشرق». ندوة الحاضرة الاسماعيلية الكبرى، كلية الآداب مكناس ــ أكتوبر 1986.

وعليه فقد لايختلف اثنان حول هاته الاسباب التي تتعدد وتتنوع، مع ملاحظة انها مرتبطة ببعضها البعض، ومتداخلة فيما بينها، وقد يكون احدها سببا رئيسيا، وثانيها سببا ثانويا حسب ظروف هذا الشخص أو ذاك، فبعض الاسباب تدفع إلى الاتجاه نحو العالم الاسلامي، وبعضها الآخر تدفع أو تجبر على التوجه إلى الأقطار المسيحية.

ويمكن توضيح هاته الاسباب في العوامل التالية :

1 ــ العامل الديني :

يمثل العامل الديني السبب الرئيسي والأول لأغلبية المتوجهين إلى المشرق الاسلامي، إذ كانت بلاد الحجاز والاماكن المقدسة، ولاتزال المقصد الأول لكل مسلم، تشد إليها الرحال من كل حدب وصوب، لأداء فريضة الحج وزيارة قبر الرسول ﷺ، وبعد اداء مناسك الحج والزيارة، كان الحاج، حسب رغباته وقدراته يقصد المزارات الدينية الأخرى كالمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين، وقبور الانبياء والصحابة والأولياء في كل من الشام والعراق ومصر وغيرها.

ويتبين بوضوح من خلال قراءة[24] نصوص التراجم المغربية، اثر العامل الديني كدافع رئيسي للرحلة إلى المشرق، حيث كان المغاربة يقبلون على الذهاب إلى الديار المقدسة، والمجاورة بها إلى أن تحضرهم الوفاة أحيانا.

جدول

الترجمة	الاشارة إلى العامل الديني
محمد بن محمد العبدري السبتي	'خرج من بلده بغية الحج والمجاورة إلى الموت' (1)
موسى بن علي المراكشي	'ورد مكة في سنة (763) حاجا على طريق الصحراء' (3)
علي بن عبد الله المكناسي	'حج... وجاور... توفي بمكة' (3)
محمد بن ابراهيم السبتي الرقاء	'دخل الاسكندرية والديار المصرية طالبا للحج' (4)
عبد الرحمن بن محمد السجلماسي	'قدم من بلاده إلى الحج' (5)
علي بن عتيق الفاسي ابن الصياد	'رحل من بلاده للحج' (6)
عبد العزيز بن عبد الواحد المكناسي	'خرج من المدينة المشرفة بنية زيارة القدس الشريف فزاره وزار الخليل في طائفة من الانبياء' (7)
أحمد بن محمد اللجائي الفاسي	'سافر حاجا... ووصل مكة... وتردد منها للزيارة النبوية' (8)
محمد بن محمد الزموري	'ارتحل بعد موت ابويه... فحج واستوطن المدينة' (9)
أحمد بن عبد العزيز السجلماسي	'حج وجاور بمكة' (10)

علي بن عبد الواحد السجلماسي	'رحل بعد الأربعين من بلاده فحج'[11]
علي بن العربي الفاسي	'ورد مصر حاجا'[12]
أحمد بن علي الجزولي السوسي	'ورد إلى مصر... فحج'[13]
محمد وأبو بكر ابنا التاودي الفاسي	'وردا مع أبيهما في تلك السنة للحج'[14]

مصادر الاشارات إلى العامل الديني :

(1) التقي الفاسي. العقد الثمين 2 : 336
(2) المصدر نفسه 7 : 300
(3) المصدر نفسه 6 : 181
(4) ابن الصابوني. تكملة الاكمال ص 170
(5) أبن حجر الدرر الكامنة 2 : 451
(6) ابن حجر الدرر الكامنة 3 : 152
(7) ابن الحنبلي. أعيان حلب ج 1 ق 2
(8) السخاوي. الضوء اللامع 2 : 163
(9) السخاوي. الضوء اللامع 10 : 41
(10) المحبي. خلاصة الاثر 1 : 236
(11) المحبي. خلاصة الاثر 3 : 175
(12) الجبرتي. عجائب الاثار 2 : 348
(13) الجبرتي. عجائب الاثار 2 : 267
(14) الجبرتي. عجائب الاثار 2 : 267

2 ــ العامل الثقافي :

يعتبر هذا العامل من الاهمية بمكان، فقد حث الرسول ﷺ على طلب العلم والرحلة في سبيله 'اطلبوا العلم ولو في الصين'، ولأن 'البحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة' كما جاء في الحديث[6].

ومن الملاحظ أن العامل الثقافي مرتبط بالعامل الديني، فمع أن موسم الحج هو، أولا وقبل كل شيء، موسم ديني، إلا أنه يعتبر كذلك ملتقا ثقافيا

6 - الابشهي المستطرف ص. 19 بيروت (بت).

اسلاميا يجمع نخبة طيبة من العلماء، وان جاز التعبير، فهو جامعة ثقافية اسلامية موسمية، يتسنى فيها للحجاج، الحضور العفوي في هذا الملتقى، ولا يقتصر هذا الحضور على النخبة المثقفة فقط، بل يشمل حتى غير المثقفين الذين اتوا برسم الحج، إذ أن حلقات الوعظ والارشاد والحديث، وجلسات العلم والادب، كانت ولا تزال، تعقد في رحاب المسجد الحرام والمسجد النبوي، ويحضرها كل من يرغب في التفقه في دينه، ومن يريد لقاء فطاحل العلماء والسماع المباشر منهم.

كما يتمكن المرء، في هذا الموسم، من الحصول على اخبار الكثير من البلاد الاسلامية فهذا المحبي صاحب خلاصة الاثر يقول 'فلما من الله علي وله المنة والمنحة التي لايشوبها كدر المحنة بالمجاورة في بيته المعظم والالتقاط من بحار أهليه الدر المنظم تلقيت من الافواه تراجم لاناس يسيرة'[7].

هذا ولا يجب اغفال النقط التالية :

1) ان طرق التدريس حتمت على طلاب العلم، الرحلة لحضور حلقات الدروس والسماع المباشر من رواة العلم وكتابة ما يملى عليهم.

2) ان مدارس الشرق شكلت عامل جذب لطلاب العلم واساتذته من العلماء، أما للدراسة واخذ العلم، أو للتدريس وتلقينه.

3) ان مقدار العالم غالبا لا يعرف إلا بعدد الشيوخ الذين التقى بهم واخذ عنهم أو أخذوا عنه، أو أجازوه واجازهم اذ «تحتل فكرة ضرورة الأخذ عن الشيخ مباشرة والجلوس إليه أهمية كبرى في التعليم الاسلامي»[8].

---

7 – ج. 1 : 3.
8 – محمد عبد الرحيم غنيمة، تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى تطوان ص 212

4) ان الراغب في طلب العلم وتعليمه وتعلمه، يجد المكان الذي يأوي إليه في المساجد والمدارس والزوايا والربط، بل وحتى في دور شيوخ العلم وأهل الجاه والسلطان.

إذ يذكر أبو عبد الله ابن مليح في رحلته ان بالجامع الازهر 'خمس رواقات للغرباء من حملة القرآن ومن يتعاطى العلم من أهل المشارق والمغارب تجرى لهم الاقوات في كل الأوقات'[9]. وهاته الاروقة نجدها كذلك في القدس وغيرها من الحواضر الاسلامية.

ونجد أن قاسم بن سعيد الدكالي 'قدم دمشق وتوطن بالمدرسة السمساطية'[10] وهذا ابن سليمان الروداني 'اقام في دمشق في دار نقيب الاشراف'[11].

وأوضح مثال للدافع الثقافي أن الاديب الشاعر حسين بن قاسم الدرعي يصرح لمعاصره القاضي الطبراني الذي سأله عن سبب تغربه وقدومه إلى دمشق قائلا : 'كان في نفسي مشاهدة افاضل الديار الدمشقية والتعبد بالجامع الاموي'[12]. كما أن محمد بن محمد الطيب التافلالتي'... ركب البحر إلى الجامع الازهر فطلب العلم بمصر سنتين وثمانية اشهر'.

---

9 – انس الساري والسارب. ت محمد الفاسي. فاس 1968 ص. 48.
10 – المرادي سلك الدرر 4 : 9.
11 – المحبي خلاصة الأثر 2 : 102.
12 – المرادي سلك الدرر 4 : 102.

المترجم له	الدافع الثقافي	المصدر
أحمد بن طاهر الفاسي	«من أهل العلم وقرأ علي أول وصوله إلى الثغر. ثم خرج إلى الحجاز ورجع إليه»	السلفي معجم السفر ص 50
محمد بن عبد الله ابن تومرت	«رحل إلى المشرق في شبيبته طالبا للعلم... وحج	ابن خلكان 4 : 137
محمد بن عبد الرحمان الفاسي	«قدم إلى ديار مصر فسمع بها... ورحل إلى دمشق	الفاسي العقد الثمين 2 : 97
محمد بن سليمان الجزولي	«دخل (تلمسان وتونس والقاهرة) وسمع الحديث	السخاوي الضوء اللامع 7 : 259
ابراهيم بن محمد السوسي	«دخل مصر.. وأخذ بها ثم وصل إلى مكة	المحبي خلاصة الأثر 1 : 44
حسن بن أحمد المكناسي	«قدم مصر.. وحضر درس الشبراملسي.. وحج	الجبرتي عجائب الآثار 1 :173
محمد بن الطالب بن سودة	«عقد... درسا حافلا بالجامع الأزهر.. حضرة غالب الموجودين من العلماء	الجبرتي عجائب الآثار 4 : 229
محمد بن سليمان الروداني	«رحل إلى المشرق ودخل مصر وأخذ عمن بها من أعيان العلماء ومر بطريقه على الرملة وأخذ بها»	الجبرتي عجائب المحبي 4 : 204
أبو سالم العياشي	«اجتمع بالشيخ حسن العجمي وأجاز كل صاحبه	الجبرتي 1 : 168
محمد بن الطالب بن سودة	لقي بمكة... وبالمدينة (جماعة) وأجازوه وأجازهم	الجبرتي 4 : 229

بيوتات مغربية اشتغلت بالتجارة في المشرق(مستخرجة من مخطوط مشرقي)

3 ـ العامل الاقتصادي :

ارتبطت التجارة الموسمية بفترة الحج خاصة، حيث كان التجار وغالب الحجاج يحملون معهم البضائع والسلع المغربية أو التي توجد في السوق المغربية، والتي يكون عليها اقبال في البلاد التي يمرون بها، ويجلبون في أيابهم، السلع المتنوعة التي تزخر بها أسواق المشرق.

وكانت التجارة في موسم الحج شيئا طبيعيا وضروريا للحاج والمسافر لسبب من الاسباب، إذ لابد من الحصول على موارد مالية لتغطية نفقات الرحلة والاقامة، مع العلم أن مدة الرحلة قد تتجاوز الفترة المحددة. وعليه فالبضائع كانت تسمح للمسافر بأن يحصل على نقود البلاد التي يمر بها إذا لم تكن له ذخيرة من الذهب، وتسمح له كذلك بالحصول على ما يرغب فيه من زاد وعلف عن طريق المقايضة.

فهذا أبو سالم العياشي يقول في رسالته إلى صديقه أبي العباس أحمد بن سعيد الذي عزم على الرحلة للحج، ومما جاء فيها :

'فإذا أخذت في تجهيز أمرك فاشتر شيئا من الجلد الاحمر فإنه نافق أمامك، وستصل إلى قرى لايعبئوا بالذهب ولا يعرفون له قدرا ولا يستخرج الانسان من عندهم ما يحتاج إليه من زاد وعلف دواب وتبن وحطب إلا بما يسميه الحجاج العطرية، وانفع ذلك القرنفل مع شيء من الكحل والسواك والزعفران والجاوي والمشط وشيء من الابر والكاغد والجناوي الصغار والالواح، فلا تخل نفسك من كل ذلك في ما يطلب من بلاد لا يطلب في غيره...

وأما البضاعة فإن وجدت التبر الجيد فهو أولى لك من المطبوع... وبع... ما بقي من الجلد الاحمر واشتر ما تحتاج من جلود البقر فقل أن تجدها أمامك

إلى مصر... وحيثما وجدتم السمن رخيصا... فاشتروه... فبيعوا ما وجدتم قيمته من دوابكم... وكل ما وجدتم من الابل الرخيصة... فاشتروها... حتى تبلغ مصر فتبيع التي قدمت عليها وتدخل الحجاز بالاخرى[13].

وكان التجار ينتظرون ميعاد خروج ركب الحاج المغربي ليدبروا أمرهم ويخرجوا بتجارتهم، ليمارسوها خلال الطريق مع الركب أو مع سكان المدن والقرى التي يمرون بها وأخيرا بالاماكن المقدسة ليبيعوا هناك ما فضل من بضاعة، وليشتروا أخرى تلقى الرواج في الاقطار المغاربية.

وأدى وجود تجارة منتظمة مع المشرق، إلى ظهور أسر مغربية اشتغلت بالتجارة واستقر بعض أفرادها بالمشرق، ووصلوا بتجارتهم حتى الهند. وحسب أحد المصادر المشرقية فإن هناك عدد من الاسر المغربية التي اشتغلت بالتجارة في الشرق وهاته الاسر تنتمي إلى مدن فاس وسلا ومراكش، ومنطقة سوس[14].

	نص الاشارة	ضبط في المصدر
بيت خلابة الفاسي	قدموا المدينة المنورة تجارا من الهند... وكانوا يتعاطون البيع والشراء والتجارة	116
بيت رمضان الفاسي	قدم المدينة المنورة... وكان رجلا كاملا يتعاطى التجارة	152
بيت عبد السلام السلاوي	قدم المدينة المنورة... وهو صاحب أموال عظيمة ويتعاطى البيع والشراء ويسافر إلى جدة المعمورة للتجارة	

13 – أبو سالم العياشي، الرحلة الصغرى، التعريف والايجاز. م خ ع الرباط ك 43 (304–307).
14 – الانصاري المدني، تحفة المحبين والاصحاب. م خ ع بالرباط ك 1221.

بيت ج. عمر القبيطي الفاسي	قدم المدينة المنورة... وكان يتعاطى التجارة وبيع القماش.	
بيت ج. علي اللعبي الفاسي	قدم المدينة المنورة... صاحب ثروة عظيمة وسافر إلى الهند لاجل التجارة	251
بيت ج. عبد السلام الحريشي	قدم المدينة المنورة... كان يتعاطى البيع والشراء والتجارة	115
بيت ج. محمد الابار الفاسي	قدم المدينة المنورة... كان صاحب ثروة يتعاطى التجارة	47
بيت علي الدقاق السلاوي	يتعاطى أنواع التجارة	
بيت ج. محمد ميارة الفاسي	قدم المدينة المنورة وكان رجلا مباركا، عاقلا، وكان يتعاطى بيع القماش	182
بيت ج. عربي المشاط الفاسي	قدم المدينة المنورة... وكان صاحب ثروة عظيمة	
بيت محمد المشاط الفاسي	سافر إلى الديار المصرية مرارا للتجارة	260
بيت ج. أحمد جسوس الفاسي	قدم المدينة المنورة... يتعاطى التجارة.	
بيت ج. محمد الغزواني المراكشي	قدم المدينة المنورة... كان يتعاطى بيع القماش...	102
	وصارت له ثروة عظيمة.	228
ولده عبد الرحمان	يتعاطى البيع والشراء، وصارت له ثروة عظيمة	
بيت ج. محمد السقاط الفاسي	قدم المدينة المنورة... كان صاحب ثروة	
بيت ج. أحمد الطالب السوسي	قدم المدينة المنورة... صاحب ثروة بسبب تعاطي	173
	البيع والشراء والتجارة	206
ولده عباس	اشتغل بالبيع والشراء	
بيت ابن عبد الله محمد الفاسي	يشتغل مع ذلك بالبيع والشراء في الحبوب...	207
	وصارت له ثروة	221

• مخطوط تحفة المحبين والاصحاب في معرفة ما للمدنيين من الانساب للانصاري عبد الرحمان المدني خ ع-ك 1221 الرباط.

4 ــ العامل السياسي :

لا يمكن أن يعزب عن بالنا ما للظروف السياسية الداخلية والخارجية من أثر في تواجد شخصيات مغربية في المشرق والاندلس بل وحتى البلاد المسيحية عبر العصور.

ونتمكن حسب النصوص التي بين ايدينا من حصر وتوضيح هذا العامل، كمايلي :

عوامل داخلية :

1–الفرار السياسي

2–هجرة الاقليات الدينية

عوامل خارجية :

3–القرصنة الاوربية

4–السفارة ومرافقة ركب الحاج المغربي

1–الفرار السياسي :

وهو سفر قسري، وتعبر النصوص عن ذلك باشارات دالة، مثل فرار، تغريب، اخراج، انتزاع، لجوء.

وقد ارتبط هذا الفرار أو التغريب بالاحوال السياسية الداخلية المتقلبة من دسائس وحروب ومؤامرات، داخل الأسرة الواحدة، وبين اسرة حاكمة وأخرى تتطلع إلى الحكم. ويؤدي هذا طبعا، إلى غالب ومغلوب، وإلى اضطهاد وتقتيل الخصوم، فيفر من ينجو منهم بنفسه، أو يغربون ويحملون على مغادرة البلاد.

فهذا مثلا أبو عبد الله محمد السلاوي ورد تلمسان فارا من بني مرين. وكذلك عبد الحليم بن عمر المريني 'نازعه عبد المومن ففر إلى بلاد التكرور'[15].

وأما أبناء عمر بن عثمان المريني 'فاخرجهم أبو عنان بن أبي الحسن إلى

---

15 – ابن حجر الدرر الكامنة.

الاندلس'[16] وحصل لمحمد بن عمر المرتضي أنه 'لما استولى المريني على المملكة انتزعه إلى الاندلس'[17] في حين نجد أن عبد الملك السعدي واحمد المنصور السعدي 'فرا إلى تلمسان خوفا على انفسهما، ولما تولى محمد المتوكل على الملك سار عبد الملك إلى اصطنبول'[18].

2–هجرة الاقليات الدينية :

كانت الاقليات الدينية المغربية، تتعرض احيانا إلى عنف وغضب العامة أو السلطات الحاكمة، لسبب من الاسباب. وطبيعي أن يبحث افراد هاته الاقليات عن ملجأ أمين، ويؤدي ذلك إلى خروجها وهجرتها إلى اقطار اخرى.

ولدينا حالة ذكرتها كتب التراجم المشرقية، وهي حالة الطبيب المغربي، ابن سمعون أبو الحجاج يوسف بن يحيى السبتي، نزيل حلب والمتوفى بها سنة 623 هـ. فقد ذكر القفطي أنه : «لما الزم اليهود والنصارى في تلك البلاد بالاسلام أو الجلاء، كتم دينه وتحيل عند امكانه من الحركة والانتقال إلى الاقليم المصري وتم له ذلك فارتحل بماله ووصل إلى مصر واجتمع بموسى بن ميمون القرطبي رئيس اليهود بمصر... وخرج من مصر إلى الشام ونزل حلب»[19].

3–القرصنة الاوربية :

بتطرقنا إلى القرصنة، سنرى أن الوجود المغربي لم يقتصر على البلاد الاسلامية، بل تعدى ذلك إلى وجودهم في البلاد المسيحية.

وارتبط وجودهم هذا، بالظرفية السياسية العالمية، من غزو صليبي وحركة

---

16 – ابن حجر الدرر الكامنة ج 3 : 252.
17 – ابن حجر الدرر الكامنة ج 3 : 221.
18 – ابن حجر الدرر الكامنة ج 4 : 221.
19 – القفطي اخبار العلماء ص 257.

قرصنة بحرية أوربية على شواطيء البلاد الاسلامية، المتوسطية منها خاصة، والتي نشطت في العصور الحديثة.

وكان من نتائج ذلك وقوع الخطف والاسر في صفوف المسلمين، وكثيرا من حوادث القرصنة كانت موجهة ضد مراكب الحجاج والتجار، حيث يحملون كرها إلى بلاد لم يكونوا بقاصديها. ومصير هؤلاء الاسرى هو الاسترقاق والبيع أو العمل في تجذيف المراكب والاشغال الشاقة أو التنصير.

وليست لدينا المعلومات الكافية عن أسماء أو عدد المغاربة من ضحايا القرصنة، وكل ما تحتفظ لنا به النصوص هو تواريخ وقوع حوادث الاختطاف، وبعض اسماء المغاربة الذي تمكنوا من الفرار، أو ممن كانت لهم مكانة وتمت فديتهم.

واقدم عن القرصنة الاوربية الامثلة التالية :

ــ محمد بن عبد الرحمان الكرسوطي الفاسي 'أسر في بحر الزقاق ونالته مشقة إلى أن خلص'[20].

ــ أحمد بن محمد اللجائي 'قدم القاهرة وتوجه فيها بالبحر لبلاده فأسر بجزيرة رودس، ثم خلص بمال جبي له'[21].

ــ الحسن الوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي، اسره القراصنة سنة 926 هـ وأجبر على الرحلة إلى ايطاليا والاقامة بروما والتنصر بها، إلى أن تمكن في أواخر حياته من الرحيل إلى تونس إلى أن توفي بها بعد سنة 957 هـ.

ــ أحمد بن القاضي المكناسي، الاديب المؤرخ، 'الذين ركب السفين من ثغر تطاوين فاعترضهم اساطيل العدو في بحر الزقاق فأسرتهم'[22]، ويقول ابن

20 – ابن حجر الدرر الكامنة 4 : 118.
21 – السخاوي الضوء اللامع 2 : 164.
22 – الفشتالي مناهل الصفا.

القاضي عن هاته الحادثة «حيث أسرت في حالة رحلتي لمصر... في يوم الخميس الرابع عشر من شعبان سنة اربع وتسعين»[23] وبقي في الاسر إلى أن افتداه مخدومه أحمد المنصور السعدي سنة 945 هـ.

ـــ محمد الطيب التافلالتي الذي رحل إلى مصر طلبا للعلم 'ثم سافر لزيارة والدته في البحر فأسره الفرنج وذهبوا به إلى مالطة مركز الكفر ثم نجاه الله تعالى بعد سنتين وأيام'[24].

4-السفارات ومرافقة ركب الحاج المغربي :

أدى وقوع اسرى مغاربة في يد القرصنة الاوربية إلى ضرورة النظر في وضعية هؤلاء الاسرى، وبالتالي تدخل الحكام المغاربة لافتكاكهم. ونظرا لقرب المغرب من اوربا ومشاركته في الاحداث السياسية منذ وجود المسلمين بالاندلس، بل وحتى بعد طردهم. فإن ذلك جعله يساهم في الصراعات الدولية بالبحر المتوسط، وهذا يجعلنا لاننسى السفارات التي كانت بين المنصور السعدي والملكة الزابيت عاهلة انجلترا، وبينه وبين عاهل اسبانيا.

وقد نشطت حركة السفارة بين المغرب والدول المسيحية في العصر الحديث خاصة، وتجلي هذا النشاط فيما سجله السفراء المغاربة من ارتسامات عن رحلاتهم، ومنها :

ـــ ''رحلة الوزير في افتكاك الاسير'' لمحمد بن عبد الوهاب الغساني، الوزير، وهي رحلة إلى اسبانيا سفيرا للمولى اسماعيل إلى كارلوص الثاني سنة 1102 هـ/1690 م.

---

23 – المنتقي المقصور/ت محمد رزوق الرباط 1986 ج 1 : 347.
24 – المرادي سلك الدرر 4 : 103.

ــ ''نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد'' لاحمد بن المهدي الغزال سفيرا لسيدي محمد بن عبد الله إلى كارلوص الثالث سنة 1179 هـ/1766 م.

ــ ''الاكسير في فكاك الاسير'' لمحمد بن عثمان المكناسي. في عهد سيدي محمد بن عبد الله إلى كارلوص الثالث سنة 1779/1193 وله «البدر السافر لهداية المسافر إلى فكاك الاسارى من يد العدو الكافر» سنة 1781/1195 إلى حاكم مالطة وإلى أمير نابولي.

فهل اقتصرت السفارات على البلاد المسيحية فقط، لحل مشكل الوجود القسري للمغاربة ؟

لابد من التذكير بأن الحكام المغاربة أولوا اهتمامهم للوجود المغربي، اينما كان، وكيف ما كان، فإذا كانت سفاراتهم إلى أوربا بقصد فك الاسرى المغاربة، أو لتصفية الاجواء السياسية فإنهم من جهة أخرى وجهوا رسلهم ووفودهم الرسمية إلى الاقطار المشرقية من باب الاهتمام بالوجود المغربي بهاته الاقطار.

ومن الملاحظ أن هاته السفارات تنشط خاصة، في موسم الحج 'إذ كثيرا ما كانت مهمة هذه السفارات حمل الهدايا الملكية إلى سلاطين مصر مع رسائل... في شأن هدايا البقاع المقدسة وفي التوصية بالحجاج'[25].

وكانت السفارات المغربية 'وليدة التقاليد التي انبعثت في العهد المريني لربط العلاقات على الصعيد الحكومي ــ بين المغرب والمشرق'[26] فهذا مثلا أبو الحسن المريني 'صادق الملك الناصر وهاداه ... وكان وصول كتابه إلى القاهرة بالتعزية عن الناصر مع كاتبه ابن ابي مدين في شعبان سنة 745 هـ'[27].

ومن السفراء نجد :

25 – محمد المنوني. ورقات عن الحضارة المغربية في عهد بني مرين الرباط 1979 ص. 130.
26 – المرجع نفسه.
27 – ابن حجر الدرر الكامنة ج 3 : 153.

ـــ أحمد بن محمد السبتي : كانت له عند سلطان المغرب حظوة ومكانة واستعمله في السفارة بينه وبين الملوك[28]

ـــ محمد بن احمد الفشتالي : اقدمه أبو عنان إلى فاس ... ونفذ عنه رسولا إلى الاندلس[29]

ـــ محمد بن حسن الحسني : دخل غرناطة رسولا عن أبي عنان سنة 754 [30].

وسارت الدول التي اعقبت المرينيين على نفس التقليد، فكانت البعثات والرسل تتوجه إلى المشرق بين الفينة والاخرى أما بشأن الحجاج المغاربة أو لتحسين العلاقات السياسية.

وهكذا رحل ابو الحسن التمكروتي (ت 1003 هـ/1594 م) سفيرا للمنصور السعدي إلى الاتراك وسجل ارتساماته في كتابه (النفحة المسكية في السفارة التركية). وأما محمد ابن عثمان المكناسي ت 1213 هـ/1798 م فرحل بأمر سيدي محمد بن عبد الله إلى بلاد الروم والحجاز، وقدم للسلطان عبد الحميد خان هدية ملكية، كما حمل هدايا إلى الحرمين الشريفين، ودخل الشام ومصر وقبرص، ودامت رحلته 3 سنوات (1200-1202 هـ) ودون مشاهداته في كتابه ''احرازه المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب''.

كما رحل بعض المغاربة إلى المشرق في اطار مهام كلفوا بها ضمن ركب الحاج المغربي، فهذا عبد الله بن محمد الهرغي ''قاضي الركب المغربي حج سنة

28 - المصدر نفسه ج 1 : 31.
29 - المصدر نفسه ج 3 : 420.
30 - المصدر نفسه ج 4 : 50.

47 ودخل دمشق،،[31]. ويضم الركب كذلك رؤسائه والجند لحراسته والاطباء والعلماء والفقهاء والامراء والاميرات احيانا، ويصحبه الادلاء والخدم والتجار وغيرهم من الذين لاتذكرهم النصوص.

5 ـــ العامل السياحي :

ويتمثل هذا العامل في حب السفر والتجوال، والسياحة في بلاد الله. وباستقراء نصوص التراجم يمكن التمييز بين وجهين لهاته السياحة.

1 ـــ السياحة الصرفة، أو العلمية :

وهي السياحة من أجل السياحة، رغبة في مشاهدة اقطار المعمور، وارتياد البلدان، وحب المغامرة والتجوال.

وهي سياحة علمية كذلك، لانها ذات نتائج عملية تتمثل في ما كتبه هؤلاء الرحالة من كتب وصفوا فيها البلدان التي زاروها ومروا بها وانطباعاتهم، ومغامراتهم. ونتائج هاته الرحلات ساهمت في بلورة المعرفة الجغرافية عند المسلمين على العموم، والمغاربة على الخصوص بحكم انهم من أوائل اشهر الرحالة المسلمين الذي جابوا الآفاق كابن بطوطة والادريسي والحسن الوزان.

والملاحظ أن منطلق بعض الرحلات السياحية الصرفة، منطلق ديني في الاول وذلك للاعتبارات الاتية :

ـــ أن أول وجهة يقصدها هذا النوع من أهل السياحة من المغاربة هي المشرق الاسلامي وخاصة الديار المقدسة وبعد ذلك يشرع في تطبيق برنامج الرحلة معرجا على الشام والعراق مارا باليمن في اتجاه الهند والصين، زائرا للديار

---

31 - ابن حجر الدرر الكامنة 2 : 402.

المقدسة مرة أخرى، وبلاد الروم احيانا قبل أن يدخل مصر في طريق العودة إلى المغرب برا أو بحرا.

ـــ ان الشروع في بدء الرحلة يكون احيانا مزامنا لخروج ركب الحاج المغربي.

ـــ ان اصحاب هذا النوع من السياحة تركوا لنا مذكرات عن رحلاتهم وبعضها عرف بكتب الرحلات الحجازية، والتي اشتهر المغاربة بكتابتها.

وليس معنى هذا أن منطلق جل الرحلات السياحية منطلق ديني، إذ هناك استثناءات تستوجب الذكر، كأن يكون منطلق الرحلة الذهاب في مهمة رسمية وينتهز هذا المبعوث الفرصة ليجول في البلد وليسجل في مذكراته ما شاهده في طريقه، وعليه فقد تجتمع عدة اسباب لرحلة ما كرحلة ابن بطوطة التي كانت ''حجازية، سياحية، اكتشافية، سفارية، علمية''[32] زار خلالها المشرق ''وجال البلاد وتوغل في عراق العجم ثم دخل الهند والسند والصين..''[33].

2 ـــ السياحة الصوفية :

اشتهر اقطاب الصوفية المغاربة بهذا النوع من السياحة، وكان لهم فيه حضور قوي، ويدل على ذلك انتشار الطرق والزوايا المغربية في عدة اقطار من العالم الاسلامي.

ولكن قد يتساءل سائل، لماذا هاته التسمية ولما ميزت السياحة الصوفية عن سابقتها، ولم ادرجها في العامل الديني ؟

يمكن الخروج باجابة عن هاته التساؤلات، إذا ما اخذنا بعين الاعتبار الملاحظات التالية :

---

32 – محمد الفاسي الرحلات السفارية المغربية. مجلة البينة العدد 6 أكتوبر 1966 ص. 14.
33 – ابن حجر الدرر الكامنة ج. 4 : 100.

أ- تشير نصوص التراجم إلى أن هذا النوع من السياحة، اختص به اقطاب التصوف والمجاذيب.

ب- وتشير كذلك إلى أن هاته السياحة اصطبغت بصبغة الكرامة الصوفية، التي كانت لهذا القطب أو ذاك، وان مدة الرحلة ووسائلها والطريق التي تسلكها، ليست كلها في مستطاع الشخص العادي.

ج- ان من بين اهدافها : تأسيس الزوايا الصوفية، نشر الطريقة، الاكثار من الاتباع والمريدين، مجاهدة النفس والعدو.

د- ان من بين وسائلها ما هو مرتبط بالتربية الصوفية، من تعليم الطريقة والسلوك وتلقين الاوراد والذكر، والارشاد.

وحتى نتعرف على هذا النوع من السياحة، فقد جادت علينا كتب التراجم بنصوص وافية لاقطاب اشتهروا بالسياحة الصوفية ونخص بالذكر منهم :

ـ ابو الحسن الشاذلي المتوفى سنة 656 هـ : له السياحات الكثيرة والمنازلات الجليلة(34).

ـ أحمد زروق البرنسي المتوفى 899 هـ : الذي غلب عليه التصوف فتجرد وساح... وصار له اتباع ومحبون(35).

ـ عبد الرحمان الادريسي المكناسي المتوفى سنة 1085 هـ. خاتم الاولياء في عصره وله الكرامات الخارقة(36). رحل إلى المشرق ودخل بلاد الروم والهند، وتنقلاته تدخل في اطار السياحة المصطبغة بالكرامة الصوفية، ومنها أنه قال لاحد اصحابه، وكان هذا الاخير متوجها إلى الهند : «اذا رأيتني في الهند فلا تكلمني»، فلما وصل الهند توجه إلى دهلي جهاد آباد سرير السلطان فجلس يوما بباب داره فإذا بالسيد مقبل وعليه سلهامة سوداء فعرفه وقال لبعض

34 - السيوطي حسن المحاضرة ص. 247.
35 - السخاوي، الضوء اللامع 1 : 222.

اصحابه : «هذا السيد عبد الرحمن» وركض ليقبل يديه فشزره بعينيه فتذكر كلامه فرجع واغشي عليه وحصل له حال عظيم فلما أفاق لم يره.[36]

ـــ محمد بن أحمد المزطاري المكناسي المتوفى سنة 1107 هـ. كان هذا الشيخ ''سواحا جوابا في بلاد الله... اشتهر في الحرمين الشريفين وبلاد الشام وحلب وحماة والقدس الشريف وخليل الرحمان، وكل بلاد دخلها تهرع إليه الخلق ويأخذون عنه ويعطيهم الاذن في طريقته وسلوكه، وله في جميع هذه البلاد المذكورة زوايا عامرة''[37]. ويصرح الشيخ المزطاري بسبب قدومه إلى دمشق قائلا لاحد تلامذته «جئت من المغرب لاعمر دياركم»[38].

ـــ أحمد بن علي الجزولي السوسي، المتوفى سنة 1197 هـ : شيخ صالح صوفي ''غلب عليه الجذب فساح وذهب إلى بلاد الروم مجاهدا''[39].

6 ـــ العامل الطبيعي :

مما لاشك فيه أن لهذا العامل دوره من قريب أو بعيد، في رحلة المغاربة إلى الاقطار الاخرى، إذ لا يخفى أن فترات القحوط والمجاعات والاوبئة كانت تتعاقب من حين لآخر، وإذا كان البعض ممن له الامكانيات، يستطيع مواجهة هاته الظروف القاسية، أو الهجرة حسب اختياره بعيدا عن الامراض والمجاعات. فإن البعض الآخر كان لايتمكن من مواجهة السنين العجاف والغلاء والجوع، فكان يلجأ إلى مناطق الاحتلال البرتغالي بأصيلة أو آزمور وآسفي طالبا الجواز إلى البرتغال، وعرضوا انفسهم كرقيق، بل كان منهم من يبيع نفسه أو أحد افراد اسرته، إلى التجار البرتغال الذين روجوا هذا النشاط التجاري مستغلين ضعف

36 – المحبي خلاصة الاثر 2 : 349.
37 – حسن خوانجة، ذيل بشائر أهل الايمان. ص. 280.
38 – المرادي، سلك الدرر 4 : 33.
39 – الجبرتي، عجائب الاثار 2 : 267.

السلطة والمسغبة. يقول صاحب مخطوط زهر البستان : «عندما تضعضع ركن الخلافة بالمغرب ومرج فيه أمر الناس وماج بعضهم في بعض... وانقطعت السبل وفشا الجوع في الناس حتى أكل بعضهم بعضا من شدة الجوع وكثرة الهرج بين القبائل حتى جنح الكثير من قبائل العرب ودخل كثير من المستضعفين من النساء والولدان لبلاد النصارى من عند أنفسهم وبسبب غيرهم من الحناشين يقودونهم بلا كلفة ويبيعونهم بالبجماط من كثرة الجوع»*.

وحسب مصادر برتغالية فقد كان يباع بأزمور وحدها ألف شخص في اليوم، وكان الاقبال شديدا على صغار السن[40].

وبطبيعة الحال كان التجار البرتغال يحملون هؤلاء الاشخاص كرقيق، إلى البرتغال والى العالم الجديد.

وكان لهاته الهجرة القسرية نتائج على صعيد النمو الديموغرافي بالمغرب، وكذلك على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

7 ـــ الرحلة في طلب العلاج :

ليس من المستبعد أن يكون طلب العلاج والتداوي من الامراض، أحد أسباب الرحلة والتنقل، بالرغم من أن النصوص التي تسعف الباحث في ذلك نادرة احيانا، فهذا محمد ابن محمد الادريسي الفاسي ''كان قدومه من مكة إلى مصر ليتداوى من مرض عرض له وهو ضيق النفس''[41].

40 – أنظر الدراسة : B. Roseinberger. H. Triki. Famines et épidémies au Maroc (in Hisperis Tamuda — Vol. XIV 1973 p.p. 109-175. Vol. XV. 1974, pp. 5-103)

41 – التقي الفاسي العقد الثمين ج. 2 : 301.

* – محمد بن العياشي المكناسي 1139. زهر البستان في أخبار أحوال مولانا زيدان، مخطوط خ.ع. الرباط حرف د 2152، ورقة 64.

وفي هذا الاطار ألا يمكن أن نتساءل هل العوامل التي اشرت إليها كافية لتبرير دواعي الهجرة، أم هناك عوامل أخرى تنضاف إليها ؟ وبعبارة أخرى ألا توجد عوامل خفية لرحلة المغاربة إلى المشرق والمجاورة بالديار المقدسة ؟

في الواقع، وإن كانت النصوص لاتعطينا الاشارات الواضحة والمباشرة عن بعض العوامل الخفية، اللهم إلا بعض التلميحات، إلا أنه يمكن القول بأن هاته العوامل تتمثل في :

8 ــ العالم الاجتماعي :

إذ يحدث أن يرحل احدهم إلى المشرق لزيارة افراد اسرته التي تركها هناك، أو للالتحاق بهم، خاصة المغاربة الذين استقروا لمدة بالمشرق وتزوجوا هناك. أو يرحل آخر للبحث عن اقربائه الذين ذهبوا إلى المشرق ولم يعودوا.

9 ــ العامل النفسي :

يختفي هذا العامل في العامل الديني، ويمكن ملاحظته في شدة تعلق المغاربة بزيارة الاماكن المقدسة والمجاورة بها إلى أن تحضرهم الوفاة، وجل الفقهاء والصلحاء والمتصوفة ادركتهم الوفاة بالمشرق، وبالديار المقدسة خاصة، مما يمكن معه القول بأن هناك عامل نفسي خفي وراء ذلك، ومنه الرغبة في أن يدفنوا في أرض طيبة بجوار الصحابة والتابعين، وفي ارض الانبياء.

يتضح من خلال عرضنا للعوامل الموجبة والمسببة للتواجد المغربي في بعض اقطار المعمور، أنها عوامل متعددة ومتداخلة، فقد يجتمع بعضها ليرغب في الرحلة كاجتماع العامل الديني والثقافي، أو الديني والاقتصادي، أو يجتمع بعضها ليرغم على الهجرة كالعامل السياسي أو الطبيعي، ويمكن أن تكون هناك عوامل خفية كالعامل النفسي.

الرباط — حسن الصادقي

الرّسالتان الماسيّة والاستعطافيّة

لأبي جعفر ابن عطية (517 - 553 هـ)

نشر وتحقيق

د. جعفر بن الحاج السّلمي

لاشك أن التّراث المغربيّ الأدبيّ يحتاج إلى كثير من الجهد الدؤوب لاكتشافه أولا، ثم لاستبطانه والغوص في أعماقه، والاهتداء الى أسراره ومكوّناته. وإذا كانت كثير من النّصوص الأدبية المغربية قد ولدت من جديد بفضل علماء محقّقين مغاربة ومشارقة ومستشرقين، بذلوا طاقاتهم حتى يستكشفوا الذات المغربية في الأدب والفكر، ومساهمتها في الذات الحضارية الإسلاميّة، فإن كثيرا من هذه النّصوص يحتاج الى نشرات نقدية جديدة، تسهّل مهمّة الباحث، وترغّب فيها القارىء المغربي، وتجعله يحترم تراثه، ويعجب به ويرضى عنه، ويتحرّر من عقدة النّقص والتّقصير.

وإذا كانت الشخصيّة الأدبية المغربية تضرب جذورها في أعماق الماضي، فإنها قد برزت بوضوح على عهد المرابطين، ولاسيما على عهد علي بن يوسف منهم، (500 — 537)، وقد مثّلها وقاد حركتها القاضي عياض (544)، وابن

بيّاع، ثم تبلورت وتطوّرت ونمت من حيث المضامين والأشكال والكمّ على عهد الموحدين، بفضل أدباء كبار من أمثال أبي عبد الله ابن حبّوس (575 هـ)، وأبي العباس الجراوي (609) وأبي جعفر ابن عطيّة (553 هـ)

رسائل أبي جعفر ابن عطية :

لا نعرف مما كتبه الوزير الكاتب أبو جعفر ابن عطية من رسائل الا المجموعة التي نشرها لي ي بروفنسال سنة 1941 ضمن «مجموع رسائل موحدية، من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية»، وهي تبلغ خمس عشرة رسالة، وواحدة أخرى شك المحقق في نسبتها له،[أ] والرسالتان الماسّية والاستعطافية اللّتان نحقق متنهما اليوم. أما الرسائل التي نشرها ليفي ـــ بروفنسال فهي عموما مرضية، وإن كانت تحتاج الى نشرة جديدة، ونحن نهيب بجامعة محمد الخامس الى إعادة نشرها خدمة للبحث العلمي بالمغرب.

وأما الرسالتان الماسّية والاستعطافية، فقد نشرتا قديما في أوربا والقاهرة عندما وجدت المصادر التاريخية والأدبية طريقها الى المطبعة، مثل الأنيس المطرب ونفح الطيب. غير أن هاتين الرسالتين في شكلهما المطبوع لا ترضيان باحثا ولا قارئا، ولا يستطيع أحد الاطمئنان الى نصّهما، لكثرة ما فيهما من التّحريف والتّصحيف والخلط والاختصار. وبناء عليه، ارتأينا إعادة نشرهما، خدمة لأدب أبي جعفر ابن عطية، وفي ذمة الأدب المغربي له شيء كثير، وللأدب المغربي وللبحث العلمي.

أ ـــ الرسالة الماسّية ومصادرها :

لاشك أنّ هذه الرسالة من أقدم ما وصلنا من الرسائل المغربية، وأنها أقدم

(أ) ـ مجموع رسائل موحدية : رسالة رقم 9.

رسالة وصلتنا لأبي جعفر ابن عطية، لأن رسائله عن المرابطين ضاعت كلّها فيما نعلم. ويتّفق المؤرخون والأدباء على القول بأن صاحبها كتبها للشيخ أبي حفص عمر الهنتاني صاحب المهدي ابن تومرت، يصف انتصار جيش الموحدين على الثائر الماسي المعروف بالهادي.(ب) كذالك، هم يتّفقون جميعا على أن صاحبها حرّرها وهو متنكّر في لباس عسكري من الرماة، خوفا على نفسه من الموحدين، بعد أن كان كاتبا لأواخر المرابطين. وليس عندنا ما نطعن فيه على ما اتّفقوا عليه. ورغم أن ما بقي من الرّسالة الماسيّة لا يشير الى تاريخ تحريرها أو الى مكانه، فلاريب أنها كتبت سنة 542 هـ، أي سنة القضاء على الثورة وصاحبها الهادي، وفي محلة المعركة من ماسة أو ماست. وإذا كنا نعدم نسختها الأصلية، أو مصدرا مزامنا (من القرن السادس) أوردها، فإن المصادر التي سنذكرها تعيننا على كلّ حال على ترميم ما بقي منها، وتكوين فكرة عن الأصل الكامل.

1 ـــ إعتاب الكتاب لأبي عبد الله ابن الأبار : (658 هـ)

هذا أقدم مصدر أوردها. وقد كتبه صاحبه بين سنتي 638 هـ و648 هـ، على ما في مقدمة المحقّق، أي بعد قرن من الزمن. وتتميّز المنتخبات التي أوردها من الرسالة الماسية بالدّقة والصحة والسلامة. والظاهر أن ابن الأبار نقلها من أصل صحيح لا نعلمه، وقد اعتمدنا رواية إعتاب الكتاب أصلا في التحقيق.

2 ـــ الروض المعطار في خبر الأقطار لابن عبد المنعم الحميري السبتي : (727 هـ)

هذا ثاني مصدر أصيل لهذه الرسالة. وقد كتب الروض المعطار في مطلع القرن الثامن، أي بعد أكثر من قرن ونصف من زمن تحريرها. وتتميّز روايته،

(ب) ـــ عن الثائر الهادي الماسي وثورته، انظر : الأنيس المطرب : 190 ـــ البيان المغرب : 30 ـــ 31ـــ المعجب : 290 ـــ 291.

رغم اختصارها، بالضّبط وبزيادات مهمّة عمّا انتخبه ابن الأبار. وقد اعتمدناها أصلا في التحقيق.

3 ـــ الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب : (776 هـ)
تعتبر الإحاطة ثالث أقدم مصدر أوردها، إذ كتبت حوالي سنة 761 هـ و763 هـ، حسب مقدمة المحقّق، أي أكثر من قرنين بعد تاريخ إنشائها. وقد أخرج ابن الخطيب نفس المنتخبات الموجودة في إعتاب الكتاب، الأمر الذي يبعثنا على الربط بين الكتابين، ولعل ابن الخطيب قد استأنس في روايته بما عساه أن يكون قد أورده منها ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة. (التراجم المفقودة) غير أن النشرة الرائجة من الاحاطة شديدة التّحريف والتّصحيف، و لم نعتمد روايتها أصلا، بل استأنسنا بها فقط.

4 ـــ نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب للمقري : (1041 هـ)

آخر مصدر أورد الرسالة الماسيّة. وقد ألّف نفح الطيب سنة 1038 هـ أي حوالي خمسة قرون بعد كتابتها. ولا نشك أن المقّري أوردها نقلا عن نسخة مصححة من الاحاطة، أصّح بكثير مما هو بين أيدينا منها، لأن المقري يورد المنتخبات عينها التي أوردها ابن الخطيب، وقبله ابن الأبار. وقد استأنسنا بها عند التحقيق.

إذن عندنا روايتان أصليتان صحيحتان معتمدتان، تكمّل إحداهما الأخرى، وهما رواية إعتاب الكتاب وهي سابقة، ورواية الروض المعطار وهي متأخرة نسبيّا. وقد أثبتناهما معا، وعند خلافهما، أثبتنا غالبا رواية إعتاب الكتاب نظرا لأقدميتها. وعلى كلّ حال، مادمنا لم نعثر على مصادر غير ما عندنا، فسيظلّ نصّ الرسالة الماسّية ناقصا مبتور الصّدر والخاتمة على الأقل.

ب ــ الرّسالة الاستعطافية ومصادرها :

تعتبر هذه الرسالة من أواخر ما كتبه أبو جعفر ابن عطية، وقد أرسلها الى الخليفة عبد المؤمن وهو مسجون منكوب سنة 552 هـ (ج) ولاشك أن هذه الرسالة نموذج فريد من أدب ابن عطية الذاتي، ووجهه الآخر الذي غطته رسائله الرّسمية، وفيها تبرز واضحة شاعريته ومخزونه الثقافي.

ومثلما أننا نفتقد الأصل الخطي للرسالة الماسية والمصدر المزامن لها، نفتقد في الرسالة الاستعطافية نفس الشيء، غير أننا أسعد حظا فيها، إذ أن نصّها كامل بين أيدينا.

1 ــ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لابن أبي زرع الفاسي :

يعتبر هذا المصدر، مع البيان المغرب لابن عذاري المراكشي، أقدم من أورد الرسالة الاستعطافية، وهو متأخّر بقرن ونصف من الزمان عن تاريخ كتابة الرسالة، إذا افترضنا أن ابن أبي زرع كتب تاريخه حوالي سنة 700 هـ. ولولا شيء من التّصحيف في الطبعة الرائجة، لكانت روايته كاملة وثيقة. وقد اعتمدناها مع ذالك أصلا في التّحقيق.

2 ــ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي :
وهو مصدر معاصر للأنيس المطرب، وإذا كان بينهما تناقل، فلابدّ أن البيان المغرب هو الذي نقل الرسالة من الأنيس المطرب واختصرها. وتتميّز روايته بالاختصار وقلّة التحريف، وقد اعتمدناه أصلا في التحقيق.

(ج) — عن نكبة ابن عطية وأسبابها، انظر : البيان المغرب : 57 ــ 59 ــ المعجب : 291 ــ 292 ــ الأنيس المطرب : 196.

3 ـــ الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب : (776 هـ)

أورد هذا المصدر الرسالة الاستعطافية دون أن يذكر عمّن نقلها، ونرجّح أن يكون فعل ذالك عن الأنيس المطرب، ولاسيما أنه يذكر هذا الكتاب في مقدّمته؛ وهي في نشرتها الراهنة شديدة التّحريف والتّصحيف والخلط، الى درجة تقديم الجزء النّثري منها على الجزء الشّعري.

4 ـــ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري : (1041 هـ)

ورواية هذا المصدر، لاشك أنها منقولة عن نسخة مصحّحة من الإحاطة، وهي لا تضيف جديدا، سوىٰ ضبطها وصحّتها وتنقيحها.

وعسى أن نكون موفقين في نشرنا لرسالتي أبي جعفر ابن عطية، والحمد لله أولا وآخرا.

الرّسالة الماسيّة

«... كتابنا هذا من وادي ماسة بعدما تجدّد[1] من أمر الله الكريم، ونصره[2] [تعالى][3] المعهود[4] المعلوم، «وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم.»[5] فتح بهر[6] الأنوار إشراقا، وأحدق بنفوس المؤمنين إحداقا، ونبّه فيه[7] للأماني النائمة جفونا وأحداقا، واستغرق غاية الشكر استغراقا، فلا تطيق

(1) — الاحاطة : تزحزح. وهو تحريف.
(2) — الاحاطة ونفح الطيب : نصر الله.
(3) — زيادة من نفح الطيب.
(4) — سقط من الاحاطة.
(5) — آل عمران : 126.
(6) — الاحاطة : بمسرى وهو تصحيف.
(7) — سقط من الاحاطة ونفح الطيب.

الألسن لكنه[8] وصفه إدراكا ولا لحاقا، جمع أشتات الطلب والأرب،[9] وتقلّب في النّعم أكرم منقلب، وملأ دلاء الآمال[10] الى عقد الكرب :

فتح تفتّح أبواب السماء لـه وتبرز الأرض في أثوابها القُشُب[11]

وقد[12] تقدّمت بشارتنا به جملة، حين لم تعط الصال بشرحه مهلة[13].

كان أولائك الضالون المرتدّون [من أهل ماست][14] قد بطروا عدوانا وظلما، واقتطعوا الكفر معنى واسما،[15] وأملى لهم الله [تعالى][16] ليزدادوا إثما، وكان مقدمهم الشقي قد استمال النفوس بخز عبلاته، واستهوى القلوب بمهولاته، ونصب له[17] الشيطان [ما شاء][18] من حبالاته 6 فأتته المخاطبات من بعد وكثب، ونسلت[19] اليه الرسل من كلّ حدب، واعتقدته الخواطر [الزائغة][20] أعجب عجب.[21] وكان الذي قادهم الى ذالك،[22] وأوردهم تلك المهالك،

---

(8) - الاحاطة : كنه.

(9) - الاحاطة : الطب والأدب، وهو تحريف.

(10) - الاحاطة ونفح الطيب : الأمل.

(11) - من بائية أبي تمام في فتح عمورية.

(12) - سقط من الاحاطة ونفح الطيب.

(13) - هنا تبدأ رواية الروض المعطار.

(14) - زيادة من الروض المعطار.

(15) - الروض المعطار : وارتكبوا إفكا وجرما.

(16) - زيادة من نفح الطيب.

(17) - الروض المعطار : به.

(18) - زيادة من الروض المعطار.

(19) - الروض المعطار : نسل.

(20) - زيادة من الروض المعطار.

(21) - هنا تتوقف رواية الروض المعطار.

(22) - الاحاطة : لذالك.

وصول من بتلك السواحل، ممن ارتسم برسم الانقطاع عن الناس، فيما سلف من الأعوام، واشتغل على زعمه[23] بالصيام والقيام، آناء الليل و[أطراف][24] الأيام، لبسوا للناس[25] أثوابا، وتدرّعوا الرياء جلبابا، فلم يفتح الله [تعالى][26] لهم للتوفيق[27] بابا.

[وكان للناس هناك موقف أخذت الحرب فيه حقوقها، ونهجت به طريقها، وعرفت به رجالها وفريقها، وكنّا نحن بخاصّتنا في الساقة، فحملنا على من يلينا من الأعداء، وحملت كل قبيلة على من يليها على الولاء، فكانت هناك كرّات شهيرة، وحملات كثيرة، وظهر لأعداء الله تجلّد لم يُرقط لأمثالهم، ولا تخيل من أفعالهم، وذالك أنهم كانوا يعاينون غويّهم لا تنقله الحركات ولا تحركه، ولا تزيله عنه المنيّة ولا تتركه، فكانوا ينظرون اليه، ويظهرون الجلد والاجتهاد لديه، فلما عاينه الموحدون واقفا بمكانه، مقبلا على بهتانه، قصدوا بعون الله لإطفاء ناره وكفّ عنانه]،[28] فصرع بحمد الله[29] [تعالى][30] لحينه، وبادرت اليه بوادر منونه،[31] وأتته وافدات[32] الخطيات[33] عن يساره ويمينه، وعاد لوقته طريحا،

(23) – الاحاطة : رغمه. وهو تحريف.
(24) – زيادة من محقق إعتاب الكتاب ليستقيم الاسلوب ولملء الفراغ.
(25) – الاحاطة ونفح الطيب : الناموس.
(26) – زيادة من نفح الطيب.
(27) – الاحاطة : الى التوفيق.
(28) – سقط كل هذا النص من إعتاب الكتاب والاحاطة ونفح الطيب.
(29) – الاحاطة : والحمد لله.
(30) – زيادة من نفح الطيب.
(31) – سقطت هذه الجملة من الروض المعطار.
(32) – الروض المعطار : نوافذ.
(33) – الاحاطة ونفح الطيب : الخطيئات. وهو تحريف.

تقلب منه المنايا قلبا قريحا.[34] وقد كان يدعي أنه بشّر بأن المنيّة في هذه الأعوام لا تصيبه،[35] والنوائب لا تنوبه، ويقول في سواه قولا كثيرا، ويختلق على الله إفكا وزورا، فلما عاينوا[36] هيئة اضطجاعه، ورأوا[37] ما خطّته الأسنّة على أضلاعه،[38] ونفذ فيه من أمر الله ما لم يقدروا على استرجاعه،[39] انهزم[40] ما[41] كان لهم[42] من الأحزاب، وتساقطوا على وجوههم تساقط الذباب، وأعطوا عن بكرة أبيهم صفحات[43] الرقاب،[44] ولم تقطر كلومهم الاعلى الأعقاب،[45] فامتلأت تلك الجهات بأجسادهم، وآذنت[46] الآجال بانقراض آمادهم،[47] وأخذهم الله [تعالى][48] بكفرهم وفسادهم، فلم يعاين منهم الامن خرّ صريعا، وسقى الأرض نجيعا، ولقي من [وقع][49] الهنديات أمرا[50] فظيعا،[51]، ودعت الضرورة باقيهم الى الترامي في الوادي، [ودام الموحدون على

(34) - هنا تقف رواية الروض المعطار مرة أخرى.
(35) - الاحاطة : في الجملة تقديم وتأخير لا يستقيم معه الاسلوب.
(36) - نفح الطيب : رأوا.
(37) - سقط من نفح الطيب.
(38) - الاحاطة : أعضائه وأضلاعه. وهو زيادة من النساخ. نفح الطيب : أعضائه.
(39) - هنا تستأنف من جديد رواية الروض المعطار.
(40) - الروض المعطار : فانهزم — نفح الطيب : هزم لهم.
(41) - الاحاطة ونفح الطيب : من
(42) - الروض المعطار : له
(43) - الاحاطة : صفحة.
(44) - سقطت هذه الجملة من الروض المعطار.
(45) - هنا تعود رواية الروض المعطار الى الانقطاع.
(46) - الاحاطة : أذنت.
(47) - الاحاطة : آمادهم.
(48) - زيادة من نفح الطيب.
(49) - زيادة من الاحاطة — نفح الطيب : من أمر.
(50) - سقط من نفح الطيب.
(51) - هنا تستأنف مرة أخرى رواية الروض المعطار.

الإصرار على قتلهم والتمادي][52]، فمن كان يؤمل الفرار منهم ويرتجيه[53]، ويسبح[54] طامعا في الخروج الى ما ينجيه، اختطفته الأسنة [هناك][55] اختطافا، وأذاقته موتا ذعافا، ومن لجّ في الترامي على لجحه، ورام البقاء في [56] ثبجه،[57] قضى نحبه[58] شرقه، وألوى[59] بذقنه[60] غرقه. [وكان دخولهم فيه في أوّل مدّه الى حين ابتداء الوادي في جزره ونقصانه، وكفّه عن حملاته وطغيانه]،[61] ودخل[62] الموحدون الى البقية الكائنة فيه يتناولون[63] قتلهم[64] طعنا وضربا،[65] ويلقّونهم [بأمر الله][66] [تعالى][67] هونا[68] عظيما وكربا، حتى انبسطت[69] مراقات الدماء على صفحات الماء، وحكت[70] حمرتها على

---

(52) – سقطت من إعتاب الكتاب والاحاطة ونفح الطيب، وثبتت في الروض المعطار.
(53) – الروض المعطار : فمن كان منهم يؤمل الفرار ويرتجيه.
(54) – الروض المعطار : وسبح.
(55) – زيادة من الروض المعطار.
(56) – الروض المعطار : ب
(57) – الاحاطة : ثجّه. وهو تحريف.
(58) – الروض المعطار : لحينه ـ الاحاطة ونفح الطيب : عليه.
(59) – الروض المعطار : لوى.
(60) – الروض المعطار : بدينه ـ الاحاطة : فرقته. وهو تحريف.
(61) – سقط من إعتاب الكتاب والاحاطة ونفح الطيب، وثبت في الروض المعطار.
(62) – الروض المعطار : فدخل.
(63) – الروض المعطار : ينالونهم.
(64) – سقطت من الروض المعطار ـ الاحاطة ونفح الطيب : قتلهم.
(65) – الاحاطة : حربا. وهو تحريف.
(66) – سقط من الروض المعطار.
(67) – زيادة من نفح الطيب.
(68) – الروض المعطار ونفح الطيب : هولا.
(69) – الاحاطة : سطت. وهو تحريف.
(70) – الروض المعطار : فحكت.

زرقته[71] حمرة الشفق على[72] زرقة[73] السماء، [وظهرت[74] العبرة للمعتبر في جري الدماء[75] مجاري[76] الأبحر.][77] فمن لم تدركه منيته بسنان، أدركته بشرّ مكان [78]...»

(71) – الروض المعطار والاحاطة : زرقه.
(72) – الروض المعطار : في.
(73) – الروض المعطار والإحاطة : زرق.
(74) – نفح الطيب . وجرت.
(75) – نفح الطيب : ذالك الدّم.
(76) – الاحاطة ونفح الطيب : جري.
(77) – سقطت من الروض المعطار. وهنا انتهت رواية إعتاب الكتاب والاحاطة ونفح الطيب.
(78) – تتمة من الروض المعطار وحده.

الرّسالة الاستعطافيّة

[البسيط]

عطفا عليّ أمير المؤمنين فقد ... بان العزاء لفرط البثّ[1] والحزن (*)
قد أغرقتنا ذنوب كلّها لجج ... ورحمة[2] منكم أنجى من السّفن
وصادفتنا سهام الدهر[3] في[4] غرض ... وعطفة منكم أوقى من الجُنن
هيهات للخطب أن تسطو حوادثه ... بمن أجارته رحماكم من المحن
ومن جاء عندكم يسعى على ثقة ... بنصره لم يخف بطشا من الزمن[5]
فالثوب يطهر بعد الغسل من درن ... والطرف ينهض بعد الركض في سنن
أنتم بذلتم حياة الخلق كلّهم ... من دون منّ عليهم[6] لا[7] ولا ثمن
ونحن من بعض من أحيت مكارمكم ... كلتا[8] الحياتين من نفس ومن بدن[9]

(*) - ورد هذا البيت مسبوقا بالبيت الذي ورد آخر القطعة النثرية في الاحاطة، وهو خطأ فادح وخلط واضح.

(1) - الأنيس : الحسّ.

(2) - الاحاطة والنفح : عطفه. وهو خلط أبيات.

(3) - الأنيس : البين، وهو تحريف.

(4) - الأنيس : عن. وورد البيت هكذا في الاحاطة :

وصادفتنا سهام كلها غرض ... لها ورحمتكم أوقى من الجنن

وورد هكذا في نفح الطيب :

وصادفتنا سها كلها غرض ... ورحمة منكم أوق من الجنن

(5) - سقط هذا البيت من رواية البيان المغرب.

(6) - الأنيس : بها

(7) - الأنيس : كلا

(8) - الاحاطة : تلك، وهو تحريف.

(9) - سقط هذا البيت من رواية البيان المغرب.

وصبية كفراخ الوُرْق من صغر   لم يألفوا النوح في فرع ولا فنن
قد أوجدتهم أيادٍ منك سابقة[10]   والكلّ لولاك لم يوحد ولم يكن

[11] تا الله لو أحاطت بي كلّ خطيئة، ولم تنفكّ نفسي عن الخيرات بطيئة، حتى سخرت بمن في الوجود،[12] وأنفت لآدم من السجود، وقلت إن الله [تعالى][13] لم يوح في[14] الفلك الى[15] نوح،[16] وأبرمت لحطب نار الخليل حبلا،[17] وبريت لقدار[18] ثمود نبلا، وحططت عن يونس شجرة اليقطين، وأوقدت مع هامان على الطين، وقبضت قبضة من أثر الرّسول فنبذتها،[19] وافتريت على العذراء البتول فقذفتها،[21] من العدوة، وأبغضت[22] كلّ قرشيّ، وأحببت[23] لأجل وحشي كلّ حبشي، وقلت بأنّ[24] بيعة السقيفة، لا توجب إمامة خليفة،[25] وشحذت شفرة غلام المغيرة بن شعبة، واعتقلت من حصار الدار وقتل أشمطها بشعبة، وقلت تقاتلوا رغبة في الأبيض

(10) — الأنيس : سالفة — الاحاطة : سابغة.
(11) — ورد النثر سابقا للشعر في رواية الاحاطة ونفح الطيب وفي كلام المقري ما يوحي أن القصيدة شيء منفصل عن الرسالة؛ وهذا وهم.
(12) — البيان المغرب : حتى سحرت من بالوجود.
(13) — زيادة من نفح الطيب.
(14) — الاحاطة : الى. وهو تحريف.
(15) — نفح الطيب : ل.
(16) — سقطت هذه الجملة من البيان المغرب.
(17) — تأخرت هذه الجملة عن التي بعدها في رواية الإحاطة ونفح الطيب.
(18) — قدار : عاقر ناقة ثمود حسب المفسّرين.
(19) — هنا تنقطع رواية البيان المغرب، وقد تأخرت هذه الجملة عما بعدها فيه.
(20) — البيان المغرب : وقذفتها.
(21) — سقطت هذه الكلمة من رواية البيان المغرب.
(22) — الاحاطة ونفح الطيب : ذممت.
(23) — المصدران السابقان : أكرمت.
(24) — المصدران السابقان : إن
(25) — الاحاطة : لامام. وهو تحريف.

والأصفر،[26] وسفكوا الدماء على الثريد الأعفر،[27] وغادرت الوجه من الهامة خضيبا، وناولت من قرع سنّ الحسين قضيبا، ثم أتيت[28] حضرة[29] المعصوم لائذا،[30]، وبقبر الامام المهدي، رضي الله عنه،[31] عائذا،[32]، لقد آن لمقالتي أن تسمع، وأن[33] تغفر لي هذه الخطيئات أجمع، مع أني مقترف، وبالذنب معترف،[34] :

الطويل

فعفوا أمير المؤمنين فمن لنا بحمل[35] قلوب هدّها الخفقان[36] والسلام على المقام الكريم ورحمة الله وبركاته.[37]

تطوان **د. جعفر ابن الحاج السُّلمي**

مصادر التحقيق :

ــ إعتاب الكتاب لابن الأبار : تحقيق د. صالح الأشتر ــ مطبوعات مجمع اللغة العربية ــ دمشق. 1961.

ــ الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب : تحقيق عبد الله عنان ج 1 ــ القاهرة ــ 1973.

---

(26) – (27) سقطت هذه الجملة من الاحاطة.
(28) – الأنيس : كنت.
(29) – الأنيس : بخفرة. وهو تصحيف من «بحضرة».
(30) – البيان المغرب :«جئت بطوله وحلمه لائذا». وهنا تستأنف رواية هذا المصدر.
(31) – سقط الترضي من الاحاطة ونفح الطيب.
(32) – البيان المغرب : «وبه رضي الله عنه عائذا».
(33) – سقط من البيان المغرب ونفح الطيب.
(34) – سقطت هاتان الجملتان من البيان المغرب.
(35) – الأنيس المطرب ونفح الطيب : بردّ.
(36) – ورد هذا البيت في مطلع القصيدة في الاحاطة.
(37) – لم يرد السلام الا في الأنيس المطرب.

ـــ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لابن أبي زرع الفاسي : الرباط ـــ 1973.

ـــ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب : (قسم الموحدين) تحقيق محمد ابراهيم الكتاني ـــ محمد بن تاويت ـــ محمد زنيبر ـــ عبد القادر زمامة ـــ الدار البيضاء ـــ 1985.

ـــ الروض المعطار في خبر الأقطار لابن عبد المنعم الحميري السّبتي : تحقيق، إحسان عباس. بيروت. 1984.

ـــ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرّي ـــ تحقيق د. إحسان عباس ـــ بيروت. 1968.

ـــ المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي : الدار البيضاء ـــ (بتقديم ممدوح حقي) بلا تاريخ.

ـــ مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية. تحقيق لي ي بروفنسال ـــ منشورات معهد الأبحاث العليا المغربية ـــ المجلّد العاشر ـــ الرباط .1941

ج.ح.س

قصة قصيرة

خرائط بلا بحر

أحمد زيادي

ما بين الجنون والعقل قدر ما بين (سطات) و(برشيد)، وأنا أقف متحيرا، لا أدري في أي الطورين أعيش، تحاصرني جبال من سهول، وأودية من جفاف، وآثار الحذوات المغررة بالرجال لم تمحها الرياح ولا السنون، وكل السهوب تهمس لي : ''لقد مروا من هنا''. وتجلجل الزغاريد، يتعالى النقع، يتدارك وقع الحوافر، فأمد يدي متفقدا بندقيتي، فتدوسني السنابك، وتنتابني لحظة بكاء، لو أن الرجال أخذوني معهم لما بقيت موزعا على أرض الوطن، رجلي في (فم الدير)، ورجلي على أنقاض حرائق (زرابا)، وعيني على أطلال (دار ولد شميسة)، وما بين الوطأتين قدر ما بين الطفولة والشيخوخة.

وحين زغردت أمي فرحة بأول جلباب خاطته يداي لعرائس أختي، نتر الفقيه من يدي لجام حصاني القصبي، وغل يدي بخيوط (البرشمان)، وابتدأت رحلة عذابي ما بين الابرة والخيط والمقص والحلقة والمخطاف، وبدأ تطوافي حول الفقيه

في القيظ والقر أطوف وأطوف زاحفا وقائما، واليدان لا تكلان من تدان وتباعد، وتداخل وتفارد، وأختي تندب كل عشية عرائسها :

عيشوري عيشوري دليت عليك شعوري
قد خيوط الجرارة قد الموت الغدارة

وفي ليل الأسى، أما يدا مرتعشة إلى حلمة ثدي في الصدر الدافيء، فلا ينبت الصدر غير الصخر والشوك والحنظل، وتداهمني رائحة الغدر والخيانة كغارة نحل، أختبيء في الشجر، في الوهم، في الخوف، أقع في شق مفغور، يسابقني في الهاوية القرار، أصرخ، أستغيث، يتحول لساني حجرا، تتحجر ألسنة الصدى، يدركني الاغماء، وحين أستيقظ أجدني جنينا في رحم الأرض، وأظل أنتظر ثورة بركان تقذفني بارودة ملتهبة في جوف بندقية خرساء. وفي أعماق طبقات الأرض، أسمع وقع الحوافر المتدارك، وتتراءى لي من خلال غلالة الغبار، أجنحة السلاهيم المتطايرة في كل الأرجاء تتحسس سبابتي الزناد، والفوهات المكشرة مصوبة نحو ظهور تهتز تحت القبعات الكاكية، تندفع الخيول، تنطوي الأبعاد، أضغط على الزناد فلا تستجيب العيارات، أحملق كالمعتوه، البنادق قصبات جوفاء أرميها، فتدوسها الحوافر النافرة، وأشد الألجمة الرعناء.

وأدخل مدن التاريخ، تطالعني الشواهد شامخة كالقمم، أتضاءل، أتضاءل حتى أصير حبة خردل، أتواري خلف تنية، فإذا فرسي المنسرجة هناك، تمدلي طرف اللجام، وتطيربي في كل الجهات، فلا تمدني الأمداء إلا بأوشحة من سراب تغريني بدخول مدن من سراب، وينعشني صليل السيوف ولعلعة الرصاص، ومن وراء كل دومة، كل سدرة، كل أجمة تنبعث الذكريات بخيولها المتمطيات، فتجفل فرسي، وتسترجعني أرضي، وبحنان تحضنني، وشيئا فشيئا تبتلعني، فأغوص أغوص حتى أستقر في أحشائها، ونظل نترقب لحظة الخلاص، والجياد تدكني في البطن،

ولو كانت خلايا الدماغ رحما لعجزت عن دكها الجياد ولا نتهت قرون العقم وآلام المخاض. وتعاند لحظة الطلق، فيشقق البطن، وأولد زهرا وزرعا وشوكا، وأصرخ وأنا أسمع هدير البحر :

سدوا أبواب البحر، لن يداهموكم إلا من جهة البحر.

لكنهم كانوا يحملون خرائط بلا بحر، فأضاعوا الوطن، وأضاعوا أنفسهم، وظلت الجياد شرادا جماحا تهرع إلى كل نجم يبزغ، وما بين مسقط الرأس وموقع القدم مقدار ما بين القطب الجنوبي والقطب الشمالي، وأنا منشد إليهما كانشداد الوتر الى القوس، فأين نبالي ؟ وأين مطاعن رمياتي ؟ وهل الى إفصاء اللحم من العظم من سبيل ؟ والدم دمي، والمدية مديتي، والساحة حلبة تتبارى فيها سحائب الضباب والسراب، وأنا المنثور أشلاء على امتداد الوطن كعصف الأنواء، أقول لقومي : ''شقوا البحر قبل أن يشق بركم''. فيحصنون الرمال بأسوار من الرمال، ويولون الأمواج الراغية ظهورهم، ويمضون.

وما بين الأطلس والأطلسي همي، وما بين (أبي رقراق) و(أم الربيع) يتمي وتربيبي، وأرضي مقبرة لجياد الطفولة، وأدفن عيوني تحت الطوب، تحت الحجر، فتنبئني كل ذرة، كل نسمة، كل ومضة عنك فأغمض عينيّ، فأرى أهداب الشمس تتمسك بغدائرك، ثم أراك ترتقين وترتقين، ثم أراك تسقطين مع آخر شعاع في اليم، ثم أراك وقد صرت جثة تتقاذفها الأمواج، ثم وقد صرت جزيرة في أجفان الملاحين، ثم وقد صرت صخرة تناطحها وعول البحر، فهل الى لقائك من سبيل ؟ وزهيرات المراعي تتخطف ظلك، وعيون القوم تنظم ذكراك لؤلؤا ملتهبا، وأنا المعذب بالذكرى والأمل، مشدود اليك كانشدادي الى سيدي (الغليمي) وسيدي (ابي الليوث)، وما بين الطفولة والشيخوخة شعوب وقبائل، وما بين المدينة القديمة والمدينة الجديدة وطني، وقومي كانوا كفا واحدة فصاروا

أصابع بلا كف، فكيف أنساكم يا قومي المنجل حد السيف ؟ وكيف أنستكم الدواسة الركاب، فأصبحتم، وأنتم سادة الرقاب، تتمرغون في أخلاط التراب، وأين البيارق والأعلام أين السروج ؟ أين الطبول والمزامير ؟ أين القباب الخضر ؟ أين النفير ؟

وأظل وحدي أجمع مزق الوطن، أوحد الزمان في الأمكنة، وأدخل المكان في الأزمنة، كالنهر الشريد أنزلق من بين الصخور القصية، أنحدر متشمما ذكراك في الربوع الخصيبة حتى يبتلعني أفعوان المحيط، وأسمع، وأنا في مكمن الدفق والخفق نبرات قهقهاتك ذائبة في ضجيج الرطانة، فهل يقولأ مجراي على استنبات شجيرة دفلي ؟ وهل تقوى سحابة تائهة على جمع ذرات رفاتي، لتعيدني الى رحم المنبع، فأكون أول نهر ينبع من المصب، وأحاصر بسخطي قلعة كأسك في ساحل (سيدي عبد الرحمن) فيهب الموتى وقد أزعجهم قرع الكؤوس وهز الأرداف، ويتساقط الوسطاء وتجار الشهقة والتنهيدة، ومن محراب الشمس الغاربة تتوالد الخيول الجافلة، فأرمي قصبتي، وأمتطي صهوة الأدهم، فيصهل تصهاله المعتاد، وينطلق يدك أزقة (سيدي بو سمارة)، فتتهاوى الحانات والمواخير، وأنتشلك من بين رفات الجبناء، فإذا أنت حية ميتة، واذا أنت أنت وغيرك، فمن تكونين بل من أكون أنا ؟

لعل كنت الحذوة المعكوسة في ركبان جيوش الاحتلال، ولعلي كنت قومي الذين أضنى العدو شمالا خيلهم، وأخرس القصف الغادر بنادقهم، فلما تبدت لهم البوارج الصافنات بمراح آنفا، علموا أن الأعداء أسروا أمنا في الجنوب !

الدار البيضاء　　　　　　　　　　　　　　أحمد زيادي

الخلق الصوفي عند أبي سالم العياشي (1)

نفيسة الذهبي

تعتمد العمليات الاستكشافية في التاريخ على منهجية خاصة ــ لا نحتاج الى توضيحها للمهتمين ــ تنطلق عموما من طرح السؤال، والبحث عن الجواب بدون فكرة مسبقة.

(1) ــ أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، وولد سنة 1037 هـ / 1628 م، وتوفي إثر إصابته بوباء الطاعون سنة 1090 هـ / 1679 م. من أبرز علماء القرن 17 م، أقام مدرسة بدوية نشيطة في التربية والتعليم، وكون شبه جامعة مفتوحة للبحث، والمناقشة، والمراسلة، وربط الصلات عرف به عدد كبير من كتاب التراجم في المغرب، والمشرق، كما درست شخصيته في إطار الدراسات الجامعية، انظر القسم الأول من بحثنا الخاص بدراسة وتحقيق فهرسه :
ن ــ الذهبي **اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر** (دراسة وتحقيق) بحث دبلوم الدراسات العليا في التاريخ جامعة محمد الخامس ــ كلية الآداب ــ الرباط 86 ــ 1987
م ــ بنصير العلوي **ابو سالم العياشي شاعرا** بحث دبلوم الدراسات العليا في الأدب العربي جامعة سيدي محمد بن عبد الله ــ كلية الآداب ــ فاس 1984

من هذا المنحى المنهجي بدأ تعاملنا مع شخصية أبي سالم العياشي الذي لمع كأحد أفراد النخبة المغربية النبيهة بفضل إسهامه المتواصل في إثراء الثقافة المغربية الاسلامية. وقادتنا الاشارات، والشهادات المستنبطة من تراثه[2] الى محاولة التعرف على منهاجه الفكري سواء في مجال اهتماماته العلمية ــ وهو مجال متميز يستحق وقفة طويلة ــ أوفى تتبع حياته كمتصوف سني، صالح الخلق، قوي الشخصية.

فإلى أي حد وفق أبو سالم في خلق التوازن والتكامل بين التكوين العلمي، وبين النزعة الصوفية بيسر واعتدال ؟ وما هي الكيفية العملية، والسلوك الفعلي الذي التزم به على مستوى الممارسة اليومية ؟

سلك أبو سالم الطريق الصوفي على يد أكبر شيوخ الصلاح في عصره سواء في المغرب أوفى المشرق، وقد صنفهم، وأثنى عليهم، مقدما والده كأول موجه ومرشد. وكان والده[3] متمسكا بالصلاح، عاملا بالكتاب والسنة، ورعا، زاهدا، حتى وصفه بعض شيوخه بأنه من عدول الوقت، وعده أبو سالم في طليعة أئمته في التصوف[4].

ولا يخفى في هذا السياق تأثير الزاوية ــ التي أقيمت من أجل التربية والوعظ ــ على تكوين الطفل الناشيء، فهي زاوية شاذلية الطريقة، ومقصد للزوار والمريدين، كما انها ارتبطت ــ رغم وقوعها في إقليم جبلي ناء ــ مع باقي الزوايا

(2) ــ خلف ابو سالم كتبا غزيرة المادة، متنوعة المواضيع، انظر **اقتفاء** ص 71 وما بعدها

(3) ــ محمد بن أبي بكر العياشي ت 1067 هـ / 1657 م، من كبار مريدي زاوية الدلاء قبل أن يؤسس الزاوية العياشية سنة 1044 هـ / 34 ــ 1635 م وتقع الزاوية العياشية أو زاوية سيدي حمزة ــ كما تسمى اليوم ــ في الأطلس الكبير الشرقي، جنوبي مدينة ميدلت على ضفاف احد روافد نهر زيز.

(4) ــ انظر القسم الخاص بشيوخ التصوف في فهرس ابي سالم، وكذلك في ارجوزته : **وسيلة الغريق بأئمة الطريق**. مخطوطة م. ع بالرباط تحت رقم 1254 ك : ضمن مجموع

في علاقات متنوعة، وسعى أهلها إلى الاتصال بشيوخ التصوف، كما سعوا للالتقاء بالعلماء وعلى رأسهم أبو سالم الذي حرص على الاتصال المباشر بهم، واهتم بجمع أسانيدهم، حتى غدا مرجعا في أسانيد الطرق بأصولها وفروعها.

ومن الشيوخ الذين صحبهم، واقتدى بهم — إلى جانب والده — الشيخ عبد القادر الفاسي، وابو بكر السكتاني، ومحمد بن ناصر الدرعي، ويظهر من سند أبي سالم المغربي أنه لم يتصل بكل شيوخ عصره[5] وأن رحلاته الداخلية كانت محدودة. غير أننا لا نغفل الاتصالات التي تمت أثناء رحلاته المشرقية مع شيوخ التصوف، واهتمامه البالغ بتتبع أسانيدهم، وذكر طرق اتصاله بهم، رواية، وانتسابا، وتبركا.

ومن شيوخ أبي سالم الشاذليين بمصر الشيخ أبو اللطف الوفائي — نقيب الطائفة الوفائية — الذي كناه أبا سالم بقوله : «سالم إن شاء الله في الدنيا والآخرة»[6].

وأخذ بمكة المكرمة عن الشيخ محمد با علوى الحضرمي اليمني، ووقف على أسانيده العالية في لبس الخرقة، وهي أسانيد تتصل بالشيخ أبي مدين. وأكد أبو سالم في فهرسه أن طريق اللباس والتبرك عند أبي الحسن الشاذلي أقدم من طريقه في الصحبة. فقد لبس الشيخ الشاذلي خرقة مدينية والتزمت الطائفة الشاذلية في المغرب والمشرق بهذا المظهر[7].

---

(5) — يظهر من بعض مؤلفات هذا القرن أن عدد المتصوفة كان كبيرا في المدن والبوادي ومنها كتاب محمد الافراني **صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر** (في التراجم) المطبعة الحجرية بفاس — دون تاريخ

(6) — ا — العياشي — **اقتفاء** ص 31

(7) — أشار الشيخ احمد بابا التنبكتي في كتابه : اللئالىء السندسية في الفضائل السنوسية الى التزام الشيخ ابراهيم بن محمد اللنتي التازي — نزيل وهران — المتوفى سنة 866 هـ / 1462 م بهذا المظهر، والى كونه كان يلبس مريديه خرقا بسندها المديني المتصل.

والتقى في الديار المقدسة بالشيخ عبد الرحمن المكناسي وألبسه، وناوله، وأجازه في كل ذلك. كما تلقن الذكر واقتدى بالشيخ صفي الدين القشاشي، واطلع على عدد من تآليفه في التصوف وفي سائر العلوم الأخرى التي اشتغل بها. وبين أسلوب التلقين وصيغة الذكر كما تلقنه من شيخه محمد البكري[8]، ومن الشيخ عمر العلمي امام الصوفية بمدينة القدس[9].

وتبرك أبو سالم في المراكز المشرقية التي زارها بشيوخ الشاذلية المشاركين كالشيخ علي الأجهوري، وعبد القادر المحلي، وعيسى الثعالبي، وزين العابدين الطبري، كما لقي بعض الزهاد المنقطعين للعبادة مثل الشيخ محمد الطحطائي المالكي الذي عده من شيوخه وذكره في فهرسه.

ونستطيع أن نستشف من خلال تجربة أبي سالم في اكتساب الذوق الصوفي الأصل السني لهذا العلم، وآدابه، وطرق تلقينه، وأشكال الانتساب التي تعتمد على سند ثابت يتصل بالرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره القدوة، والخلق الأمثل الذي يسعى المتصوفة إلى الاقتداء به، كما نعرف أن لهذا العلم قواعد عامة، وله كذلك خصوصيات لا يدركها إلا أهله او من فهم معانيهم. ومن الخصوصيات التي وقف عندها أبو سالم باعتبارها أمورا غامضة، مسألة الأخذ بطريقة غير مباشرة أحيانا، فقد يكون الاتصال روحيا، غيبيا، بين شخصين يفصل بينهما التاريخ والزمن، وقد نبه على ذلك في سياق سند مماثل بقوله : « وإنما نبهت على هذا خشية أن يراه من لا خبرة له بطرق القوم فيظن انه انقطاع يقدح في اتصال السند، فإن للقوم ــ رضي الله عنهم ــ اصطلاحات ليست لغيرهم»[10].

(8) ــ من الاساليب التي أورد ابو سالم نصها يقوله : «لقنني الذكر وهو استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه ثلاثا، ولا اله إلا الله ثلاثاويدي في يده، ورداؤه فوقنا» رحلة ج 2 ص 211

(9) ــ انظر اسلوب التلقين عند الشيخ عمر العلمي في ا ــ العياشي رحلة ج 2 ــ ص 323

(10) ــ ا ــ العياشي اقتفاء ص 30

فكما أن الاتصال، أو الانقطاع في السند عند المتصوفة يخضع لمنهج خاص، فإن الأسانيد العالية لا تعتمد على قلة عدد الرجال كما هو الشأن عند المحدثين الذين يغتبطون بذلك، ويحرصون على الدقة، والعلو. ومرد ذلك — كما يبدو — الى طبيعة التصوف وخصوصيات ميدانه، وقد بحث في هذا الموضوع الشيخ محمد العربي الفاسي وتوصل إلى أنه لا يلتزم في باب التصوف ما يلتزم في باب الحديث لأنه اوسع[11].

والملاحظ أن هناك اهتماما بالمادة الصوفية، فقد خصص لها ابو سالم فصولا من رحلته ''**ماء الموائد**''، وبعض المؤلفات المستقلة، كما حظيت في فهرسه بما يناهز ربع المحتوى العام، في شكل تراجم للشيوخ يذكر من خلالها طرق الانتساب، والاسانيد، والمقروءات، والصفات الخلقية، وكيفيات اتصاله بهم، الى غير ذلك من الاشارات التي وقفنا عند بعضها. وهو بذلك يخلص لدور التوجيه الصوفي اخلاصه لدور المشيخة وهذا الفهرس الذي نعتمده بالاساس والذي يمثل إجازة علمية عامة يعتبر نموذجا لازدواجية اساليب التلقين كما عرفتها المدارس والزوايا في إطار المناهج والبرامج التعليمية. كما ان نصيب هذه المادة — التصوف — ينم عن دورها في التكوين، وعن رغبة الشيوخ في خلق التوازن بين العلوم الظاهرة المعتمدة على الجدية، والتحقيق، وبين الاساليب الصوفية التي يرتاح اليها الطالب، وينشد فيها نوعا من الاطمئنان النفسي.

كما أن هناك اهدافا، ومقاصد لهذه التربية النظرية التي تتبعنا مراحلها عند أبي سالم، وتظهر تلك الاهداف في الكيفية العملية لتوظيف الأصول الملقنة. وهو

---

(11) — ا — العياشي **اقتفاء** ص 30. ونضيف بصدد هذه الخصوصية ما جاء عند ع — ابن ابراهيم من إشارات مفادها أن الصوفيين يرون أن السند كلها كثر رجاله عظم الاستمداد منه والافتخار، خصوصا مع تباعد الاقطار في ذلك الوقت. **الاعلام** ج 8 — ص 99
تحقيق الاستاذ : عبد الوهاب ابن منصور
المطبعة الملكية — الرباط 1977

ما نحاول أن نتلمس ابعاده من خلال تجربة ابي سالم الذي سعى الى استغلال كفاءته التربوية استغلالا طيبا وبدأ بإصلاح نفسه، وخدمة اسرته، ومجتمعه. ومن خلال اعماله، وسلوكه اثناء الاقامة، والهجرة، والسفر، والمجاورة، تتضح شخصيته كمتصوف فقد كان عابدا، قانتا، حريصا على الحلال، وأول ما يدعو اليه هو محاربة النفس لكونها ضعيفة أمام الملذات، وذلك بذكر الله، وقراءة كتب التصوف، والزهد، والقناعة، والمحافظة على الروح الاسلامية داخل الاسرة وقد خص منطقته البدوية باهتمام بالغ فألف، ووعظ، وعمل على خدمة مصالحها العامة اجتماعيا وفكريا[12].

ويشارك ابو سالم في ترميم الكعبة الشريفة، ويشترى من حلال ماله ثلاثين لبنة أدخلت في بناء البيت الحرام، كما أنه ينقل شيئا من الخشب المنكسر الذي منح له أثناء الاصلاح تبركا[13].

واثناء شهر رمضان — في مكة — كان ابو سالم يعتمر كل ليلة اثنين وجمعة إلى انتصاف الشهر، فيداوم هذه العادة إلى ليلة احد وعشرين، ويدخل في الاعتكاف الى آخر الشهر، ولم يغفل الاشارة الى مرونة المذاهب الفقهية في هذا الباب ليستدل على أن استكثار المسافر من تكرار العمرة لا يخالف السنة[14].

وابو سالم متصوف سني لا ينقطع عن تلاوة كتاب الله العزيز، فهو يختم كل ليلة ختمة من القرآن الى جانب الحزب الراتب[15] كما انه ينظم القصائد في

(12) — عبر عن أفكاره الاصلاحية في مؤلف صغير يحمل عناوين مختلفة أشهرها :
تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية،
مخطوطة خ ع بالرباط تحت رقم 3366 ك

(13) — ا — العياشي **رحلة** ج 2 ص 111 — 112

(14) — نفس المصدر ج 2 ص 98 — 99، وفي شأن امور العبادة الخاصة بركن الصيام ايضا انظر ج 1 — ص 109

(15) — ا — العياشي **رحلة** ج 1 — ص 78

السيرة النبوية ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يكثر من قراءتها في كثير من المناسبات، ويرددها كلما أحس بالضيق والانقباض. كما انه يقتدى بالسلف الصالح ويقدر شيوخ التصوف وأهله ولكنه صاحب حس نقدى وله نظرة صريحة الى بعض المفاهيم والاقوال التي يأخذ بها العامة لأنها صادرة عن رجل صالح أو قطب من أقطاب التصوف بدون تأويل. وقد ألح في أكثر من مناسبة على ضرورة التأويل، وصرح بأن لكلام الائمة ظاهرا واضحا ولكن مراميه الخفية لا ينالها إلا العارف، المجتهد، العامل، المتخلق بأخلاق المتصوفة[16].

والواضح أن ابا سالم فهم الاسلام فهما عميقا، وتصدى للدفاع عنه في كل مناسبة، ولذلك نراه يشارك بشكل فعلي في حل معضلة المتكلمين في الجنوب المغربي تلافيا للفتنة، وكان المتكلمون في سجلماسة قد أخذوا يمتحنون الناس في أمور دينهم، ومن أقر منهم بوحدانية الله وجهل بعض الصفات، والمعاني العسيرة على عقول العوام اتهم بالكفر، ونبذ، وحرم من ماله، وأولاده، او غير ذلك. وقد أدى هذا التصرف في فهم المسائل المتعلقة بالعقيدة الى انقسام المسلمين فيما بينهم، وتكفير بعضهم لبعض، وبلغت أخبار هذا الخلاف الى مختلف جهات المغرب، وحاول العلماء بشتى الوسائل القضاء على أسبابه، وقد ألف ابو سالم كتابا من أجل ذلك سماه : ''**الحكم بالعدل والانصاف، الرافع للخلاف فيما وقع بين فقهاء سجلماسة من الاختلاف**''[17]. بناه على الاستشهاد بنصوص قرآنية، واختيار الحجج المناسبة من السنة والأصول لترجيح مبدأ الاعتدال. وقد تعرض لهذه المسألة أيضا معاصره الشيخ الحسن اليوسي الذي حضر في عين المكان، ورأى ما كان يجرى في تافيلالت من تعصب، ورفض لكل نقاش او نصح، وحاول أثناء مقامه بينهم الاستدلال على تطرفهم، ومجادلتهم في تلك المعتقدات ولكنه لم

(16) — نفس المصدر ج 2 — ص 412 — 413، وج 1 — ص 242
(17) — مخطوطة خ ع — بالرباط تحت رقم 39 ك

يوفق لاصرارهم، ورفضهم لأية مناقشة في الأمر. ونشير الى أن محاولات العلماء لم تجد نفعا ولكنها أكدت سعيهم الطيب لخدمة الصالح العام، ولم تنته هذه الخلافات في سجلماسة إلا بعد انتشار وباء الطاعون سنة 1090 هـ / 1679 م[18].

وابو سالم متصوف قوي الشخصية له نظرية خاصة في الحياة، وفي المال، وفي السعي الى المناصب العليا، وبعض هذه الاتجاهات واضحة في سلوكه وتظهر من خلال بعض مؤلفاته ورسائله ومن ذلك ما كتب به الى صديقه وتلميذه عثمان ابن علي اليوسي من طرابلس واعظا إياه بقوله : «إياك والاهتمام بالرزق، والخوف من الخلق، فإنهما أصل كل وهن في الدين، وضعف في اليقين، فإن الأول يوجب الشك في المقدور، وفتور في النفس، وكل زائد في المعاش، وتعب في لاش، والثاني يثبط عن كثير من الخيرات، ويحمل على قبيح المداهنات، ويستعجل به المرء هما لا ينقضي، إلى غير ذلك من المفاسد، والاعتماد على الله كاف عنهما»[19].

ويتحاشى ابو سالم في أحاديثه تعظيم المال، وتبدو نظريته فيه ضمنيا في اختيار بعض الالفاظ التي تناسب المراد مثل كلمة ''الصلة'' و''الصدقة'' و''الأجر'' و''العرض الفاني'' الى غير ذلك مما يبين دور المال وأهميته في الحياة أكثر من تعظيمه، والحديث عن مجالات إنفاقه.

وقد طبع هذا الموقف اسلوب حياته فكان ينفق ماله في شراء الكتب، وتجهيز المكتبة، وخدمة الطلبة والمريدين، وزيارة الأماكن المقدسة، كما كان بسيطا

(18) — ح — اليوسي **المحاضرات** ص 92 — 93

(19) — ا — العياشي **رحلة** ج 1 ص 79

وتبين رسالة ابن سالم الى صديقه القاضي العربي بردلة موقفة من المناصب الشرعية في إطار النصائح التي زوده بها خشية الوقوع فيما لا يرضي الله.

يوجد نص الرسالة في خ م تحت رقم 7151

في مأكله، وملبسه، بل ينسى أحيانا الاهتمام بمظهره في خضم الانشغال بأمور العبادة والتنقل بين المراكز الدينية[20].

وندرك من خلال هذه الامثلة المستمدة من تراث ابي سالم أن تطبيقه للتصوف كان تطبيقا واعيا، فقد حرص على الانتساب الى أهل هذا الطريق، وعلى رواية اسانيدهم، والتعريف بأساليبهم، كما أنه تخلق بأخلاقهم فكان صالحا، مستقيم السلوك، سليم الفكر، صاحب مبادىء واضحة عمل على تطبيقها في زاويته عندما ترأسها ووسع دائرة إشعاعها الديني والعلمي.

وكانت الزاوية متواضعة أيام والده، لا تتجاوز تلقين المريدين، وإطعام الطعام، وإيواء المحتاجين، ولكن أبا سالم نجح في بلورة أدوارها، والتعريف بها، وباتجاهها الصوفي الشاذلي السني المعتدل، كما أكد نشاطها العلمي، واعطاها نفسا جديدا بعد أن نهل من المدارس البدوية ومثيلاتها في الحواضر.

وفي سياق الحديث عن دور ابي سالم في الميدانين نشير الى كونه حظي بسمعة طيبة في المغرب والمشرق بفضل الجدية، والملازمة، والحضور، والتثبت في الرواية والنقل، حتى أقبل عليه طلبة العلم، وحتى شيوخه للاستجازة منه ولو على سبيل التبرك بأسانيده العالية.

وتدل ممارسة أبي سالم عموما على أنه أخذ بكل الأصول العامة للتصوف، ولكنه اعتنى بالأمور العملية، ولم يفصل الوعظ الديني عن الدور التعليمي التربوي

(20) — بدا ابو سالم رث الهيئة عندما حل بمدينة غزة. رحلة ج 2 ص 305

بل أكد على ايجابيات التكامل بينهما في اكثر من مناسبة[21]. وبذلك حقق نوعا من الاعتدال، وبين بشكل فعلي أن التصوف ليس نزعة فردية وجدانية بقدر ما هو خلق حسن، وأسلوب في الحياة، وتعبير عن عمق الايمان بالله.

نفيسة الذهبي

(21) — اشار ابو سالم الى الأهداف التي سعت الزاوية إلى تحقيقها عبر مراحل طويلة وقد جاء في رسالة موجهة إلى ابناء أخته أثناء غيابه قوله : «... وأكد عليهما في عمارة المسجد، وخدمة العلم فإن الله كافيهما بذلك كل مهم، وإياكما والتسويق والاغترار، والركون الى الاغيار، فإن ذلك مما يذهب بهجة العلم ونوره ويكسف بدوره فإن العلم هو نور القلب، والمسجد هو روح البلد...»
رحلة ج 1 — ص 87 وكذلك ص 88

مقاومة التدخل الأجنبي
في الشاوية وجبال الأطلس

علال الخديمي

واجه الاحتلال الفرنسي للمغرب مقاومة عنيفة منذ اليوم الأول الذي وضعت فيه الجيوش الاستعمارية أقدامها على الأرض المغربية. واذا درجت بعض المؤلفات على التاريخ لمراحل الاحتلال والمقاومة، بتوقيع عقد الحماية في مارس 1912، فالواقع، الذي يجب أن لا يعزب عن البال، هو أن المقاومة المغربية المسلحة، كانت قد قطعت في ذلك التاريخ، أزيد من ست سنوات، من المواجهة مع الجيوش الاستعمارية، الزاحفة من الجنوب، عبر أقاليم شنقيط وأدرار. ومن الشرق، عبر واحات الصحراء المغربية الشرقية. ثم عبر الحدود المغربية الجزائرية. ومنذ سنة 1907 خاصة، عندما نزلت تلك الجيوش في مدينة الدار البيضاء، على الساحل الغربي.

وإذا كان ليس في نيتنا، تتبع مراحل الاحتلال والمقاومة في مجموع البلاد

المغربية، فإننا سنركز على ما جرى ببلاد الشاوية، ثم نتبعها بنظرة عامة، على مقاومة القبائل المغربية بجبال الأطلس.

وقبل الشروع في صلب الموضوع، يبدو من الأفيد، أن نقدم له بنظرة عامة، على بعض المميزات التي ميزت التدخل الاستعماري في المغرب، والتكتيك العسكري الذي اتبعه المحتل، لمواجهة تعبئة المجاهدين. وهذه النظرة ضرورية، لأنها قد تفسر أسباب النصر والهزيمة في نهاية المطاف.

مميزات عامة للتدخل الاستعماري في المغرب :

من الجدير بالذكر، أن التدخل الاستعماري بالمغرب تميز بمميزات خاصة، حددتها شروط دولية، تتعلق بتوازن القوى على المستوى الاوربي. وأخرى داخلية، تتعلق بارادة المقاومة والصمود، التي ميزت الشعب المغربي، خلال مسيرته التاريخية الغنية بالأحداث.

ففيما يخص الشروط الدولية، ركز الاستعماريون، في كل خطوة كانوا يخطونها في سبيل احتلال المغرب، على أنهم لا يخرجون عما قرره المؤتمر الدولي بالجزيرة الخضراء سنة 1906، الذي ضمن استقلال الامبراطورية المغربية، وسيادة سلطانها. وكان الهدف من هذه السياسة، تجنب معارضة الدول الأخرى.

أما في مواجهة الشعب المغربي، فقد حرص الاستعماريون كذلك، على كسب الشرعية لعملياتهم الاحتلالية، عن طريق التظاهر بالتعاون مع المخزن. وكان الهدف من هذه السياسة، واضح المنفعة للاستعمار : التأثير على المغاربة، لإضعاف مقاومتهم، وتفريق صفوفهم، والاستعانة ببعضهم ضد البعض الآخر .

على أننا يجب أن ننبه، الى حقيقة لا مراء فيها، هي أن المغاربة جميعهم، سواء كانوا حاكمين أو محكومين، كانوا على يقين بأن الاحتلال فرض عليهم

فرضا. وأن من العار الخضوع لتحجير الأجنبي، دون دفاع عن الكرامة والدين والوطن.

واذا كانت تلك هي إرادة الشعب المغربي، في مواجهة إرادة الاستعمار، فما هي إمكانيات الطرفين في ميزان القوى ؟

لا جدال، في أن المغاربة، لم يكونوا يتوفرون الا على أسلحة خفيفة، تتكون من بنادق وان كان بعضها حديث الصنع[1]، فلا مجال لمقارنتها بالتسليح العصري، الذي كان يتوفر عليه المحتلون. مثل الرشاشات والمدفعية في المرحلة الاولى، ثم المصفحات والطائرات ابتداء من 1920.

أما من حيث عدد الرجال، فلا مجال لمقارنة قبائل مجاهدة، ومتفرقة، يعوزها التنظيم والتموين، بجيش عصري، منظم ومدرب. يتألف من وحدات خاصة بكل مجال من مجالات الحرب. وصل عدده سنة 1912 الى 000 50 جندي. ثم تضاعف بعد ذالك، الى حوالي 000 350 جندي. يسانده جيش أكثر عددا، من الأعوان المغاربة ، الذين جندتهم السلطة الاستعمارية بالقهر لمحاربة إخوانهم.

خطط عسكرية متعارضة :

ومن حيث التكتيك العسكري أو التعبئة العسكرية، فقد اتبع المحتلون خططا ماهرة وماكرة. فنظرا لصمود المغاربة، ورغبة في التقليل من الخسائر المادية والبشرية؛ حرص المستعمرون ــ بالدرجة الاولى ــ على استعمال السياسة، ثم تكثيف استخدام القوة المسلحة، والحرب الاقتصادية لسحق المقاومين.

ــ (1) كان المغاربة يستعملون بنادق من صنع فرنسي chassepot أو ايطالي MARTINI او انجليزي REMINGTON أو ألماني Winchester. وبنادق مغربية من نوع بوجبة (و بوشفر).

العمل السياسي : كان الاحتلال يتم مرحلة بعد مرحلة. وكان العمل السياسي، الذي كلفت به مصلحة الاستخبارات، يسبق العمل العسكري دائما.

كانت الخطة المرسومة لضابط الشؤون الأهلية هي : ان «يتوجه أولا للرؤساء المعترف بهم في القبيلة، فيثير أطماعهم، ويعمل على ربطهم به، بواسطة المصلحة أو الطموح. أو بذل المال. ويعمل على تفكيك الفرق المراد إخضاعها، بواسطة صراعات الأطماع والمصالح، وبذلك يكون قد جزأ وأضعف الفرق المقاومة في القبائل»[2].

لكن الواقع، أن هذه الخطة لم تكن تنجح دائما، مع المغاربة المتشبثين باستقلالهم. غير أنها على المدى الطويل، كانت تؤثر على إرادة الصمود، وتمهد السبيل للعدو :''إنه — اي ضابط الاستخبارات — لن ينجح في معظم الاوقات، في تحقيق استسلام القبيلة كلها. لكنه يكون قد احدث شروخا في الكتلة المعادية — يقول BERRIAU — وأوهن إرادة المقاومة. وبذلك، يكون قد مهد الطريق للعمل العسكري القادم''[3].

كان العمل السياسي — إذن — ضروريا، لاثارة الخلافات بين الفرق المقاومة، عن طريق حبك الدسائس، وإثارة المنافسات بين الأعيان بواسطة بعض المأجورين. وبعد ذلك يسهل على جيش الاحتلال الشروع في استخدام القوة المسلحة ضد المجاهدين، الذين كان صفهم متماسكا وقوتهم مرهوبة. وقد أوضح René pinon دور العمل السياسي في تفكيك صفوف المقاومة بجبال الأطلس فقال : ''لقد كانت كتلة المنشقين — يعني المجاهدين — تظهر لأول وهلة هائلة ومتماسكة. فما هي القوات العسكرية التي تستطيع أن تتغلب على هؤلاء المحاربين

(2) — BERRIAU, (Col), ''L'officier des renseignements au Maroc'', Rabat, 1918, P. 7.

(3) — Ibid. même page

الأشداء في ركام من الجبال الشديدة الارتفاع والوعورة ؟ لكن شيئا فشيئا، ها هي الكتلة تتفكك. فالأفخاذ التي استسلمت تستخدم للتوغل في الفرق التي لازالت تقاوم''(4).

ومن أهم عناصر العمل السياسي، التي أولاها المستعمرون عناية خاصة سياسة القواد الكبار، التي ساعدتهم في إخضاع الجنوب المغربي(5). فقد ترك المجال للقواد الكبار، مثل الكلاوي والكندافي وحيدة أوميس، لإخضاع القبائل المجاهدة. واكتفى المستعمر بإمداد أولائك القواد، بالمال والسلاح. ولم يتدخل لمساعدتهم بالقوة المسلحة إلا في الحالات المستعصية. وبهذه السياسة، تجنب المحتلون، أخطارا محققة، وتكاليف باهضة. في الأوقات الحرجة، زمن الحرب العالميةالاولى.

لكننا، يجب أن نلاحظ، أن العمل السياسي، الذي كان الهدف منه الاستعانة بالمغاربة أنفسهم، لاخضاع البلاد للمستعمر، لم يكن يجدي نفعا، في قهر إرادة الجهاد الصلبة. ولذلك كان لابد للمحتلين، من خوض غمار الحرب. وكانت هذه الحرب طويلة، استغرقت أزيد من ربع قرن، وتميزت بمظهرين بارزين.

الحرب الاقتصادية :كان الهدف منها تجويع المجاهدين ودفعهم الى الاستسلام. ولهذا عمد المحتلون، إلى تخريب الحقول وحرق المزارع، ونهب الأثاث، والاستيلاء على قطعان الماشية. واذا كانت المنطقة جبلية، فقد كان الحصار يضرب حولها، حتى لاتستفيد القبائل من المراعي السهلية أو الأودية الخصبة، فتموت مواشيها ــ وهي ما تبقى من رأسمالها ــ جوعا في الجبال الباردة.

(4) René PINON, "Au MAROC, fin des temps héroïques", Paris, 1935, P. 26.

(5) – MAURICE de Perigny, Au MAROC, MARRAKECH et les Ports du Sud, paris, 1918, PP. 40 - 50.

لقد اتبعت هذه الحرب الاقتصادية الكريهة، منذ سنة **1908** في سهول الشاوية، وكان بطلها هو الجنرال داماد[6].

وفي سنتي **1911 — 1912**، اتبع نفس النهج ضد قبائل زعير وزمور. ولم يجد أحد ضباط الاحتلال أنجع من هذه الحرب، التي رآها ضرورية لمواجهة تكتيك المغاربة بالقبائل المشار اليها، فدافع عنها بقوله :

''لأجل إخضاع عدو عنيد — على الأقل لبعض الوقت — يجب إصابته في مصالحه الحيوية، التي لايستطيع الاستغناء عنها. ويجب ان نشتد في ذلك إلى أبعد الحدود. فلابد اذن من حرق زروعه، ونهب مواشيه وتجويعه''[7].

وهكذا، ومنذ **1907** إلى **1934**، لم يتوقف الغزاة عن التفنن في تطبيق سياسة التجويع، ضد القبائل المقاومة، ببلاد الشاوية أولا، ثم بالجبال الاطلسية. بيد أنهم وفي جميع الأحوال كانوا كما أشرنا — مضطرين إلى خوض غمار المعارك في نهاية الأمر[8].

العمل العسكري :أما العمل العسكري، فبعد أن خبر المحتلون شدة مراس المحارب المغربي، ومهارته القتالية، فإنهم اعتمدوا في المرحلة الاولى، على استخدام كثيف للقوة النارية، وخاصة بواسطة سلاح الرشاشات (المكاحل المهبولة)، والمدفعية. وكان الهدف من وراء ذلك، ابعاد رصاص المجاهدين عن صفوف قوات العدو. أما في المرحلة الثانية، وبعد ان طالت الحرب، فقد أخذ المحتلون يدفعون

---

(6) — علال الخديمي، حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية، د. د. ع، كلية الآداب، الرباط، 1985، ص. 418 — 420.

(7) — CECCALDI (cap.); Au pays de la poudre; Maroc occidental (1911 – 1912); pp. 59-60.

(8) — Guillaume; (gl) Les berberes marocains et la pacification de l'atlas central; (1912 1934); p. 77 et suite.

بقوات عديدة ــ لحصر وتشتيت المجاهدين ــ تتكون من فرق الأعوان والكوم والمخازنية. ثم اردافها بقوة اللفيف الاجنبي، وبعد ذلك، ياتي دور القوات المكونة من أبناء فرنسا. إن هذا التكتيك في الهجوم، هو الذي يفسر ارتفاع نسبة الضحايا بين الضباط الفرنسيين الذين كان المجاهدون يستهدفونهم كلما تقدموا على رأس المجندين المغاربة.

تعبئة المغاربة في القتال :أمام هذه الامكانيات الهائلة، كان المغاربة يعتمدون بالدرجة الاولى على شجاعتهم وعلى معرفتهم الدقيقة بميدان المعركة. كانوا يستفيدون من تلال بلادهم، وجبالها وأوديتها وصخورها، لتنظيم هجوماتهم الخاطفة. وتميز الفرسات المغاربة، بقدرتهم الفائقة على سرعة التحرك والمناورة.

وكثيرا ما كان المغاربة يبحثون عن الالتحام بقوات العدو المتقدمة، اذا كانت غير محمية بالمدفعية والرشاشات. اما اذا تحرك العدو بكل قواته في جبهة عريضة، فالالتفاف حول الاجنحة، ومهاجمة الفرق المنعزلة، ومقدمة العدو أو مؤخرته، عند كل تراجع، كان هو التكتيك المتبع دائما. والنترك للضباط الفرنسيين، وصف تعبئة المغاربة الماهرة في القتال لأنهم جربوها وخبروها، والحق ما شهد به العدو. قال الجنرال كيوم[9].

«لكن هنا (جبال الاطلس)، فالعدو يوجد فى كل مكان، ولا يوجد في أي مكان. وفي غالب الأحيان لايمكن تحديد مكان وجوده. فقبل أن تتمكن فرق المدفعية والرشاشات، في تصور خطة لنيران أسلحتها، وتثبيت أجهزة اتصالاتها، ينطلق هجوم المغاربة، من المكان الذي لاينتظر منه، بشكل مفاجيء ومخيب للآمال. وفي خلال بعض اللحظات، يلتحم العدو بالفرقة المتقدمة، بالسلاح الابيض، ثم يكتسحها أو يصدها، قبل أن تتمكن من تنظيم أقل مقاومة تذكر.

---

(٩) — Ibid., P., 80. et ceccaldi, op. cit. pp. 57-58. et PP 64-67

ثم يختفي المهاجمون، بعد أن يكونوا قد قضوا على الجرحى، ونهبوا الموتى، وحملوا معهم السلاح والذخيرة، كعلامات على الانتصار. واذا حدث أن غامرت فرقة من الجيش، وتوغلت بأعداد غير كافية من الجنود، فان العدو، الذي يبحث دائما عن الالتحام، يهجم عليها بمعظم قوته، وحينذاك لايعوض تفوق سلاحنا حركته الخارقة''.

ويصدق هذا الوصف على ما جرى في معارك الشاوية. ويمكن تطبيقه على المجاهدين في معركة فنحفاخة، التي وقعت في 29 فبراير سنة 1908 ببلاد المذاكرة(10).

مقاومة الشاوية

الشاوية والتدخل الأجنبي :

يقع اقليم الشاوية بين قبائل زعير شمالا، وأم الربيع جنوبا، على طول الساحل الأطلسي، معظم أرضه سهلية منبسطة. توجد به مدينة الدار البيضاء، التي احتلت من حيث النشاط الاقتصادي، الصدارة بين الموانىء المغربية في نهاية القرن الماضي.

عرف هذا الاقليم الغني، الاستغلال الرأسمالي، منذ أواسط القرن التاسع عشر. فقد نمت فيه مصالح التجار الاوربيين نموا كبيرا، بالاعتماد على امتيازات الحماية القنصلية، والمخالطات، والمعاملات الربوية في أمور الزراعة وتربية الماشية.

كانت لهذا الاستغلال، عواقب اجتماعية واقتصادية وسياسية، انتهت بسكانه الذين افقرت غالبيتهم، الى الانتفاض مع بداية القرن العشرين.

وقد تطورت ردود فعل سكان الشاوية منذ 1904، لتصب في تيار رد

(10) علال الخديمي، حادثة الدار البيضاء، ج. 2 ص408 — 410

الفعل الوطني للمغاربة جميعا، ضد الأطماع الفرنسية، التي أسفرت عن وجهها، إثر الاتفاق الودي بين فرنسا وانجلترا في 8 ابريل 1904.

ومنذ 1906، بدأت الشاوية تتحرك، وتستعد للهجوم على مركز الشر بالدار البيضاء. بل أعلن فيها الجهاد، بموازاة مع التدخل الاستعماري في شنقيط والجنوب الشرقي، وكنتيجة لاعلان ميثاق الجزيرة في أبريل من نفس السنة، ذلك الميثاق الذي رفضه المغاربة واستعدوا لمقاومة نتائجه.

كانت الأوساط الاستعمارية بدورها تراقب الوضع، وتخطط لاستغلال كل تحرك مضاد للأطماع الفرنسية على الساحة المغربية. ولا ريب أن المستعمرين كانوا يتطلعون لليوم الذي تشرع فيه الحكومة الفرنسية، في عملية احتلال رسمية للبلاد المغربية. وينتظرون الفرص المناسبة، التي تتيح لهم حبك تآمرهم على إنهاء استقلال الشعب المغربي، والشروع في نهب خيراته.

وقد عرفت سنة 1907، بداية تنفيد المخطط الاستعماري الاحتلالي على مراحل. ففي 10 مارس 1907، قتل طبيب دبلوماسي بمراكش، فردت الاوساط الاستعمارية على الحادث باحتلال مدينة وجدة في 29 من الشهر نفسه.

كان لاحتلال وجدة صداه الوطني الواسع، الأمر الذي أدى الى توتر شديد في العلاقات المغربية الفرنسية. وأخذ ذالك التوتر ينذر بأخطار لاتعرف عواقبها، في بلاد الشاوية خاصة، لما شرعت شركة فرنسية في أشغال اصلاح مرسى الدار البيضاء، في شهر مارس كذالك. ورأى السكان فى الامر دسيسة مقصودة، تهدف الى احتلال مدينتهم. وتأكد للناس هذا الظن؛ لما بنيت سكة حديدية طولها 1500 متر، فاعتبروا ذلك، مجرد بداية، سيكون لها لا محالة امتداد.

وقد وصل قلق سكان الشاوية مداه، حينما رأوا موظفين فرنسيين يجلسون بجانب الامناء المغاربة، بالجمارك لمراقبة الصادرات والواردات، تنفيذا لاتفاق سابق

مع المخزن. وفي محاولة لإبعاد النفوذ الفرنسي عن المدينة، وقع اشتباك بين طائفة من الناس وعمال الشركة، قتل فيه تسعة عمال أجانب، يوم 30 يوليوز سنة 1907.

كانت الأوساط الاستعمارية مستعدة، تنتظر مثل هذه الفرصة. ولذلك قررت في 2 غشت، ارسال حملة عسكرية لاحتلال مدينة الدار البيضاء، ومعاقبة الشاوية ـــ حسب ادعائها ـــ متجاهلة ما أبداه السلطان مولاي عبد العزيز، من استعداد لاعطاء جميع الترضيات المطلوبة.

وتدخلت الحكومة الفرنسية لدى الدول الاخرى، ولدى المخزن، مدعية أن العملية ستنجز في اطار مقررات الجزيرة الخضراء، وأن الهدف منها هو المحافظة على الامن، وتنظيم البوليس بالمدينة، بالاشتراك مع الحكومة الاسبانية، وبالتعاون مع المخزن. كما ادعت أن الاحتلال ـــ نتيجة لذالك ـــ سيكون مؤقتا[11].

الاحتلال والمقاومة بالدار البيضاء :

ودون ان نبحث في تفاصيل ما أقدمت عليه الأوساط الاستعمارية، بهدف الاسراع بالامور، وارهاب المغاربة. تجدر الاشارة الى أن الاسطول الفرنسي، بقيادة الاميرال ''فيليبير'' PHILIBERT، وصل الى الدار البيضاء يوم 7 غشت، حاملا من الموانيء الجزائرية، قوة احتلال يبلغ عدد رجالها حوالي 3000 رجل. وقبيل وصول الاسطول، نفذت ثلاثة بوارج كانت قد أرسلت على عجل الى الدار البيضاء، مؤامرة ضد سكان المدينة. اذ تعرضت مساكن المغاربة في فجر يوم 5 غشت، لقتبلة شديدة، قتل خلالها عدد كبير من السكان[12].

(11) ـــ لمزيد من التفاصيل أنظر علال الخديمي. المرجع السابق ص. 266 ـــ 283.
(12) ـــــــــــــــــــــــــــــــــ نفسه. ص. 300 ـــ 310.

ومنذ يوم 5 الى 7 غشت، جرت مشاهد من الرعب لا توصف. غير أن الارهاب الاعمى لم يمنع المغاربة من حمل السلاح للدفاع عن انفسهم. ثم تعززت المقاومة بالمدينة، بالمجاهدين الذين جاءوا من البوادي المجاورة. وقد جرت معارك شديدة بين المغاربة والبحارة الذين نزلوا من البوارج الثلاثة، وحاول المجاهدون اقتحام القنصلية الفرنسية، الا أنهم ردوا بواسطة مدفع وضع فوق سطح القنصلية، وبواسطة القصف المركز من البوارج. وفي صباح يوم 7 غشت اشتد الحصار على حي القناصل، لكن وصول الحملة الفرنسية أنقذ الموقف.

المعارك حول الدار البيضاء : غشت ــ دجنبر 1907.

قنبل الاسطول بدورد تجمعات المغاربة ليؤمن إنزال قواته. وقد عسكرت تلك القوات في ضواحي المدينة الجنوبية والجنوبية الشرقية، بقيادة الجنرال درود DRUDE. وسرعان ما وجدت نفسها أمام مقاومة شديدة، لم تكن في الحسبان. لقد نفر المجاهدون الى قتال الغزاة من كل صوب : وبدأت الهجومات تتوالى على القوات الفرنسية، والاشتباكات تحدث يوميا.

وقد أظهر المغاربة في هجوماتهم على معسكرات الفرنسيين بطولات خارقة. اذ بالرغم من مدفعية الميدان، ومدافع الاسطول، كان الفرسان المغاربة يكادون في هجوماتهم يصلون الى خطوط الفرنسيين. وقد أضطرت جرأة المجاهدين. الجنرال ''درود''، الى وضع 2000 جندي على خط النار في خنادق ممتدة، وفي حراسة مستمرة ومتعبة، ليلا ونهارا، خوفا من أي هجوم مفاجيء[13].

وهكذا، لم يكد يمض على نزول قوات الاحتلال 15 يوما، حتى تبين لقائد الحملة أن ثلاثة آلاف رجل، التي قدرت كافية لاحتلال الدار البيضاء وبلاد الشاوية، غير قادرة على تامين نفسها وحماية المدينة. فبعث لباريز يطلب ــ باحاح

(13) Georges bourdon, ce que j'ai vue, Les journées de casablanca, Paris, 1908.

ـــ مزيدا من الامدادات في الذخيرة والرجال. أما الهجوم على قبائل الشاوية في الداخل، فسيكون ''عملية صعبة تتطلب عددا كبيرا من القوات ويدفعنا ـــ يقول الجنرال درود ـــ لعملية عامة يمكن أن ترهن المستقبل''(14).

ولقد أتم المغاربة حصار الدار البيضاء، ومنعوا عنها كل الامدادات من الداخل. ورافقت ذلك الحصار، دعاية واسعة للجهاد، الذي نادى به مولاي عبد الحفيظ بمراكش، إثر بيعته في يوم 16 غشت.

أثارت هذه التطورات تخوفات الجنرال ''درود''، فبعث الى باريز تقريرا عن الوضع السياسي والعسكري بالشاوية، بين فيه عدد محلات المجاهدين المرابطة حول الدار البيضاء، والقبائل المساهمة فيها. وألح فيه على ضرورة العمل السياسي داخل القبائل، لتفكيك تماسكها، واقناع بعضها بوضع السلاح(15).

وكتب رئيس استخبارات جيش الاحتلال، عن الوضعية السياسية بالشاوية في 20 غشت فقال :

''إن تجمعات تادارت والحاج بوعزة وتيط مليل، تبين بالفعل، وبوضوح أن النفوس محرضة جدا ضدنا. وأن جمهور الشاوية يرغب في الحرب. هذه هي الوضعية كما تبدو الآن. اننا لا نوجد ـــ كما كان يعتقد ـــ في مواجهة بعض قطاع الطرق المنعزلين، أو بعض المجموعات من العصاة والمتمردين، ولكننا نواجه تجمعات كبرى، من القبائل التي تبدي عداوة حقيقية نحونا(16)».

---

(14) — ARCHIVES de guerre, Vincennes (A.G.V 7, 3 h 23, 18 Aout 1907

(15) Affaires Etrangères, Paris (A.E.P.) N.S. 46, 20 Aout 1907

16) — HUOT, (L.Cl), La situation Politique e· chaouia. Aout 1907 Janvier 1908, B.S.G.M. T.3, 1922, P. 109.

هكذا دفع جهاد الشاوية الفرنسيين، للاعتراف بحقيقة الواقع : إن الأمر يتعلق بشعب يرفض الاحتلال، ويتحدى تفوق سلاح المحتل. وقد تأكدت هذه الحقيقة، لما أرسلت امدادات عسكرية جديدة للجنرال ''درود''، وأمر بمهاجمة قبائل الشاوية في العمق. ففي يوم 28 غشت، حاول القيام بعملية استطلاع بعيدا عن الدار البيضاء؛ لكن العملية جرت معركة شديدة، أظهر فيها المغاربة مهارة تعبوية فائقة. وتبين منها أن أي أثر لم يحرزه المحتلون على المغاربة. ويكفينا الاستشهاد ببعض التقارير، لأن المجال لا يتسع للتفصيل.

جاء في تقرير عسكري عن معركة 28 غشت أو معركة دار بوعزة : ''لقد أظهر العدو شجاعة وبسالة خارقتين، وكان يعاود الهجوم باستمرار، ويتقدم أحيانا الى مسافة 400 متر من صفوف المشاة. إنه يمثل بالتاكيد خصما مخيفا. إنه بفضل تفوق تسليحنا وحده، استطعنا أن نبعده عنا مسافة، وأن نتجنب خسائر فادحة(17).

وقال الاميرال PHILIBERT، الذي راقب القتال من سفينة القيادة، وشارك فيه بمدفعية الأسطول :(18).

'' ماذا نفعل مع هؤلاء الفرسان المندفعين [...] إنهم متحمسون جدا وواثقون من شجاعتهم. فهم يتبعون تعبئة ماهرة. و فرسانهم أسرع من فرساننا [...] والكوم يقاتلون متراجعين، فلا يصيبونهم [...]. يمكننا القول : إن أي تقدم لم نحرزه على المغاربة، فهم يقولون بأنهم يحاصرون الفرنسيين في خرائب الدار البيضاء''.

---

(17) — Archives de la Marine, Vincennes (A.m.v.), BB 2602 PP. 649 — 651.

(18) Ibid, Amiral à Marine, 30 Aout 1907.

وكرر الاميرال، مطالب قيادة الجيش بارسال مزيد من الامدادات، ومباشرة العمل السياسي، لتفكيك صفوف القبائل المجاهدة.

ولقد أرسلت امدادات جديدة للجنرال ''درود''، وأمره وزير الحربية صراحة : ''إن ما يجب الآن، هو أن تتمكن من القيام بضربة قوية. لا أقول لكل قبائل الشاوية، ولكن لقبيلة أو لعدد من القبائل الأكثر قابلية للانجراح. إن ضربة قوية... مع نتائج محسوسة سيفيد كثيرا عملية التهدئة... وكذلك من العدل والمشروع أن تستولي على مطامير قبيلة، وتستحوذ عليها كمساهمة حرب''(19) !

ظن وزير الحربية الفرنسي، أن سحق قبيلة ضعيفة، ومصادرة ما تملكه، سيدفع القبائل الأخرى للاستسلام. بيد أن ما حدث كان مخيبا لآمال الأوساط الاستعمارية. فقد حاول الجنرال من جديد. الابتعاد عن الدارالبيضاء، وعبأ قواته بكيفية تمكنه من جر المغاربة للميدان، لسحقهم فيه. لكن معركة سيدي مومن، يوم 3 شتنبر جاءته بنتائج معاكسة. فقد تمكن المغاربة من طرد قوات الاحتلال، بعد أن كبدوها خسائر فادحة. وتبين من نتيجة المعركة. أن المغاربة هم الذين حركوا الجنرال الفرنسي ثم ثبتوه. وفرضوا عليه القتال في المكان الذي اختاروه. وفي الوقت الذي عينوه.

هذه الأمثلة كافية، لابراز صمود المجاهدين بالشاوية. وتكفينا الاشارة، إلى أن عجز الجنرال ''درود'' أمام المجاهدين المغاربة الاضعف تسليحا، قد دفعه الى ارتكاب تصرفات منافية لقوانين الحرب، كإعدام بعض الأسرى والجرحى، الذين سقطوا في أيدي القوات الفرنسية، بدعوى خطورتهم، ولارهاب المقاومين في واقع الامر. وقد تعرضت تصرفات الجنرال للتنديد، بل نددت الصحافة بالحكومة

---

(19) — Picquart à DRUDE, 29 Aout 1907. -

نفسها، التي كانت تزور اخبار الحرب بالمغرب، وتدعي أن «عملية استتباب الأمن» تسير حسب الخطة المرسومة[20].

لقد أفشلت المقاومة الشديدة، والدعوة الى الجهاد التي أعلنها مولاي عبد الحفيظ، أهداف الخطة التي رسمتها الأوساط الاستعمارية، لاحتلال الدار البيضاء وبلاد الشاوية بسهولة. وأكدت للرأي العام الدولي، أن حملة الشاوية، لم تكن أبدا، لا في أهدافها ولا في تنفيذها، حملة متواضعة، لتنظيم الأمن بالتعاون مع المخزن. بل كانت منذ بدايتها، منطلقا لحرب استعمارية، تهدف الى فرض الاحتلال على الشعب المغربي فرضا.

يتأكد ما ذهبنا اليه، من انتقال الحكومة الفرنسية ــ بعد أن رأت فشل خطتها الاولى ــ الى مرحلة جديدة من الاحتلال، تميزت بعزل الجنرال ''درود''، وتعويضه بقائد جديد مع بداية سنة 1908.

جهاد الشاوية خلال 1908.

تولى الجنرال ''داماد'' القيادة في 5 يناير 1908. وكلف بانهاء مقاومة الشاوية واحتلالها كلها. ولذلك زود بتعليمات تقضي بشن هجومات قوية على القبائل في عقر دارها. ولتحقيق هذه الغاية في أحسن الأحوال رفع عدد قوات الاحتلال، من حوالي 6000 الى 15 000 رجل. وزودت هذه القوات باسلحة كافية : مدافع ميدان، عيار 65، 75 مم، ومدافع جبلية عيار 80 مم. بالاضافة الى 600 عربة، وحوالي 1500 بغل لمهام النقل.

شرع القائد الجديد حال وصوله للشاوية، في تنفيذ مهمته، بمساعدة قيادة

---

(20) ــ ''ان كل برقية ملفقة ومزورة، تشهد على رداءة نظام عسكري، يقوده نظام سياسي بدون حسم وبدون هدف''.
— L'éclair du 31 Aout, 1907.

عليا تتركب من حوالي 10 ضباط كبار. وهكذا احتل مدن فضالة وبوزنيقة وبرشيد، بدون قتال، أيام 10 ـــ 13 يناير.

بيد أنه لما حاول مفاجأة المغاربة بمدينة سطات، في صباح 15 يناير، نشبت معركة كبيرة، لم يتمكن خلالها من تحقيق هدفه. بل انسحب بسرعة من المدينة وعاد لبرشيد. وكان عليه أن يخوض معركة ثانية، في 6 فبراير ثم ثالثة في يوم 7 أبريل، ليتسنى له احتلال سطات نهائيا.

والجدير بالذكر، أن الجنرال ''داماد''، لم يتمكن من حسم الموقف لصالح القوات الغازية، في معركة أو معركتين أو ثلاثة، بل اضطر لخوض معارك عديدة في سهول الشاوية وجبالها، تكبد فيها المحتلون خسائر فادحة في الأرواح. وأرغمت الجنرال على تغيير خططه من معركة لاخرى.

واذا كان تتبع وصف كل معارك الشاوية، يقتضي منا تفصيلات لا يتسع المجال لها، تجدر الاشارة، الى ان معركة القصابي التي وقعت جنوب برشيد، يوم 2 فبراير، كانت من المعارك الطاحنة التي تكبد فيها المحتلون حوالي 58 رجلا بين قتيل وجريح، من بينهم 5 ضباط. وخلال هذه المعركة، تمكن المغاربة من هزم القوة المهاجمة، واسترداد قطيع من الماشية (2000 رأس)، كان المهاجمون قد استولوا عليه في بداية المعركة.

وتكبدت قوات الجنرال ''داماد''، فشلا ذريعا في معارك برابح (16 ـــ 17 فبراير)، وسيدي عبد الكريم (17 ـــ 18 فبراير)، وفخفاخة (29 فبراير)[21].

---

(21) ـــ عن معارك الشاوية، راجع ''حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية''، م. س. الفصل الرابع عشر.

واثر هذه المعارك، بدأت الشكوك تساور الحكومة الفرنسية، في كفاءة القائد الجديد بالشاوية. فقررت إرسال بعثة تفتيشية بقيادة الجنرال ليوطي.

أنجز ليوطي تقريرا مطولا، نصح فيه بإبقاء الجنرال داماد على رأس قوات الاحتلال بالشاوية. خاصة بعد أن ارتكب هذا الاخير، مذابح ضد السكان لاظهار جدارته، وللتأثيرعلى صمود المجاهدين. من هذه المذابح، نشير الى مذبحة سيدي الغنيمي، التي نفذت في 15 مارس 1908، والتي قالت عنها جريدة L'HUMANITE الفرنسية[22].

''إن عملية الذبح التي حدثت اليوم، تفوق في الرعب كل ما يمكن تصوره. إن 1500 جثة، قد بقرت بالقذائف المدفعية، وخرقت بالحراب، تتمدد فوق البقايا المحترقة لدواوير زاوية سيدي الغنيمي''.

وهكذا لجأت قوات الاحتلال — لانهاء مقاومة الشاوية — الى سلاح الارهاب الأعمى. والى خطة الأرض المحروقة : القتل الجماعي للسكان، ونهب المتاع ومصادرة الماشية. وقد مكنت هذه الخطة، المحتلين في النهاية من استنزاف قوة المقاومة[23].

بيد أن الذي فت في عضد المجاهدين، هو تخلي مولاي عبد الحفيظ عن الجهاد، وانتقاله من مشرع الشعير، حيث كان مخيما بالقرب من الشاوية، الى مدينة فاس، محاولا إيجاد حل سياسي لمسألة احتلال الشاوية بالتفاوض مع الفرنسيين.

(22) — L'HUMANITE du 6 Avril 1908. —

(23) — راجع ما كتبته الجريدة الالمانية : WESERZEITUNG، بتاريخ 1 ماي 1908، حيث أشارت الى أن جيش المتقفة الذي تستعمله فرنسا بالشاوية، يخرب وينهب، ويعود أفراده الى بلدانهم [...] بالأكياس والصناديق والأثاث المنهوب من قبائل الشاوية.

وفي الأخير، يجدر بنا أن ننبه، الى أن القوات الفرنسية لم تتمكن من احتلال الشاوية كلها الا في صيف 1908. واثر ذالك انسحب كثير من المجاهدين الى القبائل المجاورة، ومنهم من ذهب الى فاس. ولما شرعت القوات الفرنسية في احتلال زعير وزيان، انضم بعض مجاهدي الشاوية الى المجاهدين بالاطلس المتوسط، بزعامة القائدين الشهيرين، موحا وحمو الزياني، وموحا وسعيد الويراوي، الذين كانا من السابقين الى الجهاد في بلاد الشاوية.

المقاومة بجبال الاطلس

بعد احتلال الشاوية، انتهت المرحلة الاولى في المخطط الاستعماري الفرنسي لاحتلال المغرب. ومع بداية 1911، شرع في تنفيذ المرحلة التالية بالتدخل في قبائل زعير المجاورة للشاوية. ولما قاومت زعير تدخل الفرنسيين بدأوا يطالبون بضرورة «عقابها»(24).

رفض السلطان مولاي عبد الحفيظ أهداف توسيع الاحتلال لزعير، لان ذالك معناه الشروع في احتلال البلاد كلها، ما دامت القبائل لن تقف مكنوفة الايدي. استمر المحتلون في التهييء لمشروع التدخل بزعير، ثم سرعان ما تولد منه مشروع أكبر هو الحملة الفرنسية على مدينة فاس في ماي 1911(25).

(24) — في يناير 1911، فتك زعير بدورية فرنسية، قرب مغشوش. فكان الحادث منطلقا لدعاية استعمارية واسعة. طالب خلالها العسكريون بضرورة التدخل في زعير للقضاء على روح الجهاد المتأججة بها بالقرب من الشاوية.

(25) — عن هذه الحملة وعواقبها، أنظر: علال الخديمي. ''حادث أكادير 1911 والعلاقات المغربية الفرنسية الالمانية''. ندوة أكادير الكبرى، 1986، نشر كلية الآداب والعلوم الانسانية اكادير 1990.

– PAUL AZAN, ''L'Expedition de FEZ,'' Paris, 1923.

وخلال تنفيذ هذه الحملة، تدخلت القوات الفرنسية في بلاد زعير وزمور، بدعوى تأمين المواصلات بين العاصمة والشاوية. مما أدى الى نشوب معارك بالقبيلتين استمرت الى منتصف سنة 1912.

أما عندما تمكن الفرنسيون من فرض عقد الحماية، على السلطان في مارس 1912، فقد انتفض المغاربة في كل مكان. بدأت الانتفاضة من العاصمة فاس، حيث فتك الجنود المغاربة بالعشرات من الضباط والجنود الفرنسيين وفي هذه الاثناء، بويع بالجنوب المغربي الشيخ احمد الهبة أميرا للجهاد وما لبث أن انضم اليه سكان سوس، وجبال الأطلس الصغير والكبير، فسهل عليه بذالك، الدخول لمدينة مراكش، في 18 غشت 1912. وعلى الرغم من فشل حركة الهبة، وتراجع المجاهدين بقيادته الى الجنوب، اثر معركة سيدي بوعثمان في شتنبر، فقد ظل المغاربة بقيادته، ثم بقيادة أخيه مربه ربه، يقاومون التدخل الاستعماري بالاطلس الصغير الى حدود سنة 1934، كما سنرى ذالك في محله. بيد أن مركز المقاومة الذي أولاه المحتلون أهمية كبرى ـــ نظرا لخطورته ـــ فكان بجبال الاطلس الكبير الشرقي والاطلس المتوسط.

المقاومة بالاطلس المتوسط :

أمام انتفاضة المغاربة ضد المحتلين، في السهول والجبال، ورفض القبائل التي أخضعت بين فاس والرباط، التعاون مع الاستخبارات الفرنسية، رأى المحتلون أن تأمين وجودهم بالعاصمة فاس والقبائل السهلية، لن يتم ما دامت كتلة الاطلس المتوسط معادية للاستعمار. وان المواصلات بين الجزائر والمغرب من جهة، وبين فاس ومراكش من جهة أخرى، ستظل مهددة، اذا لم يحتل الاطلس المتوسط واذا لم تخضع قبائله.

أول ما أقدم عليه المحتلون، هو بذلهم لمحاولات عديدة، لكسب زغماء

الجهاد بالاطلس، مثل القائد موحا وحمو الزياني، عن طريق الوعود والهدايا، لكن رفض الرجل لكل تعامل مع المحتل، أقنع الفرنسيين بان الوسيلة الوحيدة لمواجهة المغاربة بالاطلس هي قوة السلاح[26].

حصار الاطلس المتوسط :

بدأ الفرنسيون اولا، في احتلال وتأسيس مراكز عسكرية بالقبائل المجاورة للجبل، لمحاصرة قبائله. وهكذا جرت بين 1911 و1914، عمليات احتلال مكلفة، تمكن اثرها جيش الاحتلال من تثبيت وجوده، في قبائل الهضبة الوسطى وقبائل تادلة. وبتأسيس مراكز والماس وأزرو في 1913، ومولاي بوعزة وأكلموس في بداية 1914، ازداد التضييق على قبائل زايان بزعامة المجاهد موحا وحمو، وأصبح هدف المحتلين هو احتلال مدينة خنيفرة، خاصة لما تمكنت القوات الفرنسية من السيطرة على مدينة تازة في شمال الاطلس (ماي 1914).

احتلال خنيفرة :

تمت الاستعدادات للهجوم على خنيفرة منذ بداية يونيو. وفي 10 منه، شرع في الهجوم من ثلاثة محاور :

مولاي بوعزة والماس وتادلة. وفي 12 يونيو، جرت معركة قاسية انتهت باحتلال المدينة، التي أصبحت مركزا متقدما في جنب الاطلس الشامخ.

وكما كان متوقعا لم تصب قوة المجاهدين، الذين انسحبوا نحو الجبال، ثم عاودوا محاصرة القوات المحتلة ومنعوا عنها الامدادات، التي لم تعد تصل الا في طوابير مسلحة تسليحا ثقيلا. واشتد الحصار على المحتلين بخنيفرة، بعد اعلان

(26) — احمد المنصوري، كباء العنبر في تاريخ زايان وأطلس البربر، مكروفيلم الخزانة العامة، رقم 940 ج. 2 ص. 74.

الحرب العالمية الاولى. وبالرغم من فقدان الفرنسيين لمئت القتلى والجرحى، فقد تشبثوا بالمدينة(27).

معركة الهري 13 نونبر 1914 :

حاول قائد مركز خنيفرة ان يبعد تضييق المجاهدين بضربة قوية، هدف من ورائها الى القاء القبض على زعيم المقاومة موحا وحمو. لكن العملية التي بدأت في الساعة الثالثة صباحا، ضد مخيم المجاهدين بقرية الهري، جنوب شرق خنيفرة، جرت على القوات الفرنسية هزيمة مفجعة، لم يسبق للفرنسيين أن تكبدوا مثلها. في شمال افريقيا كلها الى ذالك الحين.

فقد فاجأ المغيرون المخيم ليلا، بيد أن أهله غادروه بسرعة، تاركين أثاثهم وخيامهم. وحالما شرع المغيرون في العودة، انقض المجاهدون عليهم من كل مكان، فكانت هزيمة ساحقة، وصفها القبطان سعيد كنون فقال :

''منذ المناداة بالعودة، انقض زايان على جنودنا في اندفاع عنيف ومسعور. وفوجئت مؤخرتنا بعنف الحملة المضادة (...) فأصيبت في رمش عين بخسائر فادحة. وكان عليها أن تتمسك بمراكزها وتتراجع خطوة خطوة للالتحاق بمعظم الجيش، الذي توقف لتنظيم صفوفه، في المكان المسمى بالحروش، الذي يقع قبالة خنيفرة على بعد ستة كلمترات. ولكن يا للاسف، لم يزدد العدو الا اندفاعا من جميع الجهات. وقطع علينا خط الرجعة (...) وظهرت ملامح الهزيمة، هزيمة مؤلمة وشاملة''(28).

---

(27) — GUENNOUN, Said, La montagne berbère, Les Aït oumalou et le pays ZALAN, ed. 1929.

(28) — سعيد كنون، المرجع السابق، ص. 189.

— المنصوري، م — س، ج. 2 ص. 102.

خسر الفرنسيون. بشهادة الضابط كنون، الذي كان مكلفاً بالاستخبارات، 33 ضابطا و 700 جندي من القتلى، و8 مدافع و10 رشاشات، و700 بندقية، وعدد كبير من القذائف والقرطوش..

كان لمعركة الهري صدى دوليا واسعا، جعل الالمان والاتراك يتصلون بالقائد موحا وحمو، ويعرضون عليه المساعدة. أما الفرنسيون، فقد أحجموا عن المخاطرة، من جديد، ضد قبائل الاطلس، الى نهاية الحرب العالمية. وضلت بلاد زايان، وآيت شخمان، واشقرن وبني مكليد، ممتنعة عن الاحتلال الى سنوات 1920 ــ 1923، حيث تم احتلال الارض، غير أن الفرق المجاهدة توغلت جنوبا لتنظم للقبائل التي لم يصلها الاحتلال بالاطلس الاعلى.

ومما تجدر الاشارة اليه، أن الفرنسيين لم يتمكنوا في الواقع ــ من السيطرة على تلك البلاد، الا بعد بذل مجهود سياسي كبير، كُلِلَ بانضمام كثير من زعماء الجهاد للمحتلين. بل تفرق عن القائد موحا وحمو، المقربون اليه وعلى رأسهم أبناؤه، الذين لعبوا بعد ذلك ــ دورا كبيرا في هزيمة إخوانهم، واخضاعهم للمحتلين[29].

وعلى كل حال، فبالرغم من جهود الاستعمار الجبارة، لم يتعد الاحتلال الفرنسي، الى حدود 1926، قبائل الدير أي القبائل المتصلة بالسهول، والواقعة على انسفوح الشمالية والغربية للاطلس المتوسط. أما القمم الشامخة لهذا الجبل، فبقيت سدا منيعا بين البلاد التي احتلها الفرنسيون، والقبائل المجاهدة التي اتخذت من الاطلس الكبير الشرقي، معقلا للمقاومة لا يقهر.

---

(29) ــ قتل موحا وحمو في احدى المعارك التي جرت بين المجاهدين وقوات المحتلين بقيادة ابنائه، وكان ذالك في 27 مارس 1922.

المقاومة بالاطلس الكبير الشرقي :

كانت قبائل آيت يا فلمان وآيت حديدو، وغيرها من القبائل بالاطلس المركزي أي المنطقة التي يلتقي فيها الاطلس الكبير بالاطلس المتوسط، تتزعم المقاومة، واليها انضمت فرق المجاهدين الذين رفضوا العيش مع الاحتلال، من آيت اسحاق واشقرن وآيت شخمان وآيت ويرا وغيرهم.. وقبل أن يشرع المحتلون في اقتحام معاقل المجاهدين، كان عليهم أن يهيئوا الرجال والخطط. ويتركوا المجال لضباط الشؤون الاهلية، ولسياسة الدسائس والاغراء، كما وصفناها في بداية هذه الدراسة، لمحاولة تفكيك تماسك القبائل المجاهدة، التي كان يظهر أن صمودها لن يقهر بسهولة.

لقد قضى المحتلون وقتا طويلا للتهييء للهجوم، وهكذا تميزت الفترة من 1926 الى 1929، بركود ملحوظ في عمليات الاحتلال. ثم استؤنفت الحرب ضد المغاربة ابتداء من 1930.

وبما أن المحتلين كانوا على يقين من الخسائر التي ستصيبهم، فانهم هيأوا للميدان قوات معتبرة، بما فيها سلاح الطيران. ولعب المغاربة الدور الاكبر في قهر إخوانهم. فقد جند الفرنسيون أعدادا كبيرة من الأعوان وال وم والمخازنية، بالاضافة الى قوات اللفيف والقوات الفرنسية المدعومة بسلاح المدفعية والرشاشات(30).

ودون أن نتتبع وصف كل المعارك التي خاضها المجاهدون ضد الجيوش الاستعمارية، يجدر بنا أن نشير، الى أن خطة الهجوم التي وضعتها القيادة العامة بالرباط، تتلخص في الآتي :

(30) — GUILLAUME, OP. Cit., PP. 85 — 100.

كلفت الجيوش الاربعة العاملة بالمغرب، بحصار واخضاع الاطلس المركزي، وخاصة حوض وادي العبيد وحوض وادي ملول (أسيف ملول). وهكذا كان على الجيش التابع لمنطقة مراكش، بقيادة الجنرال ''كاترو'' CATROUX، أن يزحف من الجنوب، انطلاقا من وادي درعة الذي سبق أن احتل.

وكلف جيش الحدود المغربية الجزائرية، بقيادة الجنرال ''جيرو'' GIRAUD، أن يهاجم المنطقة من الشرق.

أما الجيش التابع لمنطقة مكناس، بقيادة الجنرال ''جودو'' GOUDOT، فكان عليه أن يتوغل من الشمال الشرقي. في حين كلف الجنرال ''لوسطال'' LOUSTAL، قائد جيش تادلا، أن يبدأ عملياته من الشمال الغربي.

وقبل أن تبدأ هذه الجيوش عملياتها، حاصرت المنطقة بهدف تجويعها وتفكيكها. بيد أن الحصار لم ينفع في تليين موقف المجاهدين دون خوض معارك الشرف.

كانت المعارك قاسية ودامية طيلة سنوات 1931 ـــ 1932 ـــ 1933. وكان على المحتلين أن يتقدموا مرحلة بعد مرحلة، لأن كل مرحلة كانت تتميز بمعارك طاحنة، كان يشارك فيها الطيران أولا، لقصف مخيمات المجاهدين، ثم يدفع بآلاف الانصار والقوات المساعدة وأخيرا القوات الفرنسية.

وقد وقع الهجوم النهائي، ابتداء من صيف 1932، حيث تقدمت القوات الاتية من الشرق، والقوات الاتية من الشمال الغربي، لاحتلال وادي ملول وروافده والمراكز، الموجودة به. بيد أن هضبة آيت عبدي وجبل كوسر ظلا ممتنعين على المغيرين.

ثم توجهت قوات تادلة والحدود، في مرحلة تالية، نحو الجنوب الغربي، عبر وادي دادس لتلتقي مع القوات التابعة لجيش مراكش في إمدغاس. وبهذا التوغل فصلت منطقة المقاومة الى قسمين :

هضبة آيت عبدي وجبل كوسو في الغرب، حاصرتها قوات تادلة. وسلسلة جبال بادو وجبل أمتروس، حيث تجمعت قوات المجاهدين من آيت حديدو، حاصرتها قوات الحدود وجيش مكناس.

وبعد معارك شديدة، كان المجاهدون في كثير منها يلتحمون بالقوات الغازية بالسلاح الابيض. تمكنت الجيوش الاستعمارية من فرض سيطرتها على القسم الاول في خريف 1932، أما جبل بادو فلم يستسلم الا في سنة 1933[31].

وعلينا أن نشير، الى أن خضوع المجاهدين كان — في كثير من الاحيان — يتم عن طريق التفاوض على شروط الاستسلام. كما تجدر الاشارة، الى أن كثيرا من المجاهدين، تمكنوا من الانسحاب للانضمام للمراكز التي لم تستسلم بعد في جبال الاطلس الصغير، وامتداداته الشرقية في جبل صاغرو.

المقاومة بالاطلس الصغير وجبل صاغرو

سبق أن أشرنا، الى انسحاب المجاهدين من مراكش الى الجنوب، بزعامة الشيخ أحمد الهبة. ونشير الى أن المستعمرين، وأعوانهم من القواد الكبار، قد تكبدوا هزائم منكرة في جنوب الاطلس الكبير وفي الاطلس الصغير، على يد القبائل السبوسية: مثلما وقع لحركة الجنرال DE LA Mothe، التي شارك فيها الكلاوي والكندافي بقواتهما سنة 1916.

---

(31) — Ibid. PP. 436 — 442. et, 452 - 454.

Pinon René, Au Maroc, OP. Cit. P. 55 - 60.

وفي السنة الموالية، 1917، أصيب الفرنسيون بهزيمة مماثلة في تافيلالت، على يد زعيم آخر هو بلقاسم النكادي. وهكذا ظلت هذه المناطق صامدة في وجه المحتلين حوالي عشرين سنة.

وفي 1930، بدأ الفرنسيون هجومهم على تافيلالت، لكنهم لم يتمكنوا من احتلالها الا في 1932، بعد أن انسحب المجاهدون الى الجبال الغربية. وخلال أعوام 1919 — 1930، تم احتلال وادي درعة الأعلى ووسط دادس. وفي 1931، احتل المنخفض الفاصل بين الاطلس الكبير وجبل صاغرو، أي واحتي : تنغير وتودغة. وبهذا حوصر المقاومون في جبال صاغرو.

وقد اشتد الحصار سنة 1932، لما التقت القوات الفرنسية الآتية من الغرب، بالقوات الآتية من الشرق، في تاغبالت في شهر نوفمبر[32].

وابتداء من يناير 1933، بدأت ملحمة آيت عطا والمجاهدين الذين انضموا اليهم، في جبل بوكافر. لقد أحكم العدو الحصار، وبدأت المعركة ليلة 12 — 13 يناير. ووقع عبئها على حركات القبائل التي خضعت للاحتلال والكوم. واستخدم المستعمرون المدفعية والطيران، بشكل كثيف لدك معاقل المجاهدين بين الصخور. وبعد معركتين قويتين، تكبد فيهما الضباط لفرنسيون، الموطرون للاعوان خسائر مفجعة. تبين لقيادة جيش الاحتلال أن الزحف نحو معاقل المجاهدين. المعانقين للصخور الشماء، عمل انتحاري لا فائدة ترجى من ورائه. وتقرر الاكتفاء بحصار الجبل. وتسليط نيران الطيران والمدفعية على أمكنة تجمع المجاهدين، وعلى منابع الماء، وقطعان الماشية، وهي ما تبقى من مدد يعتمدون عليه.

وبعد أن رأى زعيم المقاومة بجبل بوكافر أن الاستمرار في التصدي لهذا

(32) — Ibid. PP. 40 — 50.

الطوفان من نيران العدو، لن يجدي نفعا للأطفال والنساء، وما تبقى من الرجال، نزل من معقله ليتفاوض على الاستسلام[33].

وهكذا التقى المجاهد عسو او باسلام، مع الجنرالات ''هوري'' HUREE القائد العام، ''وكاترو'' قائد جيش ناحية مراكش، و''جيرو'' قائد جيش الحدود، يوم 25 مارس 1933؛ حيث سويت مسألة منح الأمان للمجاهدين، الذين سلموا أسلحتهم، بعد أن سجلوا ملحمة لن ينفك التاريخ يسجلها بمداد من ذهب.

أما قبائل آيت خباش وآيت حمو ومن انضم اليها من المجاهدين الذين استطاعوا الافلات من حصار العدو بقيادة بلقاسم النكادي، فقد انسحبوا نحو الغرب الى المعقل الأخير للمقاومة بالأطلس الصغير.

وبالأطلس الصغير لم يتمكن المحتلون، من إخضاع المجاهدين بقيادة مربه ربه، الذي خلف أخاه على رأس المقاومة سنة 1919، الا بعد معارك طاحنة، خلال شهري فبراير وماري 1934. ففي مارس، تم احتلال كردوس مركز المقاومة. غير أن زعيم الجهاد مربه ربه، تمكن من الانسحاب الى منطقة الاستعمار الاسباني المجاورة.

وفي منطقة لبيار، تمكنت القوات الفرنسية من الحيلولة دون دخول المجاهدين الذين يتزعمهم بلقاسم النكادي للمنطقة الاسبانية، حيث تم تسليم أسلحتهم. ونقل النكادي لعيون سيدي ملوك قرب وجدة.

خاتمة :

وهكذا، كان على الفرنسيين أن يقضوا مدة 27 سنة، من الحرب المتصلة.

(33) — SPPILLEMANN, (GEORGES), Les AIT ATTA du SAHARA et la pacification du Haut DRA, Rabat, 1936, PP. 139-144

ويخوضوا معارك دامية ومكلفة ليتسنى لهم احتلال البلاد المغربية، منطقة بعد منطقة وقبيلة بعد قبيلة.

وباحتلال الاطلس الصغير في مارس 1934، تكون المقاومة المغربية المسلحة للتدخل الاستعماري، قد وضعت السلاح. وفي الحقيقة لم تكد هذه المقاومة الباسلة أن تضع سلاحها، حتى كانت الحركة الوطنية السياسية، قد دخلت الميدان بقوة في هذه السنة، عن طريق تقديم ''مطالب الشعب المغربي''، من طرف ''الكتلة العاملة الوطنية'' للملك محمد الخامس رحمه الله[34].

الرباط — علال الخديمي

المراجع

1) — علال الخديمي، حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية، (1907 — 1908)، رسالة في دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1985.
حادث اكادير 1911، والعلاقات المغربية الفرنسية الالمانية، ندوه اكادير الكبرى، 1986.

2) — احمد المنصوري كباء العنبر في تاريخ زايان وأطلس البربر مكروفيلم الخزانة العامة، رقم 940.

3) — Archives de guerre, Vincennes (A. G. V.)

4) — Affaires Etrangeres, Paris (A. E. P.) N. S.

5) — Archives de Marine, Vincennes, BB 2602.

6) — Azan, Paul, L'expedition de Fes, Paris, 1923.

7) — BERRIAU, (Col), L'officier des renseignements au Maroc, Rabat, 1918.

8) — CECCALDI, (Cap.), Au pays de la poudre, Maroc occedental (1911 — 1912)

9) — GUILLAUME, (Gl.), les bèrbères marocains et la pacification de L'ATLAS Central, (1912 — 1933), Paris.

10) — GUENNOUN, SAID, La montagne bèrbère, Les AIT OUMALOU et le pays ZAIAN, ed. 1929.

11) — MAURICE de PERIGNY, Au Maroc, Marrakech et les ports du Sud, Paris. 1918.

12) — RENE PINON, Au Maroc, fin des temps heroïques, Paris, 1935.

13) — SPILLEMANN, (GEORGES). Les AIT ATTA du SAHARA et la pacification du Haut DRA, Rabat, 1936.

(34) — ''مطالب الشعب المغربي''، المطبعة الملكية، الرباط، 1979.

الإعلام الثقافي

ملتقى فنون الشاوية الأول

خلال الايام الممتدة من 24 إلى 30 يونيه 1989. احتضنت مدينة سطات ملتقى فنون الشاوية الأول. الذي نظمته وزارة الثقافة في اطار تنشيط وتطوير لامركزية العمل الثقافي. ولتحقيق مزيد من التعريف بفنون منطقة الشاوية والوعي بتاريخها النضالي والفكري.

وقد افتتح الملتقى يوم السبت 24 يونيه 1989. بكلمة ترحيب وشكر ألقاها السيد رئيس المجلس البلدي. ثم تحدث السيد وزير الثقافة محمد بن عيسى. مؤكدا عزم الوزارة على ترسيخ الملتقى مهرجانا موسميا تتحرك في مجالاته الفعاليات الثقافية للمنطقة. ويثرى بالبحث التاريخي والثقافي. وأشار إلى أن هذا الملتقى الأول يتصدر برنامج احتفاء الوزارة بالعيد الستين لميلاد صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني. وفي ختام كلمته أعرب السيد الوزير عن متمنياته بالنجاح والتطوير لأنشطة المهرجان سنة بعد سنة.

وقد عرفت مدينة سطات طيلة أيام الملتقى نشاطا ثقافيا مكثفا تضمن معرضا للفنون التشكيلية. وآخر للكتاب. وحفلات موسيقية. وتميز بعقد ندوتين أهتمت أولاهما ببحث محور : تاريخ الشاوية. وحاولت الكشف عن بعض جوانب هذا التاريخ الغني من خلال العروض التالية :

الوجه الثقافي لاقليم الشاوية عبر العصر الحديث للاستاذ الباحث محمد المنوني.

القيم الاجتماعية التربوية والتحول الاجتماعي في منطقة الشاوية (الوسط القروي) للدكتور ربيع مبارك.

بعض المظاهر الحضارية في الشاوية من خلال رحلة كاتب صحفي للدكتور أحمد مفتاح.

التأثير الصوفي والعلمي للزاوية الشرقاوية بالشاوية للاستاذ أحمد بوكاري.

مقاومة سطات للاحتلال الفرنسي للاستاذ علال الخديمي.

مظاهر الوعي الوطني المبكر في انتفاضة الشاوية 1907 للاستاذ أحمد الزيادي.

أما الندوة الثانية فقد تدارست محور : فنون الشاوية على النحو التالي :

الاستاذ عمر أمرير :
الادب الشعبي في الشاوية

- الاستاذ محمد بوحميد :
الايقاع والمولودية والأهزوجة
ابتداء من «تصغيرت» إلى «الدير»
من منطلق القرن السادس الهجري.

- الاستاذ عبد العزيز بن عبد الجليل :
موسيقى سهول الشاوية

الاستاذ محمد السرغيني عايدة :
الفنون والصناعات التقليدية في الشاوية.

وشكلت مجموع هذه العروض اضافات جادة إلى الجهود المبذولة والتي لاتزال جد محدودة للتعرف على نشأة التراث الثقافي للشاوية وخصائصه ومحتواه.

وقد تولى تسيير الندوتين الاستاذ المهدي الدليرو مستشار وزير الثقافة.

ومن مؤشرات نجاح : «ملتقى فنون وتاريخ الشاوية» فاعلية مشاركة الجمهور وتجاوبه مع مختلف فقرات المهرجان.

جامعة الشريف الادريسي الصيفية
الدورة الثانية

بتعاون بين وزارة الثقافة، ومسؤولي الاقليم، احتضنت مدينة الحسيمة المطلة على البحر المتوسط عند منطقة الريف الدورة الثانية لجامعة الشريف الادريسي الصيفية. خلال الفترة الممتدة من 18 حتى 28 سبتمبر 1989.

وقد شمل برنامجها عقد ندوتين. تناولت عروض أولاهما محور دور صيانة التراث، في المحافظة على البيئة المتوسطية. كما طرحت عروض الندوة الثانية محور أفضل الوسائل لصيانة التراث المتوسطي المخطوط وتعبئة الاسهام المكثف للباحثين المتخصصين من المغرب في الندوتين. اغتنت دورة الجامعة كسابقتها، بمشاركة لافتة من باحثي الدول المتوسطية الشقيقة والصديقة مثل: الجزائر، تونس، سوريا، اسبانيا، ايطاليا.

وتميزت الندوة الأولى بتدارس المواضيع التالية

الجوانب القانونية والتشريعية في ميدان المحافظة على البيئة والتراث

التقنيات والطرق الحديثة المستعملة في المحافظة على البيئة والتراث

من أجل استراتيجية محكمة للمحافظة على التراث والبيئة، وإبراز معالمهما

أما الندوة الثانية، فقد تمثل نشاطها في محاولات لابراز كافة جوانب أهمية المخطوطات، والتعريف بأهم المكتبات التي تختزن مخطوطات عربية في منطقة البحر المتوسط.

وقد أوصت الندوة بتكثيف أعمال حماية تلك المخطوطات، وإتمام فهرستها وتصنيفها، والاستفادة من أعمال الخبراء في توحيد مناهج الفهرسة. كما حثت على مزيد من فعالية التعاون والتبادل بين الجهات المسؤولة عن التراث المخطوط في بلدان المنطقة.

ومما أفردته توصيات الندوة الثانية بالعناية، تأكيد الدعوة إلى انقاذ المخطوطات العربية في فلسطين والحفاظ عليها.

وقد اسفرت أعمال الدورة عن اصدار بيان الجامعة الأول «الذي تضمن اقتراح:

اصدار نشرة اتصال متوسطية

تنظيم أوراش عمل للاستكشاف الأثري بمشاركة شباب منطقة الحوض المتوسطي.

انعاش حركة التوأمة بين متاحف البلدان المتوسطية

تطوير التعاون المتوسطي في مجال التنقيب الأثري في أعماق البحار.

المسح الفوتوغرافي
لصيانة التراث المعماري

بتعاون مع معهد جوتة الألماني بالدار البيضاء، ومتحف المعادن ببخوم في ألمانيا الاتحادية، نظمت وزارة الثقافة ب: «مركز صيانة وتوظيف التراث المعماري» في مدينة ورزازات، ملتقى دوليا حول موضوع:

«المسح الفوتغرافي لصيانة التراث المعماري»

وقد ترأس حفل افتتاح الملتقى السيد محمد بن عيسى وزير الثقافة يوم الأحد 5 نوفمبر 1989 وامتدت أعماله من 5 إلى 9 نوفمبر 1989، بمشاركة باحثين وخبراء من» المغرب، تونس، الجزائر، ألمانيا الاتحادية، ومنظمة اليونسكو.

ويدخل تنظيم الملتقى في إطار منهجية العمل التي تعتمدها الوزارة لأداء إحدى وظائفها الأساسية، والمتمثلة في حماية وصيانة التراث المعماري باعتبار ارتباطه الوثيق والفاعل بالشخصية الوطنية وخصوصياتها الحضارية المتجذرة. وقد تمحورت أشغال الملتقى حول بحث الأساليب الحديثة للمسح الفوتوغرافي في التوثيق والبحث المتعلقين بفنون العمارة.

ملتقى

«مدينة ليكسوس الأثرية : حصيلة وآفاق»

نظمت وزارة الثقافة بتعاون مع عمالة اقليم العرائش، الملتقى الدولي الأول حول : «مدينة ليكسوس الأثرية، حصيلة وآفاق». في الفترة الممتدة من 8 إلى 11 نونبر 1989.

وقد عرف هذا الملتقى اسهام مجموعة من الباحثين والمختصين من المغرب وتونس والجزائر واسبانيا وفرنسا وايطاليا وألمانيا الاتحادية وبلجيكا وكندا وانجلترة. وترأس حفل افتتاح أعماله وزير الثقافة السيد محمد بن عيسى يوم الأربعاء 8 نونبر 1989 بمدينة العرائش.

وعبر جملة من الدراسات والعروض القيمة، طرح الملتقى اضافات علمية هامة في مجال البحث المتعلق بمدينة ليكسوس الأثرية، ودورها التاريخي ضمن منظومة الحضارات التي عرفها حوض البحر الأبيض المتوسط. هذا البحث الذي يصب بطبيعة موضوعه في دراسة تاريخ الحضارة الانسانية.

الندوة المغربية الاسبانية للعلوم التاريخية

الدورة الثانية

خلال الفترة من 16 إلى 12 نونبر 1989،

عقدت الندوة المغربية الاسبانية للعلوم التاريخية دورتها الثانية في مدينة غرناطة.

وقد بادرت وزارة الثقافة بتنسيق مع المعهد الاسباني للتعاون مع العالم العربي، إلى تنظيم هذه الدورة، بعد أن تأكد الاجماع على ضرورتها كامتداد واستمرار للدورة الأولى التي احتضنتها الرباط في شهر مايو من سنة 1984. واتسمت بأهمية أعمالها التي فتحت فضاءات واسعة للتعاون بين الباحثين الاسبان والمغاربة من أجل معرفة أكثر بالتاريخ المشترك للبلدين، وتمتين بناء العلاقات الثقافية بينهما في آفاق المستقبل.

وبمشاركة نخبة من الاساتذة الباحثين الاسبان والمغاربة، تدارست الدورة مجموعة المواضيع التالية :

العلاقات العلمية بين المغرب والأندلس في القرون الوسطى.

المذهب المالكي بالاندلس والمغرب.

العلاقات الاسبانية المغربية في القرنين 18 و19.

البنيات القبلية في الأندلس والمغرب.

ابن الخطيب : ظاهرة شعرية أندلسية مغربية متميزة.

أدوار سياسية لسيدات مرابطيات.

— الفكر التاريخي والتاريخانية.

الموركسيون في المغرب.

ندوة

الكتاب المغاربي : واقع وآفاق

موازاة «معرض المغرب العربي الأول

للكتاب» الذي نظمته وزارة الثقافة بتعاون مع مكتب معارض الدار البيضاء من 15 إلى 20 نوفمبر 1989 بمدينة الدار البيضاء، تم تنظيم ندوة « الكتاب المغاربي : واقع وآفاق» يومي : 18 و19 نوفمبر 1989 بمشاركة ممثلين مختصين عن قطاعات النشر والطبع والتوزيع في بلدان اتحاد المغرب العربي :

الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية العظمى

الجمهورية التونسية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جمهورية موريتانيا الاسلامية

المملكة المغربية.

وقد افتتح أعمال الندوة السيد وزير الثقافة الاستاذ محمد بن عيسى بعرض تناول فيه واقع الكتاب في المغرب، ومنجزات الوزارة، كما طرح جملة مقترحات قوبلت بترحاب، وضمنت فيما انتهت إليه الندوة من توصيات.

وتم اسناد رئاسة الندوة إلى «اتحاد الناشرين العرب» ممثلا في أمينه العام الاستاذ خليفة محمد التليسي (ليبيا). كما تولى «الاتحاد المغاربي للناشرين» بعده متابعة رئاسة جلسات الندوة، ممثلا في أمينه العام السيد يوسف نسيب (الجزائر). أما مهمة مقرر الندوة، فقد تولتها وزارة الثقافة من خلال السيد المهدي الدليرو مستشار الوزير.

وعبر ثلاث جلسات مطولة، تميزت بعروض جيدة ومناقشات جادة، تبعها عمل لجنة الصياغة، أسفرت الندوة عن تحرير التوصيات التالية :

في قطاع التأليف والترجمة :

1 العمل على توحيد نسب استفادة المؤلف من انتاج الكتاب واقرار حدها الأدنى، مع مراعاة ضرورة التوفيق بين تشجيع المؤلف، وتحفيز الناشر.

2 احداث دار مغاربية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، تختص أساسا باصدار الكتاب المرتفع التكلفة مثل الموسوعات.

3 وضع واقرار تشريع مغاربي موحد لرعاية حقوق التأليف، والحرص بمختلف الوسائل على مراقبة تطبيقه.

4 - احداث جائزة مغاربية لتشجيع تطوير مضمون وآلية انتاج الكتاب واخراجه.

5 تنشيط أعمال الترجمة ودعمها من خلال احداث صندوق مشترك.

6 السعي للاستفادة من دعم بعض الدول لحركة الترجمة.

في قطاع الطباعة والنشر :

1 تنسيق العمل المغاربي الموجه إلى توفير المواد الضرورية لصناعة الكتاب من ورق وحبر وغيرهما.

2 بذل مزيد من العناية بتكوين العامل التقني المطبعي.

3 - تضافر العمل المشترك للانتقال إلى مرحلة استخدام التقنيات المتطورة في الطباعة.

4 - الاسراع باحداث «بنك معلومات» ينسق حركة النشر في المغرب العربي كخطوة أولى في الاستعانة بالاعلاميات.

5 توحيد البرامج والمناهج الدراسية لتيسير الكتاب المدرسي، وتخفيض تكلفته.

6 استقصاء الحاجيات إلى الورق بهدف تحديدها، وتخطيط النشر على أساسها.

7 - اصدار نشرة اتصال مغاربية لضمان تبادل المعلومات في مجال النشر.

8 - التوسع في تنظيم المعارض.

9 العمل على تكثيف الاصدارات الموجهة للطفل وتوسيع شبكة مكتباته.

10 تنظيم وانماء النشر المشترك.

في قطاع التوزيع والتسويق :

1 توسيع دائرة التوزيع بحيث تشمل المغرب العربي.

2 تبسيط الاجراءات الادارية. وتخفيض القيود المالية. وتسهيل التحويلات البنكية.

3 تعميم الاعفاءات الضريبية لفائدة الكتاب.

4 - تمييز الكتاب عن غيره من السلع بهدف تخفيض أسعار النقل.

5 تأسيس هيأة مغاربية لتنسيق تسويق الكتاب في بلدان المغرب العربي.

6 تكثيف توظيف الاعلام بأحدث تقنياته. لخدمة الكتاب.

7 - بذل مزيد الاهتمام بتطوير مستوى الكتاب ثقافيا ومهنيا في المغرب العربي.

8 انشاء وحدات جهوية مشتركة لتوزيع الكتاب المغاربي وتيسير تسويقه عربيا وافريقيا وعالميا.

9 - تأسيس شركة مساهمة مغاربية أو أكثر لترويج الكتاب المغاربي، وبالأخص خارج اتحاد المغرب العربي.

10 وضع قانون لتنظيم المعارض.

11 اصدار دليل عام للمعروض من اصدارات الكتاب المغاربي.

واذ يؤكد المشاركون في الندوة على أهمية والحاح جملة ما طرحوه من توصيات. يبادرون إلى تسجيل اقتناعهم باعطاء الأولوية للأهم الممكن على ضوء التالي :

فعالية التدرج المرحلي في التنفيذ

ضرورة حشد الجهود وتنسيقها في اطار العمل المؤسسي المشترك.

اهمية الدراسات المتعلقة بالكتاب سواء الاقتصادية أو السوسيولوجية.

ضرورة اسهام القطاع الخاص في التنفيذ

جامعة «مولاي علي الشريف» الخريفية

تحت الرئاسة الشرفية لصاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد. وبمقر مركز الدراسات والبحوث العلوية في مدينة الريصاني. عقدت جامعة «مولاي علي الشريف» الخريفية دورتها الأولى خلال الايام الممتدة من 7 إلى 14 ديسمبر 1989.

وقد تم افتتاح جلسات ندوات الدورة. بكلمة ترحيب ألقاها عامل صاحب الجلالة باقليم الرشيدية. السيد احمد عرفة. مؤكدا اعتزاز مسؤولي وأهالي الاقليم باستضافة المركز واستقبال موسم الجامعة. ثقة من الجميع بايجابية نشاطهما العلمي في خدمة وتراث أمتنا والتعريف بالاسهام الفاعل لمنطقة تافيلالت.

ثم تناول الكلمة السيد وزير الثقافة الاستاذ محمد بن عيسى. فتحدث عن مراحل عمل الوزارة لاحداث الجامعة. موضحا أنها امتداد

طبيعي لملتقى سجلماسة الثقافي، وتجسيد لفضاء موسمي مفتوح لاثراء البحث المتخصص أساسا في تاريخ الدولة العلوية الحافل بالأمجاد. مع اهتمام بالدراسات الأركيولوجية المتعلقة بمدينة سجلماسة الأثرية. وعن وظيفة الجامعة. قال السيد الوزير انها ملتقى تهدف الوزارة من منبره إلى دعم جهود معاهد البحث العلمي والجامعات لمضاعفة العناية بكتابة تاريخ المغرب. واستكشاف الماضي في أجل صوره. وأشدهاارتباطا بالحاضر والمستقبل.

وقد اختتم السيد الوزير كلمته بالاعلان عن تعيين الاستاذ الحسن تاوشيخت مديرا متفرغا للاشراف على مركز الدراسات والبحوث العلوية. مشيرا إلى أن احتضان دورات الجامعة ونشر عروض باحثيها ومداخلاتهم من أولويات وظيفة المركز.

وبمدخلين تاريخيين. قدمهما مؤرخ المملكة. الاستاذ عبد الوهاب بن منصور ومدير المعهد الجامعي للبحث العلمي. الدكتور عبد الهادي التازي. تم انطلاق عمل الدورة الأولى للجامعة.

وقد عبر جميع المتحدثين في جلسة الافتتاح عن عميق اكبارهم وامتنانهم خطوة الجامعة بكريم وسامي عناية صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني. متمثلة في اسناد جلالته رئاستها الشرفية إلى صاحب السمو الملكي. الأمير مولاي رشيد.

وقد امتدت الدورة من 8 إلى 13 ديسمبر 1989، وقسمت أعمالها إلى ثلاث ندوات دارت حول محاور :

1 مصادر تاريخ الدولة العلوية

2 - المؤسسون الأولون للدولة العلوية

3 آثار وتراث منطقة تافيلالت

وشملت الندوة الأولى جلستين. خصصت أولاهما لعرض تقارير أعضاء البعثة التي كلفتها وزارة الثقافة بمهمة استقصاء مصادر تاريخ الدولة العلوية داخل المملكة، وهم الاساتذة : محمد المنوني محمد حجي محمد زنيبر محمد عبد العزيز الدباغ. أما الجلسة الثانية. فجمعت أعضاء البعثة التي أوفدتها الوزارة إلى الخارج في نفس المهمة. وهم الاساتذة : أحمد التوفيق عبد المجيد القدوري محمد بن عزوز حكيم عبد العزيز التمسماني خلوق د. الحسين بوزينب د. أحمد بوشرب د. محمد المنصور.

وعبر عروض الأساتذة عن نتائج مهامهم المنجزة. قدمت الندوة الأولى صورة مصغرة لغزارة وغنى الوثائق المتعلقة بتاريخ الدولة العلوية الشريفة. سواء داخل المغرب أو خارجه. وحتى تكبر هذه الصورة. وتتطور معها امكانات كتابة تاريخ المغرب المعاصر. فإن من الضروري. كما ألح على ذلك جميع الأساتذة. توفير مزيد من الوقت. ومن الوسائل المادية.

وحول المحور الثاني. تعاقبت طيلة ثلاث جلسات. بحوث الندوة الثانية. على النحو التالي :

الاستاذ بزوي أحمد الضاوي

صورة السلطان مولاي محمد بن الشريف في أهم المصادر التاريخية المغربية.

الاستاذ محمد الدناي

البيان وحكمة التدبير في أدب المولى محمد الأول.

الاستاذ محمد رزوق

الجهاد البحري في عهد السلطان مولاي اسماعيل وأثره في ارساء دعائم الدولة العلوية الشريفة

الاستاذ محمد ابن عزوز حكيم

سبتة والمولى اسماعيل من خلال الوثائق الاسبانية

الاستاذ أحمد الأزمي
بعد جوانب السياسة الدولية للسلطان مولاي اسماعيل مؤسس الدولة العلوية

الاستاذ عبد السلام شقور
الشرفاء العلميون في ظل المولى اسماعيل.

الاستاذ أحمد عمالك
أثر أزمة 1072 هـ على أوضاع المغرب خلال قيام المولى الرشيد.

- الدكتور يوسف الكتاني
المولى اسماعيل رائد تحرير الانسان من خلال تأسيس جيش عبيد البخاري

الاستاذ محي الدين عبد الحميد
مظاهر الحضارة المغربية في عهد السلطان المولى اسماعيل.

- الاستاذ بلقاضي ميلود
اشكالية تأسيس مدينة سجلماسة

أما الندوة الثالثة. فقد اختصت بالبحث الاركيولوجي حول منطقة تافيلالت. مهد الدولة العلوية الشريفة. وتمثل هذه الندوة بموضوعها المحوري اتجاها علميا فذا من شأنه تأكيد إيجابية الجامعة. اعتبارا لما تلعبه الدراسات الأثرية من دور فعال في تحديد الشخصية الوطنية. ولكونها إلى جانب الدراسات التاريخية وسيلة الوصل بين الماضي والحاضر والمستقبل. وقد تدارست الندوة خلال جلستين فترتي :

ماقبل التاريخ
وما قبل الاسلام
وخصصت جلسة ثالثة لبحث موضوع :
- الاركيولوجيا الاسلامية والتراث

ويوم 14 ديسمبر، عقدت الجلسة الختامية في قاعة المحاضرات عند مقر عمالة اقليم الرشيدية. قدم في بدايتها مدير مركز الدراسات والبحوث العلوية تقريرا عن وقائع الدورة. تلته كلمات :

الاستاذة البيضاوية بلكامل نيابة عن الاساتذة المشاركين.
السيد محمد بن عيسى وزير الثقافة
السيد أحمد عرفة. عامل الاقليم

ولم يفت السيد الوزير والسيد العامل وبقية المتدخلين في جلسة الافتتاح. التنويه بالاهتمام الكبير الذي واكب به المواطنون في الاقليم أعمال الدورة.

وفي نهاية الجلسة تلا السيد محمد بن عيسى نص الرسالة التي رفعها المشاركون في دورة الجامعة من منظمين وأساتذة باحثين إلى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، مجددين من خلالها الاعراب عن صادق آيات تعلقهم بالعرش العلوي المجيد. وعميق شكرهم وامتنانهم لما أولاهم جلالة العاهل المفدى من كريم العناية وما حظيت به الجامعة من معهود الرعاية المولوية السامية.

رقم الإيداع القانوني 6 / 1974

وزارة الثقافة
دار المناهل للطباعة والنشر



تصدرهـــا :

وزارة الشـــؤون الثقافيـــة

زنقـة غانـدي ــ الربـاط ــ المغـرب

التلفـــون : 37-680

AL - MANAHIL

Publication
MINISTERE DES AFFAIRES CULTURELLES

Rue Ghandi Rabat (Maroc)
Tél. : 680-37

دار المناهل للطباعة والنشر



الثمن 10،00 دراهم